الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العـــــالي والبـــحث العلمي
جـــامعـــة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تفسير الشعراوي
أسسه اللغوية والبلاغية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم
تخصص: أدب ولغة عربية

إعداد الطالب:
حاج زعـــفان

إشـــراف:
د. محمد بلحسين

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/عرابي أحمد	أ.التعليم العالي	جامعة ابن خلدون تيارت	رئيسا
د/بلحسين محمد	أ. محاضر "أ"	جامعة ابن خلدون تيارت	مشرفا ومقررا
د/غانم حنجار	أ. محاضر "أ"	جامعة ابن خلدون تيارت	عضوا مناقشا
د/ بن نعيمة عبد الغفار	أ. محاضر "أ"	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د/مقدم محمد	أ. محاضر "أ"	المركز الجامعي غليزان	عضوا مناقشا
أ.د/زغوان أحمد	أ. محاضر "أ"	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية
2015م/2016م

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة

القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، إعجاز مزق به حواجب الغيب الزمني ماضيه و مستقبله، فأنت لا يمكنك أن تستنطق أحداث الماضي بموضوعية مطلقة من حيث الرواية، كما لا يمكنك – استحالة- أن ترى رؤية العين ما حدث في الماضي حتى تصل إلى اليقين، فقصور القدرة على الماضي ينسحب كذلك على الزمن المستقبل، فمن منا يملك القدرة على معرفة ما يحدث له من شر حتى يتقيه و ما يلاقيه من خير فيستزيده.

و مزق حاجب المكان الذي يحويه الكون بأفقه، فالأحداث تختلف باختلاف الأمكنة، فمكان تعمه الأفراح و تنثر حواليه الورود و الأزهار، و مكان تعكره الأحزان و المصائب، فالمكين الفارح لا يدرى بالمكين الحازن الحزين.

و مزق حاجب النفس البشرية، هذا الكائن العجيب الذي حير الفلاسفة و علماء النفس الذين أرادوا و حاولوا السباحة في عالم فسيح بزاد و مرجعية واهية خائبة.

فالقرآن الكريم رسم لنا معالم المنهج الرباني عبر محاور الزمن و المكان و من يعيش فيهما، و هي قوام الحدث و الفعل الذي يعتبر مناط التكليف المتأرجح بين الفرض و المباح و الحرام.

و معنى خلود المعجزة القرآنية إنما ينحصر في كونها استمدت هذه الديمومة من ديمومة الزمان و المكان و الإنسان في الحياة الدنيا.

و إذا كانت غاية المعجزة هي التحدي لأجل إثبات أحقية المتحدي، فإن القرآن الكريم تحدى لغة العرب و بلاغتهم، فعرب الجاهلية ملكوا فصاحة اللسان و بلاغة الخطاب على الرغم من إنزوائهم المكان و فشو الأمية في أوساطهم لكن هذا لم يعصمهم من عيش حياة الشقاء و المجون و الفجور، عبادتهم ظلال و سعيهم في الحياة الدنيا ضياع يرقبه ضياع، فجاء القرآن الكريم ليهذب أخلاقهم و يصفي عقيدتهم و ينور أفكارهم و ينقلهم من نتانة الكفر و الجهل إلى رياض الإيمان و الإسلام.

فالغاية من التحدي هو إثبات أن القرآن الكريم هو كلام الله المترل على نبيه محمد – صلى الله ع

ليه و سلم – و إذا حصل هذا اليقين فالنتيجة تغيير الأوضاع المزرية التي كان يعيشها العرب آنذاك سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا، ذلك أن اللغة مرآة تنعكس عليها صور العيش و ألوان الحياة.

لكن مهما كان من إعجاز علمي و لغوي في القرآن الكريم فإن الهدف الأساسي من هذا الوحي المقروء هو هداية المخلوق المكلف بالعبادة إلى منهج الخالق – سبحانه و تعالى – عبر صفحات الكون المنشور و في أحضان النفس البشرية التي يتجاذبها النجدان إما إلى الهداية و إما إلى الضلال.

هذه هي الحقيقة السامية للقرآن الكريم و كل من أراد أن يلج هدا الفضاء الرباني عليه أن يعي جيدا أنه يتعامل مع كلام الخالق – جل في علاه – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، شاملا لخيري الدنيا و الآخرة، منطويا على قوانين عادلة حكيمة.

و لعل قناعتي اليقينية النابعة من اعتقادي الجازم هي التي دفعتني إلى اختيار هدا الموضوع الذي ينطوي على أمرين:

أولهما : القرآن الكريم الملزم بتلاوته أو سماعه عينا، و بدراسته و بيان معانيه كفاية، هده المعاني لا يحدها زمان و لا مكان بل عطاؤها مستمر استمرار الحياة الدنيا.

حيث تعاقب المفسرون عبر تعاقب الأزمان لكن لم يصل أحد إلى إدراك المعاني القرآنية كاملة، بل لم يدع أحد أنه بمحاولة تفسيره لكلام الله سيقف على كل كبيرة و صغيرة من مرامي القرآن الكريم، و هدا ليس من باب التواضع لأن من يتواضع عن مركز معين يمكن له أن يصله، لكنه من باب وصف حقيقة واقعية، لأن العجز عن الإدراك إدراك.

ثانهما : التفسير المنسوب للشيخ الشعراوي و ما تميز به هدا الرجل من خصوصية في الطرح و قوة إقناع ساحرة تجلب اهتمام السامع و القارئ، خاصة و أنني مند صغري عندما عانقت بحب و شغف الحرف العرب الذي أرشدني إلى القيم الخالدة للقرآن الكريم، حيث قرأت له كثيرا و سمعت محاضراته و دروسه فكان لي مثالا يحتذى به في الحوارات الهادئة و الممتعة المقنعة، فكنت أن قطعت وعدا بأن أقدم لهدا العالم الجليل عملا يليق بسمعته الدينية و العلمية و حتى الأخلاقية، فمن الله علي يهذا المشروع العلمي الأكاديمي الموسوم بـــــ: **تفسير الشعراوي – الأسس اللغوية و البلاغية –**

محاولا إبراز الاضاءات الجديدة و المتميزة التي طبعت هذا التفسير، خاصة في الجانب اللغوي و البلاغي الذي يعتبر أهم سمات هذا العمل لما للشيخ الشعراوي من ملكات لغوية عالية و أبعاد

بلاغية سامية جعلته يخاطب فيقنع و يقول فيبدع و هو القائل دائما إذا كان بك فضل فإياك أن تنسب هذا الفضل إلى نفسك الضعيفة، بل هو من فضل و عطاء الله، و خير و نعم الإيمان و الإسلام.

أما المصادر المعتمدة في هذا البحث فتمثلت أساسا في القرآن الكريم، و في تفسير الشعراوي نفسه و في الكثير من التفاسير الأخرى كتفسير الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، و تفسير الزمخشري، الكشاف و تفسير الطبري، و تفسير ابن كثير و غيرها.

كما كان اعتمادي على الكتب التي تناولت مسيرة الشيخ العلمية و سائر نشاطه الدعوي بكل مجالاته المختلفة.

قسمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب كل باب يحتوى على ثلاثة فصول، هذا فضلا عن المقدمة و الخاتمة.

الباب الأول عنوانه : معالم تفسير القرآن عند الشعراوي

الفصل الأول : دراسة سيرة الشعراوي

الفصل الثاني : مفهوم علم التفسير و أقسامه

الفصل الثالث : الأدوات التي تحتاج إليها المفسر

الباب الثاني عنوانه : منهج الشعراوي في التفسير

الفصل الأول : أسلوب الشعراوي في التفسير

الفصل الثاني : التفسير بالمأثور في التفسير الشعراوي

الفصل الثلث : الأساس اللغوي و البلاغي في تفسير الشعراوي

الباب الثالث عنوانه : المكانة العلمية لتفسير الشعراوي

الفصل الأول : مميزات تفسير الشعراوي

الفصل الثاني : المنزلة العلمية للشعراوي

الفصل الثالث : القيمة العلمية لتفسير الشعراوي.

أما المنهج المعتمد في هذا البحث فهو يساير طبيعة الموضوع التي تقتضي الوصف و التحليل، و ذلك برصد المنهج العام لتفسير الشعراوي و التعرض لجزئيات هذا المنهج بالتحليل و التعليق.

و في الختام نحمد الله تعالى على توفيقه و إعانته على هذا المجهود الذي عانيت خلاله صعوبات لا تخفى على كل باحث.

كما أشكر أستاذي الفاضل الذي أشرف على هذا العمل على تحفيزه المتواصل و توجهاته العلمية الخالصة، و إلى كل من قدم لي يد العون و لو بكلمة طيبة.

و أخيرا أسأل الله أن يكون هذا المجهود المتواضع خالصا لوجهه الكريم، و أن يكون شافعا لي فيما قد يبدو فيه من سهو أو نسيان أو تقصير و ما التوفيق إلا من عند الله.

الباب الأول

معالم تفسير القرآن عند الشعراوي

الفصل الأول

دراسة سيرة الشيـــخ الشعراوي

ترجمة الشيخ محمد متولي الشعراوي

أولا : مولده ونسبه

1. الميلاد : شرف الله أسرة الشعراوي، و أكرم بلاد الكنانة مصر بميلاد الشيخ محمد متولي الشعراوي بقرية دقادوس[1] مركز ميت غمر محافظة الدقهلية في الخامس عشر من أبريل سنة إحدى عشر وتسعمائة وألف ميلادية بمترل والده بحارة الشيخ عبد الله الأنصاري وأصبحت هذه القرية جزءا من مدينة ميت غمر، فقد زحف عليها العمران الآن وأصبحت قسم ثاني ميت غمر. وفي ليلة ميلاده تأخر والده عن الذهاب للمسجد لصلاة الفجر فسأله خاله : ما الذي أخرك يا متولي؟ فأجابه بأن زوجته تضع. يقول الشعراوي " فرد خالي متولي وقال : لقد رأيت الليلة حلما غريبا استيقظت منه على موعد صلاة الفجر، رأيت " كتكوتا " فوق هذا المنبر، وأشار بيده إلى منبر الجامع، وقال رأيته يخطب في الناس[2] وضحك الحاضرون وقال أحدهم : أصل الكتكوت الفصيح يخرج من البيضة يصيح ، وههنا عاهد والده الله تعالى أن يهبه للأزهر ليصبح عالما[3].

2. نسبه : يمتد نسبه إلى آل بيت النبوة فهو " محمد بن السيد متولي الشعراوي الحسيني نسبا، ووالدته اسمها حبيبة ينتهي نسبها من ناحية والدها إلى الإمام الحسين بن علي.[4]

1- دقادوس : بلدة صغيرة في نواحي مصر تقع على نهر النيل شرقا فرع دمياط وهي من القرى القديمة ، واسمها في العصر الفرعوني " أتوكاتوس" وفي العصر القبطي "تاكادوس" والعربي "تقدوس" اشتهرت قديما بصناعة تجليد الكتب وصناعة الحصير الريفي، وتشتهر إحدى عائلاتها بتجبير كسور العظام. ينظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي، دار الفكر ، بيروت، د ط، د ت، ج 2 ص 522. و الشعراوي الذي لا نعرفه، سعيد أبو العينين، ط 4، دار أخبار اليوم، 1995م، ص 11 .
الشفاعة والمقام المحمود، محمد متولي الشعراوي، ط 2 ، مكتبة التراث الإسلامي، مصر،2001م، ص 13.

2- الشعراوي الذي لا نعرفه سعيد أبو العينين ص 5 – 6 .

3- وعر فت الشعراوي، محمود جامع، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2005، ص 09.

4- ينظر : الشعراوي يبوح بأسراره مع السيدة زينب والحسين ص06 . وأنا من سلالة آل البيت سعيد أبو العينين ص 09 . أخبار اليوم . د ت . و الشعراوي من القرية إلى العالمية، محمد محجوب محمد حسن، مكتبة التراث الإسلامي، د ت، ص07 – 08.

حفظ القرآن الكريم كله وهو في الحادية عشر من عمره، على يد محفظ القرآن بالقرية الشيخ عبد المجيد باشا الذي كان شيخا مسنا ، وكان يضرب الطلبة بعصاه ويعلقهم في الفلكة.

وكان والد الشيخ الشعراوي إذا ذهب به إلى الكتاب يقول لمعلمه "هذا ابني اكسر له ضلعا وأنا أعالجه" وكان الشيخ الشعراوي يشتكي من قسوة شيخه عليه حيث كان "يجد فيه قسوة غير منقطعة –يقول الشعراوي– فشكوت إلى أمي فقالت لأبي : قل للشيخ يخفف على ابنك. فسألها أبي: ماذا يفعل معه؟ أجابت يعمل كذا وكذا . فتبسم الأب قائلا: إذن عمل بالوصية "[1] .

وقد نال الشعراوي علقة ساخنة[2] من الشيخ عندما أخطأ في نطق جملة من القرآن وهي (حم عسق) ولم ينطقها حرفا حرفا كما سمعها من الشيخ، ومن هنا عرف الشعراوي جيدا أن القرآن نزل على رسولنا سيدنا محمد ﷺ مسموعا وليس مكتوبا... وكان المحفظ للقرآن يتقاضى قرش تعريفة كل خميس، أو قرشين صاغ شهريا، أو رغيفي عيش وعددا من كيزان الذرة [3].

ثانيا: بيئته ونشأته

1. قريته: عندما نتحدث عن البيئة لا نفصد بالضرورة المكان المجرد عم المكين، و إنما أصلا قيمة المكان تستمد من قيمة المكين، و إن كانت هناك بعض الأمكنة التي خصها الله بالذكر بغض النظر عن ساكنيها كما خص أشخاص دون أشخاص و أزمنة دون أزمنة، ولقد كانت البيئة التي نشأ فيها الشيخ الشعراوي مساعدة على سلوكه طريق العلم الشرعي حيث قال عنها: "من حسن حظي أن البيئة التي نشأت فيها تتسم بالصلاح والتقوى، فأما عن بيئتي الخاصة فقد كان أبي رجلا طيبا، وجدي كان رجلا له في طريق الله مجال. والبيئة العامة التي أعيش فيها هي القرية، والقرية –عادة– لا توجد فيها المباذل التي توجد في المدن. وكل هذا حصننا من السير في طريق الغوايات، لأنه لم يكن في محيطنا أسباب الغوايات[4].

1– الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة القاهرة، د ت ، د ط ، ص 11.

2– تعبير باللهجة المصرية والمقصود منه " الضرب المؤلم".

3– وعرفت الشعراوي، محمود جامع ، ص 09

4– الشيخ محمد متولي الشعراوي، مشوار حياتي آراء وأفكار ، فاطمة السحراوي، المختار الإسلامي، ط1، د ت، ص 09. وينظر: الشعراوي من القرية إلى العالمية، محمد محجوب حسن، ص 08 .

هكذا يفصح الشيخ عن أسباب سلوكه مسلك الصالحين، وذلك لما أفاء الله به عليه من بيئة التقوى والصلاح والعلم، التي كانت تغمره في أسرته أو في قريته. فقد كانت أيضا بلدة دقادوس "مشحونة بالهبات الدينية الروحية ومشغولة بها على مدار السنة، ثم يأتي رمضان كتتويج لهذه الهبات الدينية الروحية ... فإلى جانب المناسبات الدينية كالميلاد النبوي، والإسراء والمعراج، أو العيد الكبير، أو العيد الصغير، أو فترة الحج وما يصاحبها من الاحتفالات إلى جانب ذلك...-يضيف الشعراوي- كان عندنا خمسة مشايخ طرق: شيخ لطريقة سيدي أبي خليل، وشيخ لطريقة أبي الحسن الشاذلي، وشيخ لطريقة سيدي أحمد الرفاعي، وشيخ لطريقة سيدي عبد القادر، وشيخ لطريقة سيدي أحمد البدوي. وكان لكل شيخ مريدوه، وكل جماعة من المريدين كانت تدعوا شيخها إلى البلدة في بعض أو في كل هذه المناسبات، وعندما يأتي الشيخ من هؤلاء المشايخ تحتفل به البلدة كلها، وتجد جميع المساجد عامرة والخير ظاهرا ... فمعنى هذا أن جميع شهور السنة كانت لا تخلو من مناسبة لشحن المواجيد والمشاعر الدينية[1].

كما اشتهرت قريته التي ترعرع فيها بالمواقف الوطنية الباسلة، التي أشربت في قلبه حب وطنه وتعلقه به، حيث يقول: "أرضعتنا قريتنا حب الوطنية[2] ومن ثم كان للقرية أثر كبير في غرس الروح الإيمانية والحس الوطني والفطرة السوية عند الشيخ الشعراوي.

يقول الشيخ الشعراوي: "كانت حياة القرية نبعا للإيمان وترسيخا للعقيدة، ومنارا للسلوك القويم والعلم والتحصيل في أمور الدين"[3]. وكانت تمتاز بسمتين :

- أولاهما : أنها تشترك مع كل بقعة على أرض مصر في تلك الحمى الوطنية التي فجرتها ثورة 19

- والثانية : أنها كانت تجاور قرية "مسجد وصيف" بلد زعيم الثورة سعد زغلول .. والذي كان لا يمر علينا يوم إلا ونذهب لزيارته، وأضف إلى ذلك واقعة أخرى خاصة، فقد حدث أن وقع سعد زغلول من فوق الحمار، وهو يحمله متجولا في القرية، وكسرت ساقه.. وفي الحال استدعوا له الأطباء من القاهرة طبعا وتصادف أن كان في قريتنا أسرة تعرف باسم "المجبراتية"

1- الشعراوي الذي لا نعرفه، سعيد أبو العينين، ص 15 .

2- الراوي هو الشعراوي، محمد زيد، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، دط، دت، ص80 .

3- المرجع السابق، ص 78 .

وكانت شهرتها واسعة –حتى النساء منها- في أعمال تجبير الكسور وشارك كبيرها الشيخ سيدي أحمد في علاج الزعيم وسجلت لنا هذه المكرمة في علاقتنا معه"[1].

و كان هذا الأثر البالغ لقريته وبيئته واضحا فيه ومستمرا لديه، حتى في مختلف أطوار مراحله التعليمية التي قضاها خارج قريته، إذ بقيت تلك المبادئ التي نشأ عليها راسخة في ذهنه. حيث يقول الشيخ: "حين اضطرتنا الظروف أن ننتقل إلى المدن لنستكمل تعليمنا سواء في الزقازيق أو في طنطا، أو في القاهرة، كانت الخميرة قد انعقدت، وبدأنا نكبر أمام أنفسنا، ومعنى أن يكبر الإنسان أمام نفسه أن يستصغر عمل الشر من الآخرين، ولا يعمله هو، فيكبر في نفسه وأهم شيء في الحياة أن تكون مقاييس الإنسان عند نفسه سليمة، لأنه من الجائز أن أصحح مقاييسي عند الناس نفاقا أو رياء، وأخفي عنهم شروري، وعندما أتصفح أعمالي أمام نفسي أجدني صغيرا، فحين لا يكون لي رأي في نفسي أولا، فإن رأي الناس لا يعطيني مقياسا، ولأن البيئة كرمتنا وأسهمت في تربيتنا، بجانب انتسابنا للأزهر، كل هذا جعل الناس يحترموننا، فحرصنا ألا نفعل أي شيء يغض من هذا الاحترام"[2] .

ومن هنا فإن قريته التي نشأ فيها وبيئته التي تربى فيها، كان لها أثر كبير في تأصيل البعد الإيماني، وترسيخ الدافع الوطني، إلى جانب الانتساب إلى جامع الأزهر الذي أضفى على شخصيته مزيدا من الاحترام، حيث يصرح بذلك فيقول: " ولأن القرية أسهمت في تربيتنا بجانب انتسابنا للأزهر، كل هذا جعل الناس يحترموننا فحرصنا ألا نفعل أي شيء ينقص من هذا الاحترام أو أي شيء ينحدر بنا بعد أن كبرنا أمام أنفسنا[3].

كما يذكر الشيخ فضل هذه القرية التي كانت فيها بداياته في الشجاعة على مواجهة الناس والخطابة فيهم. حيث يقول: "كانت قريتنا تهتم أقصى اهتمام بالاحتفال بكل مناسبة، وهذا شجعنا على الخطابة ومواجهة الناس وفجر عندنا مواهب كثيرة، وعندما جاءت حكاية كوبري عباس، ومنعت الحكومة حفل تأبين ضحايا اليوم المشئوم، أقمنا حفلا أخذت أنا أكبر نصيب من الوقت في الخطابة، ولم يتحدث غيري سوى محمود نور الدين رئيس الوفد، الذي ألقى

1- الراوي هو الشعراوي، ص 56، وما بعدها .

2- الشيخ محمد متولي الشعراوي، مشوار حياتي أراء وأفكار ص 09 - 10 .

3- الشعراوي من القرية إلى العالمية، محمد محجوب حسن، ص 60 وما بعدها .

كلمة نشرتها الجرائد في اليوم التالي، وبعدها التفتت إلينا الحكومة وقالت: إننا الذين شكلنا لجنة وطنية، ونقف وراء كل التظاهرات والمشاغبات، إلى حد أنه حدث أن عقد اجتماع في المعهد ذات يوم، وأردنا أنا وأقراني أن نذهب إليه ونخطب فيه، فوجدناهم أغلقوا الباب بالجنازير، فسألني صديقي محمد شفيق محروس: كيف نحتال على الموقف، وندخل الحفل لنخطب؟ فقلت له: أحضروا لي عجلة وطاولة، وضعوا عليها عشرين رغيفا وسوف أتصرف، وأحضرت أنا طاقية ووضعت طاولة الخبز على رأسي، وأمسكت جادون العجلة بيد واحدة – كما يفعل موزعو الخبز- ودخلت المعهد بهذه الحيلة وبالفعل تمكنا من الوصول للحفل بهذه الحيلة وألقينا ما شئنا من خطب"[1].

2. أسرته : نشأ الشعراوي في أسرة متوسطة الحال، طيبة الأصول طابعها التدين وبالتالي لم يكن غريبا أن يهتم والد الشيخ الشعراوي بالحرص على تربية ولده وتعليمه وتنشئته في رحاب العلم والقرآن، ولقد كان لوالد الشيخ الشعراوي الأثر البالغ في صناعة هذه الشخصية الفذة، وفي توجيهها منذ البداية الوجهة الصحيحة التي تليق بمقام الشيخ الشعراوي. حيث يقول الشعراوي "كان والدي محبا للعلم ومصاحبا للعلماء، وكان يخدم كل واحد متصل بالعلم"[2].

ولقد كان والده حريصا على تحفيظه القرآن الكريم، حيث دفع به منذ نعومة أظفاره إلى الكتاب، وكان له ذلك حين أكرمه الله بحفظ القرآن الكريم كله وهو في الحادية عشرة من عمره على يد محفظ القرآن بقريته عبد المجيد باشا[3]. وكان الشعراوي كثيرا ما يحدث عن والده وعن فضله عليه لاسيما في حثه على حفظ القرآن فيقول: "قبل أن يأخذني أبي إلى كتاب سيدنا وأنا صغير... أعدني لهذا اللقاء اشترى لي كمية هدوم كويسة (ثياب جديدة)، وأنا أتساءل ليلة ذهابي للكتاب بيني وبين نفسي : يا رب ماذا يريد أن يفعل بي؟ وفي الصباح صلينا الفجر وتناولنا الفطور.. وأخذني أبي من يدي، وذهبنا إلى كتاب سيدنا الشيخ عبد الرحمن.. وسلمني إليه وهو يقول له : هذا ابني اكسر له ضلع وأنا أعالجه"[4].

1- الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، ص 25.

2- الشعراوي الذي لا نعرفه،سعيد أبو العينين، ص 16 وما بعدها .

3- وعرفت الشعراوي، محمود جامع ص 09 .

4- الراوي هو الشعراوي، محمد زيد، ص 25 وما بعدها.

ولقد ذكر الشيخ حرص والده على السلوك به مسالك العلم والعلماء، رغم تلكؤ الشيخ وتعلقه بالزراعة ونفوره – في بادئ الأمر عن العلم – ولذلك حاول والده جاهدا إلى شغله بالعلوم والتعلم، ولذلك لما أعلن عن فتح المدرسة الأولية التحق بها الشيخ حتى أصبح وقته مقسما بين الكتاب والمدرسة وفي ذلك يقول : "وفي هذه الأثناء أعلنوا في القرية عن إنشاء مدرسة أولية، وأصبحت موزعا بين المدرسة وبين الكتاب الذي يحرص عليه أبي لأنني كنت أحب أن أركب المحراث والنورج وغيرهما وكان أبي يتفنن في إبعادي عن الحقل لكي أتفرغ للعلم، ووجد أبي في المدرسة ما يخدم غرضه"[1] .

ولما جاءت فرصة الالتحاق بمعهد الزقازيق الديني الابتدائي، "ولم يكن يرغب في ذلك ، حاول أن يسقط نفسه في الكشف الطبي فوضع الشطة (الفلفل الحار) في عينيه قبل الكشف بأيام حتى تلتهب وتتورم.. ولكنه أسقط في يده عندما علم أن هناك قسما للمكفوفين.. وحاول مرة ثانية أن يتعمد اللخبطة (الفوضى وعدم الترتيب) في الامتحان الشفوي وفطن الشيخ (الأستاذ) إلى ذلك.. فنادى والده الشيخ متولي وسأله:؟ هل ابنك يحفظ القرآن؟ فقال: نعم. فرد الشيخ قائلا: إن هذا الولد يحاول أن يظهر بعدم الحفظ ويلخبط عن قصد.. واتجه إلى الشعراوي: قوم... ناجح"[2]. وآخر حيلة لجأ إليها لما أراد أن يبالغ في مصاريف الدراسة ، وذلك بشراء أمهات الكتب حتى يضيق على أبيه، ويدفعه إلى إيقافه عن الدراسة لكنه فوجئ بحرص والده إذ يروي الشيخ الشعراوي هذه القصة فيقول: "وفوجئت بوالدي يشتريها ويحضرها لي.. كل الكتب التي طلبتها... قال وهو يقدمها لي.. إنني أعلم بأن جميع هذه الكتب التي طلبتها ليس مقررة عليك، ومع ذلك فقد اشتريتها لك لكي تنهل من علومها وتنمي ثقافتك "[3].

3. من مظاهر تشجيع والده له على التعلم

ومن العجيب تلك الصور الرائعة لوالد الشيخ –رحمهما الله– فكان لا يتأخر في شيء يطلبه الابن في سبيل أن يهبه للعلم، وأن يصنع منه رجلا له أثره وبصمته في هذا العالم، ذلك أن

1– مذكرات إمام الدعاة، محمد زايد، دار الشروق، ط 4 ، 1998 م، ص 77.

2– وعرفت الشعراوي، محمود جامع، ص 09 – 10.

3– الشعراوي الذي لا نعرفه، سعيد أبو العينين، ص 19 .

الشعراوي أخذ شهادة الكفاءة، ورغب في أن يعمل موظفا وألح على والده في ذلك، وتشفع بأحبابه وأقاربه ليقبل ويوافق على رغبته، فلم يقبل و لم يوافق.

يقول الشيخ : ثم انتهت المسألة بأن سألني: كم يتقاضى من يوظف بالكفاءة قلت : لقد وظف زميلي الشيخ علي وزميلي الشيخ مصطفى بثلاثة جنيهات. فقال أبي : لك عندي أن توظف بهذه الجنيهات الثلاثة على أن تظل طالبا بالأزهر"[1].

إن رغبة والد الشيخ الشعراوي في جعل ابنه طالبا بالأزهر ومنتسبا إليه، جعلته لا يألو جهدا في توفير جميع الإمكانات –مع الحاجة والبساطة– كل هذا في سبيل انتساب ابنه إلى هذا الصرح العلمي العظيم.

يقول الشيخ : "إنه طلب من والده عشر جنيهات دفعة واحدة فاستدانها والده من أحد أصدقائه الذي رفض أن يكتب له الشيخ متولي إيصالا بالمبلغ، ووضع الشيخ متولي العشرة جنيهات في يد نجله محمد وأخذ يعدها جنيها جنيها.... ويتعجب الشيخ ... ولا يدري لهذه الظاهرة سببا ، وعندما سأل والده عن السبب في ذلك قال له: حتى آخذهم منك عندما تحصل على شهادة العالمية ثم دعا له : "ربنا ما يحوجك لي ولا لأحد آخر"أسأل الله أن لا تحتاج إلي ولا إلى أحد غيري"[2] .

وعلى سياق الدفع المعنوي يشير الشيخ إلى والده كثيرا وأنه "كان يسعد كثيرا –بحفظ ابنه المتقن– ويفاخر به، فكان عندما يأتي إلينا جمع من أصدقائه ينادي علي، ويقول لي: قل يا بني لأعمامك ماذا حفظت؟ فأكرر على أسماعهم ما أحفظه، وهم يطلبون مني التكرار لاستحسانهم ما أنطق به، وأنا أعيد وأكرر، وهذا التصرف من والدي –الذي كان يفاخر بي عن ثقة واعتزاز بابنه –كان يمنحني أكبر الدفعات لكي أضاعف من التحصيل، ويااليت الآباء يشجعون أبناءهم على نحو ما فعل أبي، ليصبح منهم أنجح الأبناء وأكثرهم تميزا وتفوقا"[3].

1– الشعراوي من القرية إلى العالمية، محمد محجوب حسن، ص 99 .

2– وعرفت الشعراوي، محمود جامع، ص 10.

3– الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، ص 21– 22 .

ولئن كان والده له بالغ الأثر في تربيته وتحبيب العلم إليه، فإن أمه -رحمها الله-كانت أمية بسيطة لا يظهر لها أثر في حياته التعليمية، بينما يظهر جليا أنها أشربت في قلب ابنها حب التدين والأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة التي تجمل الإنسان.

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

ولذلك يقول الشيخ متحدثا عنها "كانت أمي على الفطرة إلى حد يقرب من السذاجة، ولكنك لا تراها إلا وهي تعمل أي شيء في البيت، وأذكر أننا كنا نقيم موسما سياسيا في ذكرى سعد زغلول، ونحيي الذكرى بحفل كبير، وبعد أن انتهى الحفل الذي ألقيت فيه كلمة كأحد شباب القرية، وعدت إلى بيتنا الذي كان قريبا من الجرن الواسع المقام فيه السرادق، وجدت أمي تجلس على باب البيت فقلت لها : السلام عليكم ... لكنها لم ترد، فسألتها : ماذا حدث؟ فقالت لي: أسكت ولا تتكلم وسألتها متعجبا: أنا أغضبتك في شيء؟ فردت في ضيق: كل الناس قالت كلامها في أمان الله إلا أنت كلما تكلمت قال لك الناس : أعد أعد ...فلم لا تحفظ جيدا يا بني قبل أن تتكلم. فأخذني أبي إلى جانب وقال لي: ألم أقل لك إن أمك فهمها بسيط ؟. ففي حين كان الناس كان الناس يقولون لك أعد لاستحسانهم كلامك فهمت أنهم يقولون لك أعد: أي راجع نفسك"[1].

ولقد كان لهذه القصة وقع في حياة الشيخ إذ أرشدته إلى ملمح تربوي تعليمي عظيم ، وهو التعامل مع الناس بقدر ما يفهمون ويعلمون فقد علق الشيخ على هذه الحادثة بقوله: "عرفت لونا من فطرية الفهم لكثير من الأشياء، جعلني أتعامل مع الناس على أساس أنهم لا يعلمون، ولقد تأثرت بذلك في حياتي مع الناس، ولهذا تجدني أحاول جاهدا حين أدخل في أي موضوع أن أبدأ مع الناس من " ألف باء " العلم "[2].

ثالثا : حياته العلمية وتدرجه في الوظائف

بعد إدراك الشيخ الشعراوي الاهتمام البالغ من قبل والده وحرصه على أن يسلك مسالك العلم والعلماء، بدأ يلتفت إلى الاهتمام بالدراسة فحصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة

1- المصدر نفسه، ص 22-23 .

2- الشعراوي من القرية إلى العالمية، محمد محجوب حسن، ص 24 .

1930م، والتحق بالقسم الثانوي بمعهد الزقازيق وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام 1936م، ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة حيث حصل على شهادة العالمية سنة 1941م، ثم حصل على إجازة التدريس سنة 1943م، ثم عين مدرسا بمعهد طنطا الديني، ثم انتقل إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم الإسكندرية، ثم أعير للسعودية سنة 1950م ليعمل أستاذا للشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وأخذ يدرس علم العقيدة رغم أن تخصصه في اللغة العربية، ولكنه أثبت تفوقه في مادته مما لاقى استحسان الجميع وتقديرهم واحترامهم. وفي عام 1960م عين وكيلا لمعهد طنطا، ثم مديرا للدعوة بوزارة الأوقاف سنة 1961م، فمفتشا للعلوم العربية بالأزهر سنة 1962م، ثم مديرا لمكتب الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر سنة 1964م، وقد رفض الشيخ الشعراوي قبول هذا المنصب وكان الشيخ حسن مأمون من خريجي مدرسة القضاء الشرعي وليس من خريجي الأزهر وقد تسبب تعيينه شيخا للأزهر حساسية شديدة عند علماء الأزهر، فصمم على اختيار الأزهري الشيخ الشعراوي مديرا لمكتبه درءا لهذه الحساسية، وقال له : لن تكون مهمتك تحديد مواعيد الزائرين أو مسائل إدارية خاصة بي، ولكنك مستشاري في كل ما يتعلق بالأزهر والدعوة الإسلامية، وسيكون جلوسك دائما بجواري في مكتبي وتكون أخا لي وليس مديرا لمكتبي. ثم عين رئيسا للبعثة الأزهرية بالجزائر سنة 1966م، ثم مديرا لأوقاف محافظة الغربية، ثم عين عام 1970أستاذا زائرا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ثم رئيسا للدراسات العليا بها حتى عام 1972م، ثم عين وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر سنة 1976م، وترك الوزارة سنة 1978م ثم اختير عضوا بمجمع البحوث الإسلامية سنة 1980م، ثم عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1987م، واختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضوا بالهيئة التأسيسية [1].

ومع كافة هذه الالتزامات المهنية كان لا يتوانى عن الحرص على "برنامجه التلفزيوني الشهير "نور على نور"، ومن خلال هذا البرنامج عرفت مصر على المستوى الشعبي الشيخ الشعراوي، حيث استمر هذا البرنامج عدة سنوات–بداية من 1973م– وكان الشيخ الشعراوي هو ضيفه الدائم،

1- ينظر : وعرفت الشعراوي،محمود جامع، ص 10-11. و الشعراوي إمام الدعاة مجدد هذا القرن، مجموعة من العلماء، هدية مجلة الأزهر، مطابع روز اليوسف الجديدة، جمادى الأخيرة، 1419 هـ ، ص21-22. والشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، ص 31 وما بعدها.

وتحلقت الأسر المصرية حول أجهزة التلفزيون، وحرصت على الاستماع إليه طوال خمسة وعشرين عاما تقريبا، وانبهر الجميع بأسلوبه في تفسير القرآن الكريم "[1].

ونظرا لجهوده العظيمة وتفانيه في خدمة القرآن الكريم، حظي الشيخ -رحمه الله- بتكريمات عديدة، حيث منحه الرئيس المصري أنور السادات وسام الجمهورية عام 1976م. كما منحه الرئيس المصري حسني مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام 1988م، وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام 1988م، ومنح الدكتوراه الفخرية في الآداب من طرف جامعة المنصورة عام 1990م، وفي سنة 1998م كرمته "دبي" باختياره الشخصية الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي لعام 1998م[2].

رابعا : شيوخه وتلاميذه وأهم مؤلفاته

أ: شيوخه

في الكتاب : الشيخ عبد المجيد باشا .

في معهد الزقازيق الأزهري: الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ أحمد مكي شيخ معهد الزقازيق.

في كلية اللغة العربية: شيخ الكلية إبراهيم حمروش ، والشيخ عبد الغني علي حسن ، والشيخ أمين سرور، والشيخ محمد غرابة، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز، والشيخ عبد المتعال الصعيدي، والشيخ محي الدين عبد الحميد إبراهيم [3].

ب : تلامذته

أما عن تلامذته فهم كل مشاهد جلس أمام شاشات التلفزيون وألقى السمع وهو شهيد، وكل من حضر له درسا أو محاضرة، وكل من اقتنى له كتابا، وكل من شاهده وجلس إليه[4].

يعرف عن الشيخ الشعراوي فكره الموسوعي، ولعله المؤسس لما يمكن أن نصطلح عليه بالتفسير الشفهي أو الإملائي، وهي عادة قديمة عند العلماء كانت تعرف بالأمالي غير أن الشيخ – رحمه الله- ساعده ظهوره على التلفزيون في البرنامج الشهير "نور على نور" على أن تكون له شعبية

1- الشعراوي إمام الدعاة، ص 22.
2- ينظر الشعراوي إمام الدعاة ص 23 وما بعدها .
3- ينظر: الشعراوي إمام الدعاة ص 27 - 31 .
4- المرجع السابق، ص 31 .

كبيرة، وأن تكون له طبقة واسعة تستمع إلى تفسيره. خاصة وأن طريقته في التفسير اتسمت بالسهولة والبساطة مما سيأتي الحديث عنه في حينه.

غير أن مما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ الشعراوي -رحمه الله- اشتهر كمفسر ومحاضر،لا كمؤلف وكاتب، وقد أبدى الشعراوي لذلك سببين :

الأول: رغبته في وصول تفسيره، واستفاضة بيانه إلى أكبر عدد من الناس، فاختار الإلقاء ولم ينشغل بالكتابة التي هي أقل انتشارا، وأضيق من دائرة السماع. وعن ذلك يقول: "حكاية الكتابة دي صعبة علي... لماذا؟ لأن الكتابة أكتب لمن يقرأ ولكن حين أتكلم أتكلم لمن يسمع، والسماع أعم وسيلة في الخطاب... ولكن إذا حاولت الكتابة فأنا أكتب"[1].

والثاني: كون التحدث والإلقاء أسهل وأيسر من الكتابة والتسطير، فالتأليف مجال يختلف عن التحديث الذي غالبا ما يكون بأسلوب سهل وبسيط غير متكلف... أما الذي يريد كتابتها فهو يحتاج إلى هضم جوانبها والإلمام بأبعادها، هذا بالإضافة إلى التعبير عنها بأبلغ الأساليب وأفصح العبارات حتى تضبط العبارة ويتحرر المقصود وينكشف المعنى، وقد أدرك الشعراوي هذا الفارق بين الإلقاء وبين الكتابة فاختار الأول وزهد في الثاني قائلا: "وأنا إذا كتبت أتعب لأني حريص على أن تكون كتابتي كتابة ليست مجرد كلام عامي"[2].

وعليه فإن جميع ما هو متداول مما ينسب من مؤلفات إلى الشيخ الشعراوي -رحمه الله- لم يكتبه بيده، وإنما هو من عمل الناشرين الذين قاموا بطبعه بعد جمعه من محاضرات الشيخ ودروسه، ولقاءاته، ومقالاته، وحواراته .

بيد أن المؤلف الوحيد الذي تصح نسبته إليه بلا منازع هو ما يحمل اسم "تفسير الشعراوي" وهو عبارة عن جمع لدروس الشيخ التلفزيونية التي كان يقدمها في برنامجه الشهير "نور على نور". يقول الشعراوي: "إذا كان بعض الناشرين قد تعجل فجعل حديثي مقروءا بعد أن كان مسموعا، فذلك لون من كسب الوقت وغيره، وإنني وإن شكرتهم على ما نشروا إلا أنني

1- حوار من الألف إلى الياء ، طارق حبيب، المكتبة العصرية، ط1، دت، ص 23 .

2- الشعراوي الذي لا نعرفه، سعيد أبو العينين، ص 38 .

سأوفر الكتَاب لتكون كتابا إلى أن أعاود وأراجع واستذكر، وأستدرك، وفي الله الأمل أن يحقق لي أمنية حياتي"[1].

ج: مؤلفاته

لم يعرف للشيخ الشعراوي مؤلف كتبه بيده، وجميع ما يتداول من كتب تحمل اسمه إنما هي في الحقيقة مأخوذة من سلسلة محاضراته ودروسه خلال مسيرته العلمية، قامت دور النشر بنشرها. وعليه فإن العديد من تلك المؤلفات لم يطلع عليه الشيخ الشعراوي ولا أذن بطبعه، وصارت العديد من المؤلفات تنسب إلى الشيخ وتعتمد كونها صحيحة النسبة إليه .

وقد نبه الشعراوي إلى ذلك في حياته حين قال: "إذا كان بعض الناشرين قد تعجل فجعل حديثي مقروءا بعد أن كان مسموعا، فذلك لون من كسب الوقت وغيره، وإنني وإن شكرتهم على ما نشروا إلا أني سأوفر الكتاب لتكون كتابا، إلى أن أعاود وأراجع وأستذكر وأستدرك، وفي الله الأمل أن يحقق لي أمنية حياتي"[2].

ولعل المؤلف الوحيد الذي تصح نسبته إلى الشيخ الشعراوي، ويعتمد عند الرجوع إلى أقواله والبحث عن آرائه، هو تفسيره الذي كان يقدمه في شكل دروس تلقى في برنامجه الشهير "نور على نور" وقد أذن الشيخ بكتابتها وطبعها بعد تهذيبها، كما أجاز لمؤسسة أخبار اليوم أن تشرف على العملية.

وعليه سأورد فيما يلي أبرز المؤلفات والكتب التي تحمل اسم الشيخ –رحمه الله – والتي شملت مختلف العلوم والفنون، وإن كان الحظ الأكبر والنصيب الأوفر منها خصصه خدمة للقرآن الكريم في تفسيره القيم "خواطر الشعراوي" ولذلك يمكن أن نجمل كتب الشيخ –رحمه الله– كالآتي:

1- القرآن الكريم وعلومه

- تفسير الشعراوي(18جزءا).

1- جريدة المسلمون، العدد 25، الصادرة بتاريخ: 1982/04/16م.

2- جريدة المسلمون، العدد 25، بتاريخ: 1982/04/16م .

- معجزة القرآن (11جزءا).

- المختار من تفسير القرآن الكريم (3 أجزاء).

- تفسير سورتي القارعة والتكاثر.

- أسرار "بسم الله الرحمن الرحيم".

- في رحاب الهدى القرآني.

- متشابه القرآن.

- تفسير سورة النبأ.

- الأمثال في القرآن الكريم.

- مع القرآن وقصصه.

- المنتخب في تفسير القرآن الكريم.

- الجهاد في القرآن الكريم.

- نظرات في القرآن الكريم .

2- مباحث فقهية

- الفتاوى الكبرى.

- الحلال والحرام.

- 100سؤال وجواب في الفقه الإسلامي جزءان.

- الفتاوى 10 أجزاء.

- الصلاة وأركان الإسلام.

3- مباحث العقيدة والأخلاق

- القضاء والقدر.

- تسخير الجن وكرامات الأولياء .

- الله والكون .

- الإسلام عقيدة ومنهج.

- خطر الكفر والنفاق على المجتمع الإسلامي.

- لا إله إلا الله وإثبات وجود الله.

- عقيدة المسلم.

- الأدلة المادية على وجود الله.

- الحياة والموت .

- القضاء والقدر.

- يوم القيامة .

- الغيب.

- السحر والحسد .

4- السيرة النبوية

- الإسراء والمعراج

- معجزات الرسول ﷺ.

- السيرة النبوية.

- الرسول ﷺ بين مكة والمدينة.

- من صفات الرسول ﷺ.

- هجرة الرسول ﷺ.

- الشمائل المحمدية ورد شبهات المستشرقين .

5- الفكر الإسلامي

- الله في الإنسان.

- شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام والرد عليها.

- روح الإسلام ومزاياه.

- قضايا معاصرة.

- عدالة الله.

- الإسلام بين الرأسمالية والشيوعية.

- واجب المسلمين أمام تحديات العصر.

- الشورى والتشريع في الإسلام.

- الإسلام والمرأة .

6- بحوث عامة

- الإنسان والشيطان.

- الرزق.

- الكهف.

- خطب الجمعة والعيدين.

- مريم والمسيح عليهما السلام.

- قصيدة الباكورة.

- التربية الإسلامية.

- الكعبة في حماية الله.

- أعداء الإسلام.

- المرأة كما أرادها الله.

- قضايا إسلامية.

خامسا : أخلاقه

1- كرمه : كان جوادا في كل شيء، وكان المال أقل شيء له قيمة عنده، أنفقه يمنة ويسرة وجعله مشاعا لمن رغبه ، لم تتقاعس نفسه وتفتر همته في إنفاق أو عطاء ، علم أن الصدقة لا تنقص المال فأرسلها غيثا فهطلت عليه سيلا[1]. ومن الأدلة على كرمه وسخائه أنه أقام -رحمه الله- خمس موائد للرحمن في خمس مناطق هي مائدة السيدة نفيسة ، ومائدة الإمام الشافعي ، ومائدة الإمام الليث، ومائدة السيدة زينب، ومائدة الإسكندرية ... كما كان يخرج كل يوم جمعة حوالي خمسين مظروفا بها مبالغ مالية موجهة إلى مختلف المستشفيات لعلاج الفقراء والمحتاجين على نفقته الخاصة، رغم أن بعضها كان يتكلف مبالغ طائلة .. وكانت هناك حوالي مائتان وخمسون أسرة تحصل على إعانات شهرية من جيبه الخاص، إلى جانب مساعدة الطلاب غير القادرين من مصر والدول الإسلامية، وأنفق ستة عشر مليونا من الجنيهات على المجمع الديني والصحي والعلمي الذي أقامه بقريته دقادوس[2].

ولما سئل مرة عن أمواله الخاصة قال: إن حصيلة حياتي كلها لله .. كل ما أعطاني الله أرسلته إلى بلدي، أقمت المجمع الديني في ميت غمر، فيه قسم طبي لكل التخصصات، ومؤسسة أيتام ومدرسة تجريبية، ومؤسسة زكاة، ومشغل الفتيات، ومعهد ديني، ومركز لتعليم الكومبيوتر، ومسجد كبير، وأقمت مدارس لوزارة التعليم ومساجد للأوقاف ومستشفى بوزارة الصحة[3].

1- الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، ص 79.

2- محمد متولي الشعراوي، جولة في فكره الموسوعي الفسيح، ص 38 . و ينظر: الشعراوي إمام الدعاة ص 12-13 .

3- مجلة أكتوبر المصرية، العدد الصادر بتاريخ: 1997/06/08م .

وقد أشار نجله الشيخ عبد الرحيم إلى أن الشيخ كان عاشقا وبارا بالفقراء والمساكين، لدرجة أنه أعد صالة فخمة للطعام في مترله لم يكن يأكل فيها سوى الفقراء والمساكين بصحبته، وكان يضمهم إليه ويقبلهم ويدعو لهم جميعا، أما باقي الناس بمختلف مناصبهم فكان يأكل معهم داخل المطبخ، وحينما تعجب البعض لذلك أجاب الشيخ إن الفقراء يسمعون عن الجنة وقد لا يتخيلوها ولذلك أقرب إليهم الصورة، ويعلمون أن عبدا من عباد الله أنعم الله عليه بذلك فتطمئن نفوسهم، وتقترب الصورة إلى خيالهم فيحسنون العمل طمعا في أن يدخلوا الجنة" [1].

وقد ذكر أنه تبرع بمليون جنيه لتدعيم حفظة القرآن الكريم على مستوى جمهورية مصر، كما تبرع بقيمة جائزة أحسن شخصية إسلامية لعام 1997 التي كانت من نصيبه لصالح طلاب الأزهر الوافدين من الدول الإسلامية، وكان له إسهامات مالية كثيرة في المشاريع الخيرية[2].

كما أنه أسس مشروعا لكفالة الأيتام بقريته حيث تم حصر جميع الأسر التي توفي عائلها، وخصص وديعة بالبنك للصرف شهريا على هذا المشروع، حيث يتم صرف إعانة شهرية للأيتام تتراوح ما بين 15إلى 50 جنيها. ويقول مدير أعماله المهندس عبد الرحيم البيضاوي : لا يوجد أي يتيم في القرية لا يأخذ إعانة شهرية نقدية، بالإضافة إلى الملابس والهدايا التي تقدم لهم في كل مناسبة، وكان فضيلة الشيخ الشعراوي يحرص أن يأتي في بعض المناسبات ليقوم بنفسه بتوزيع هذه الأشياء"[3].

ويقول سائقه الشخصي عبد المنعم فرغلي: "عملت مع فضيلته –رحمه الله– ولم أجد منه إلا الكرم وجزيل العطاء لكل محتاج –ويضيف سائقه أنه خلال ملازمته له– لاحظت أنه يضع أموالا كثيرة في"تابلوه" السيارة تخصص للمحتاجين الذين يقابلهم مصادفة في طريقه"[4]. وهذا لعله غيض من فيض فقد كان –رحمه الله– بحسب الشهادة أصلا في السخاء ومعينا في الكرم لا ينضب.

2– تواضعه :

1– قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، 78.

2– قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، 22.

3– المصدر نفسه، ص 69.

4– الشعراوي وحديث الذكريات، ص 81 .

لقد كان الشيخ – رحمه الله – مع كل ما أنعم الله به ومن عليه من سعة العلم، وقوة الشخصية وعلو المكانة، غاية في التواضع ولين الجانب، لأن التواضع صفة كل مؤمن وسمة كل عالم. فقد كان–رحمه الله– "منذ أن كان طالبا كان ينظف أحذية أساتذته ومشايخه في الأزهر، دون علمهم تقديرا منه لقيمة العلم"[1].

ولقد كان يتمثل مقولة أبيه "العلم لا تتأتى فتوحاته إلا بالتواضع" وجعلها ناقوسا يصيح مع كل نبضة قلب، ونبراسا يضيء له الطريق إلى قلوب الناس[2].

ومما أثر عن تواضعه أنه عندما كان يلقي محاضرة دينية بجامعة القاهرة، فاحتفى به الناس احتفاء شديدا حتى إنهم حملوه بسيارته فظن أن شيئا داخله في نفسه، وخشي الغرور والكبر، فراح إلى مسجد سيدنا الحسين ودخل دورة المياه وأخذ ينظفها[3].

بل بلغ التواضع من الشعراوي أنه لم يجلس على كرسي الوزير طيلة الفترة التي قضاها بالوزارة يقول الشعراوي : "سألني السادات في دهشة هل صحيح يا شيخ شعراوي أنك لا تقعد على مكتبك في الوزارة، وأنت تتركه وتجلس بعيدا على كرسي إلى جانب الباب. قلت له: إيوه يا ريس صحيح الكلام ده باقعد على كرسي "خرزان" جنب الباب فسألني : وإيه الفكرة من أنك تترك المكتب والكرسي الجلد المريح والفخم... وتجلس بعيدا على كرسي خرزان جنب الباب فقلت: علشان يبقى الباب قريب.. وساعة ما " ترفدوني" أجري وأقول يا فكيك إتعتقت والحمد لله وضحك الشعراوي. كما كان يكره الشعراوي أن ينادى بلقب "الوزير الأسبق"[4].

"ومن أبرز مظاهر تواضعه وتعظيمه وتوقيره لأهل العلم، وبخاصة شيوخ الأزهر موقف حدث أثناء انعقاد مؤتمر دولي عن الاقتصاد الإسلامي في لندن عام 1976 وكان فضيلة الإمام عبد الحليم محمود–رحمه الله–شيخ الأزهر في ذلك الوقت، وفضيلة الشيخ الشعراوي –رحمه الله– من المشاركين في ذلك المؤتمر. فزار الشيخ الشعراوي الشيخ عبد الحليم في مقر إقامته بأحد الفنادق، وقام الشيخ عبد الحليم برد الزيارة في مقر إقامة الشيخ الشعراوي بأحد الفنادق

1– الشعراوي إمام الدعاة، ص 12 .

2– الشعراوي وحديث الذكريات، ص 78.

3– الإمام الشعراوي مفسرا وداعية ص 22 ، وينظر: الشعراوي وحديث الذكريات، ص 79.

4– الشعراوي الذي لا نعرفه، ص 189 .

الأخرى، ولما استقبل الشعراوي الشيخ عبد الحليم محمود رحب به بحب وحفاوة شديدين وهو يقول: " أنا الذي أسعى إليك فأنت شيخ الأزهر، وأزورك مرة ومرات ولا أنتظر رد الزيارة وأنت شيخنا وشيخ المسلمين".

ثم كانت المفاجأة فقد جلس الشيخ الشعراوي على الأرض، وأصر على ألا يجلس على مقعد طوال فترة زيارة الشيخ عبد الحليم له، بالرغم من الإصرار المستمر من جانب الشيخ عبد الحليم على أن يجلس الشيخ الشعراوي على المقعد المجاور له...هكذا كان الرجل يقدر العلم ويوقر العلماء، فاستحق هو نفسه التعظيم والتوقير"[1].

وكان تواضع الشيخ حتى مع عامة الناس من البسطاء، حيث يحكي أحد أبناء قريته أنه "عندما ذهب الشيخ الشعراوي قي القاهرة لأمر ما حينما كان وزيرا للأوقاف، وأثناء الصعود إلى مسكنه استوقفه الأمن (هذا الشاب البسيط) وحدثوه بلهجة جافة ومنعوه من الصعود إليه، وعندما بكى أمامهم أخذوا منه بطاقته وصعدوا إلى فضيلته فأمر بإدخاله فورا، وعندما رآه الشيخ وكانت تبدو عليه آثار البكاء فهب من مجلسه وسأله عن سبب البكاء، فأخبره عما حدث وعلى الفور أصدر فضيلته أوامره بإقالة الحراس، وأعلنها مدوية بأنه لا يرغب في وجود حرس له بعد ذلك "[2].

ومن المواقف التي لا تنسى أن الشيخ الشعراوي بكى مرة بسبب عبارات وردت على لسان الدكتور الحسيني أبو فرحة يصف فيها الشيخ الشعراوي بأنه" قطب الأقطاب"، وأنه هو "الغوث" وأن الله يكرمنا ببركته، ساعتها غضب الشيخ وبكى وانهمرت دموعه وانتفض واقفا ودخل إلى حجرته وأغلق عليه الباب، وجرى وراءه الدكتور أحمد عمر هاشم ليخرج بعد ربع ساعة من عند الشيخ الشعراوي ويقول: إن الشيخ غضبان لأننا نمدحه فهو لا يطلب من أحد أن يمدحه. وبعد نصف ساعة خرج الشيخ من حجرته وهو يقول: "حرام لا تقصموا ظهري...إني أقل من التراب وأسأل ربي أن يجعلني من المتواضعين.

1- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص155.

2- الشعراوي وحديث الذكريات، ص 79.

أما المرة الثانية التي بكى فيها الشيخ الجليل فكانت في نفس الجلسة عندما تذكر الشيخ الشعراوي والده الراحل قال:" كان أبي فلاحا ولكن وصاياه لي أفادتني كثيرا في حياتي، لا أنسى نصيحته لي حينما دخلت الأزهر حينها قال لي: يا أمين ...تمسك في ربنا وضع رجلك أينما تريد، ولا أنسى نصيحته الثانية لي:"يا أمين ...خليك في طابور المتواضعين...طابور المتكبرين طويل، ولكن طابور المتواضعين فاضي...وبكى الشيخ الشعراوي ليلتها وأبكى كل الحضور"[1] .

ويقول عنه الشيخ عمر عبد الكافي " الشيخ الشعراوي أشبه ما يكون بالرعيل الأول من الصحابة والتابعين، الذين أخلصوا في خدمة دينهم. وعن تواضعه يحكي قائلا: حاول أحد رؤساء تحرير إحدى المجلات الأسبوعية الوقيعة بيننا بأن قال على لسان الشعراوي ما لم يقله في حقي كداعية، فما كان منه إلا أن أصر على أن يأتي إلى بيتي ليوضح لي الحقيقة كاملة، وعندها سارعت أنا بالذهاب إليه بمنزله وقبلت يده ورأسه، وهو بهذا يضرب المثل العملي في التواضع والمعاملة بالحسنى للجميع مهما كان قدره"[2].

3- جرأته وشجاعته:

عرف عن الشيخ – رحمه الله- جرأته الشديدة وشجاعته في مواجهة خصومه، وكان لا يخشى في قول الحق لومة لائم، وها هو يقص أحد المواقف يحكى أنه "عندما أصبح عبد الرحمن حسن شيخا للأزهر وأنا مدير للأزهر، جاءوا بصورة لجمال عبد الناصر وهو يصلي ووضعوها في مكتبه، ووجدوا أن هذا يكون مناسبا، وقال لي شيخ الأزهر اكتب لنا كلمتين نضعهما تحت الصورة: فسألته وكان يحبني جدا: هل هذا توجيه أم تطوع بالنفاق؟ فضحك بصوت مرتفع، وقلت له: سأكتب كلمتين لكن بشرط أن تكتب بخط يدك فالتقط ورقة وقال لي: موافق فقلت له: إذن اكتب بخط واضح.

غدا تتوارى في سراديب من مضى ويمضي الذي يأتي لسراديبكم حتما

ولـــن يقف الدولاب والله دائـــم فليتكـــــم مـــا تذكرتمـــوا لمـــا

1- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص 87.

2- الشعراوي وحديث الذكريات، ص 78.

يقول الشيخ وفوجئت بالشيخ عبد الرحمن يقول لي بصوت حاد: أبدا لا أقدر على كتابة هذا أبدا[1].

ومن مواقفه الشجاعة أنه " في مرة قام أحد أعضاء مجلس الشعب بالأذان للصلاة في أثناء إلقاء السادات لإحدى خطبه فطلب منه السادات الجلوس وقال: العمل عبادة وخرج الرجل ليصلي خارج القاعة، وخرج أيضا الشعراوي بينما خشي الباقون مغادرة أماكنهم، وبعد انتهاء الجلسة عاتب الشعراوي السادات وقال له: أن العمل عبادة غير مفروضة فرد السادات قائلا: أنا غلطان[2].

وإلى جانب كل هذا كان رجل علم وورع ودعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وقد عرف عنه دعوته إلى الإصلاح والمناداة به في جميع الأصعدة، و لم يدخر في ذلك جهدا ويعتبر تفسيره خير شاهد على ذلك. و قد سئل مرة عن منهج الإصلاح الذي يجب أن يتبع فأجاب -رحمه الله-:" أولا بحسن القصد والتوجه إلى الله تعالى. وثانيا: بالمحاولة المستميتة في إصلاح الأفراد والأسر، وثالثا: بالنصح الهادئ للجميع فالدين النصيحة، ورابعا: بذل الجهد والعرق في توحيد المسلمين"[3] .

4- حلمه وعفوه

العفو إحدى الخصال الحميدة التي أمر الله بها عز وجل وتحلى بها النبي ﷺ وهي الصفة التي كان الشيخ يتحلى بها وكان يظل بها على من حوله من الأهل والأصدقاء وعامة الناس ولو كلفه ذلك أموالا طائلة، ومما أثر عنه أنه "جاء إليه أحد الوزراء السابقين للأوقاف وطلب منه مليونا ونصف مليون جنيه كقرض، وأعطاه الشيخ المبلغ وأعطاه الوزير شيكا بدون رصيد بالمبلغ وظل فترة طويلة والشعراوي لا يسأله عن المبلغ، وبعد ذلك طلبه ولكنه ماطل كثيرا و لم يسدد المبلغ. - ولما أشار عليه بعض أصحابه بأن يرفع عليه قضية ويحبسه- أخرج الشيخ شيكا من حافظة

1- المرجع السابق، ص 42، و ينظر: وعرفت الشعراوي، ص 200 .

2- الشعراوي وحديث الذكريات، ص 44.

3- آخر لقاء مع 20 عالما ومفكرا إسلاميا، ص108.

نقوده وطفق يمزقه ... وقال: منه لله. وربنا يسامحه .. وكان يقول: موصيا سائقه الشخصي: "يا بني من لا يطاوعك طاوعه أنت، ودائما اعمل الخير"[1].

سادسا : رحلاته

تحدثت كثير من الكتب التي أرخت لحياة وسيرة الشيخ الشعراوي عن رحلاته إلى مختلف البلدان عربية كانت أم إسلامية، والمعروف عن الشيخ أنه كان واسع النظر كثير التأمل، مما جعله يتصف بشخصية قوية، فكان سريع البداهة، قوي الملاحظة، ثاقب الذهن، ولازمته هذه الصفات حتى صار في مصاف العلماء. أين كثرت رحلاته التي كان جلها في سبيل الدعوة إلى الله، وترسيخ معالم الهداية الإسلامية، ولذلك لما سئل الشيخ : ما الهدف من زيارة أمريكا وأوروبا؟ أجاب الشيخ قائلا : إنني لم أذهب إلى هذه البلاد لأبشر بالإسلام، وإنما كان الذهاب لاستبقاء الإسلام في نفوس المهاجرين إلى هذه البلاد،حتى لا تأخذهم حضارات الغرب إلى متاهات الانحلال. وقد حرصت -يضيف الشيخ- على توضيح حقيقة الإسلام مما أدى إلى اعتناق عدد من أهالي هذه البلاد الإسلام، بعد معرفتهم أن الإسلام وصل إليهم محرفا تحريفا مقصودا ممن لا يسرهم أن ينتشر الإسلام في هذه البلاد. ولقد لاحظت أنهم يستمعون إلى رجل الدين إن وجدوه مقنعا مستميلا، وقد عبروا عن ذلك بالإقبال على دراسة قضايا الإسلام، وكثيرا ما انتهى الأمر خاصة في القمم الفكرية إلى اعتناق الإسلام والدعوة إليه"[2].

وقد سجل للشيخ مواقف متميزة منها خطبته في المسجد الملحق بمبنى الأمم المتحدة، التي ألقى فيها باللائمة على الهيئة الأممية -أنها لم تنصف العالم الثالث ولم تقف إلى جانبه- يقول الشيخ: " أين هي القضايا والمشاكل التي وجدتم لها حلولا ؟. أروني حقا واحدا وقفتم بجانبه حتى يعود لصاحبه؟ لقد أنشئت هيئة الأمم المتحدة على إثر الويلات التي نالت الضعيف من القوي، ونحن نريد لها ألا تكون شكلا بل تكون ذات موضوع يحقق الغرض الذي أنشأت من أجله، فلا

1- الشعراوي وحديث الذكريات ص 80-81 .

2- المصدر نفسه، ص 66.

تكتفي بتوجيه النداءات والتوجع والتأسف، بل عليها أن يكون لها القوة التي تدفع الظلم وتنصر بها المظلومين"[1].

ورحلته إلى تشيكاغو التي التقى فيها بمحمد أليجا – زعيم جماعة أمة الإسلام – والتقى بابنه وريث الدين محمد أليجا. يقول الشيخ متحدثا عنها "كان اللقاء الأول عند الأمير محمد الفيصل... ودار بيننا حديث طويل تكررت اللقاءات، سألني عن الكثير من أمور الدين وأوضحت له الكثير مما يجب أن تكون عليه الدعوة إلى الدين الحنيف ووعدني بالتصحيح وعاد إلى أمريكا. وقام بالتصحيح والتعديل لكل المفاهيم والمعتقدات التي لا تتفق مع روح الإسلام"[2] .

وكان للشيخ أربع رحلات إلى كندا كانت الأولى سنة 1978م بدعوة من المركز الثقافي الإسلامي في "أوتاوا"، وكانت الثانية زيارة ودية لأحد أبناء أصدقائه الأعزاء "الدكتور عصام عابد الشيخ "، أما الثالثة فكانت للسياحة والاعتبار، والرابعة لإلقاء محاضرة.

أما عن زيارة الشيخ إلى لندن فيقول: "واحدة من هذه المرات كانت لحضور مناقشة رسالة الدكتوراه التي تقدم بها عصام عابد الشيخ، وهو شاب كان والده وزيرا للتجارة وكان صديقا حميما، وفي أخرى ذهبت للعلاج والتخلص من المرارة التي كنت أعاني منها.

أما بقيت المرات فكانت في خدمة الدعوة الإسلامية، واللقاء بالمسلمين المهاجرين، والمشاركة في مؤتمرات إسلامية عقدت في لندن[3]. والتي من من بينها مؤتمر الاقتصاد الدولي بالمركز الإسلامي الذي ألقى فيه محاضرة حضر لها الآلاف من المسلمين، تحدث فيها عن واجب المسلم المهاجر في المجتمع غير المسلم، وكيف يتعامل مع الظروف المحيطة به دون أن يتأثر بسلبياتها، ووزع الشعراوي كتيبا يتناول أبرز المشكلات التي يتعرض لها المسلمون خارج ديار الإسلام"[4].

1- الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، ص 68.

2- رحلات الشعراوي في أوروبا وأمريكا، سعيد أبو العينين، ص 20 وما بعدها .

3- ينظر: الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، ص 70-71.

4- الشعراوي إمام الدعاة مجدد هذا القرن، ص 24 .

كما كنت له فرصة في عام 1975م لزيارة مدينة كراتشي لحضور أشغال اجتماعات المؤتمر الإسلامي الأسيوي الأول، وألقى محاضرة بالمركز الإسلامي في لوس أنجلس بأمريكا، تحدث فيها عن قضايا المسلمين في المجتمعات غير المسلمة. كما اختير رئيسا لمؤتمر السنة النبوية الذي انعقد في ديسمبر 1986م بلوس أنجلس،كما كانت له إسهامات في فكرة إطلاق المصارف الإسلامية والاهتمام بالاقتصاد الإسلامي، من ذلك اجتماعه مع سفراء الدول العربية بمناسبة إنشاء مصرف إسلامي في العاصمة النمساوية"[1].

ولقد كان الشعراوي صاحب أول فكرة لإنشاء بنك فيصل الإسلامي وهو الذي أصدر قرار إنشائه وهو وزير أوقاف، وقرر مساهمة الوزارة في رأس ماله، كما كان صاحب فكرة إنشاء بنك دبي الإسلامي سنة 1974م، وهو أول بنك إسلامي عربي في العالم العربي كله[2].

كما كان للشيخ رحلات تعليمية فقد سافر إلى السعودية للعمل بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة. وتولى رئاسة بعثة الأزهر إلى الجزائر سنة 1966م ومكث بها حوالي سبع سنوات. وقد كان له إسهامات في وضع مناهج دراسية جديدة باللغة العربية. وله مواقف عديدة كانت في مجملها تنم عن حب للجزائر وشعبها وحرص على إعادة الاعتبار للغة العربية فيها.

ويتحدث الشيخ الشعراوي عن بداية قدومه إلى الجزائر فيقول: "والتقيت بالرئيس الجزائري "هواري بومدين" عندما ذهبت إلى الجزائر بعد الاستقلال رئيسا لبعثة التعريب الأزهرية، كانت اللغة الفرنسية هي السائدة، وكان لسانهم لسانا فرنسيا فذهبنا لتعريبه وكان الرئيس بومدين قد انتهى من بناء سد سماه "سد غريس" وذهب لافتتاحه وعملوا احتفالا وحضرنا هذا الاحتفال، ووقف الرئيس بومدين يخطب قائلا: الحمد لله عملنا سد غريس وهذا السد سيحجز كذا متر مكعب من المياه وبذلك يمكنكم أن تقوموا بري زراعاتكم سواء أمطرت السماء أو أم تمطر، فقلت لعبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائري في ذلك الوقت : يا سيد عبد العزيز قل

1- ينظر: الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح، ص 42 و ما بعدها، و الشعراوي إمام الدعاة، ص 24 وما بعدها.
2- وعرفت الشعراوي ص 171.

للرئيس بومدين : إن هذا الكلام خطأ ليس فقط من الناحية العقائدية التي تلغي المشيئة، بل من الناحية العلمية لأنه إذا لم تمطر السماء فما الذي سيحجزه هذا السد؟ السد لكي يحجز مياها والمياه من المطر فإذا لم تمطر فما الذي يحجزه هذا السد ؟ وذهب بوتفليقة وأبلغ الكلام للرئيس بومدين"[1].

وأثناء وجوده بالجزائر رئيسا لبعثة الأزهر، لم يكتف الشعراوي بالدعوة الإسلامية في كل المنتديات والمساجد، والمعاهد والحفلات والمنازل، واصلا ليله ونهاره بكل ذلك دون ملل أو كلل. وزاد عشاقه ومريدوه ومحبوه، وكان يبلغ من الضيق مبلغه حزنا وكمدا وخوفا على مستقبل الشعب الجزائري من الاستمرار بالتعامل باللغة الفرنسية في كل المجالات بدلا من اللغة العربية مع انتشار هذه الظاهرة وتناميها بسرعة رهيبة وتخطيط حثيث .... وتحدث الشعراوي كثيرا مع الشاذلي بن جديد في هذه الكارثة المحدقة، وأعطاه الشاذلي بن جديد كل التسهيلات لإيقاظ الحس الجزائري ... وفتحت للشعراوي كل وسائل الإعلام في الجزائر وأخذ يدعو الجزائريين بكل قواه إلى الوقوف معه ... ونجح نجاحا ملحوظا مبهرا في محاولة إيقاظهم ... وكان يستقبل بكل حفاوة وترحاب"[2].

سابعا : وفاته

ذكر الدكتور عصام قطقاط (وهو زوج ابنة الشيخ –رحمه الله–قال:"قبل انتقاله بساعات بدا نشيطا كعادته وكأنما كانت صحوة الموت....–ثم يضيف– دعني أحكي لك شيئا عندما كنا في مستشفى مصر الدولي، وأقسم بالله أن هذا حدث، جاءت سيدة إلينا وأصرت أن تحكي لنا شيئا وتصر على مقابلة الشيخ الشعراوي ، وقلنا لها إنه مريض ولا يستطيع شيئا، فقالت أبلغوه أنني رأيت رسول الله ﷺ يحتضن الشيخ الشعراوي بقوة ويستقبله بحفاوة شديدة، هنا علمت أن تفسير هذه الرؤية أنه منتقل إلى جوار الله"[3].

1- الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، ص 47-48.

2- وعرفت الشعراوي، ص 171.

3- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص117.

وقد ذكر السيد محمد عارف أحد أقرب المقربين للشيخ الشعراوي :"أن الإمام قام بزيارة البقيع في المدينة المنورة لمدة ساعتين، حيث قام بزيارة كبار الصحابة، والشيخ محمد الغزالي...وقال لهم كأنه يسمعهم: سوف نلتقي قريبا في مستقر رحمته...وكان يبكي كأنما يستعجل دنو أجله. وقال : أنا أتممت القرآن و لم أكمله...بمعنى أنه أتم التفسير ولكن معاني القرآن ستظل جديدة دائما"[1].

وكانت وفاته الشيخ -رحمه الله- في الساعة الثالثة والنصف قبل فجر يوم الأربعاء الثاني والعشرين من صفر 1419 هجري، الموافق للسابع عشر من شهر جوان 1998 ميلادي. عن عمر يناهز سبعة وثمانين عاما،

وبذلك كانت الأمة الإسلامية قد ودعت بقلوب حزينة وعيون باكية وأفئدة متأججة عالمها الجليل، وفقيدها الكبير، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي كان يمثل أرفع قيم الإسلام نسكا وعملا، وخلقا وأدبا وإنسانية، وبرا وعطاء .

لقد كان الشيخ الشعراوي حقا أحد المجددين في الإسلام، فقد جدد للأمة دينها فبكته الأمة وبكاه العالم الإسلامي فقد كان علما من أعلامه البارزين"[2].

وقد شيعت جنازته بقريته دقادوس بناء على وصيته، وشارك في الجنازة أكثر من مليون شخص[3].

فرحمه الله وأسكنه فسيح جنانه وجزاه عنا وعن جميع الأمة الإسلامية خير الجزاء .

1- المصدر نفسه، ص121.

2- الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، ص 87.

3- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص65.

الفصل الثاني

مفهوم علم التفسير وأقسامه

أولا: تعريف التفسير

أ: في اللغة.

هناك خلاف بين اللغويين حول الأصل الاشتقاقي لكلمة تفسير، هل هي من(فسر) أم (سفر) ؟. فإذا كان من (الفسر) فالمراد به هو الإيضاح والبيان، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[1] أي بيانا وتفصيلا وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف. قال في لسان العرب: "الفسر البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا. وفسره أبانه والتفسير مثله...ثم قال: الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"[2].

قال ابن فارس:"فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفَسْرُ، يقال فسَرْتُ الشيء، وفسَّرتُه، والفَسر والتَّفسرة، نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه"[3].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله: "هذا الكلام يحتاج إلى فسر وتفسير، وفسّر القرآن وفسر،ونظر الطبيب في تفسرة المريض وهي ماؤه المستدل به على علته وكذلك كل ما ترجم شيء فهو تفسرته" [4]. فكما يكشف الطبيب علة المرض بالنظر فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها ومعناها والسبب الذي نزلت فيه"[5].

من هنا صار لفظ التفسير عَلَما يطلق على العلم الذي يعنى بشرح معاني الكلمات والآيات القرآنية.

1- سورة الفرقان، الآية 33.

2- لسان العرب لابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، دت، ج 11 ص180.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة "فسر"ط 1، دار الجيل،1991م. ج4 ص 504.

4- الزمخشري أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ج2 ص22.

5- ينظر البغوي، معالم التنزيل، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، بيروت لبنان، دار المعرفة، ط1 ،1406- 1986، ج1 ص7 .

وقال أبو حيان[1] في البحر المحيط: "...ويطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق قال ثعلب: تقول فسرت الفرس، عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"[2].

أما في مادة (سفر) فتقابلنا دلالات عديدة مركزها الانتقال والارتحال، ويتفرع عن هذه الدلالة دلالة الكشف والظهور، وسمي المسافر مسافرا لكشفه قناع الكن عن وجهه ومنازل الحضر عن مكانه، ومترل الخفض عن نفسه وبروزه إلى الأرض الفضاء، وسمي السفر سفرا لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ما كان خافيا منها. وسفر الصبح وأسفر أضاء، وأسفر القوم أصبحوا، وسفر وجهه حسنا وأسفر، أشرق وفي التترل ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ**﴾[3]. قال الفراء: أي مشرقة مضيئة.

ومنه السفر بمعنى الكتاب، والسفرة الكتبة، وهما استعمالان وردا في القرآن فقد ورد الأول في قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[4]. وورد الثاني في قوله تعالى: ﴿**بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾[5]. ويمكن شرحها على النحو التالي: قال ابن عرفة سميت الملائكة سفرة لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه...والسافر في الأصل الكاتب سمي به لأنه يبين الشيء ويوضحه". وبناء على هذا الشرح يكون معنى السفرة مرتبطا بدلالة الكشف والبيان إلى جانب ارتباطه بالحركة والانتقال. وعلى ذلك يستوي أن يكون التفسير مشتقا من (الفسر) أو من (السفر) فدلالة المادتين واحدة في النهاية وهي الكشف عن شيء مختبئ من خلال وسيط"[6]. سواء كان هذا الكشف عن

1- هو محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (654،745هـ) أثير الدين أبو حيان من كبار العلماء بالعربية والتفسير والتراجم واللغات ولد بالأندلس وتنتقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها من كتبه "البحر المحيط" في التفسير و"النهر" اختصر فيه البحر المحيط وله كتب في النحو. ينظر الأعلام، ج7 ص 152. ونفح الطيب،ج2 ص 584/535. وبغية الوعاة، ج1 ص 285/280. وطبقات المفسرين للأدنروي، ص 280/278.

2- البحر المحيط لأبي حيان، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ط02، 1413هـ/1992م، ج1 ص 26.

3- سورة عبس، الآية 38.

4- سورة الجمعة، الآية 05.

5- سورة عبس، الآية 15.

6- ينظر: مفهوم النص، د حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي للطباعة، ط4، 1998م، ص 224.

شيء حسي أو عن معان معقولة، وإن كان استعماله في الثاني أكثر من استعماله في المعنى الأول.

ب: تعريف التفســـير في الاصطلاح.

لقد عرفه العلماء تعار يف عديدة وكثيرة، ولكنها تصب في مصب واحد وإن اختلفت ألفاظها.

فقد عرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و تتمات ذلك"[1] .

وقد شرح مفردات هذا التعريف بقوله :

"فقولنا علم، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على الظاهر وهو المجاز، وقولنا وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك"[2].

وعرفه بعضهم بأنه يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[3].

وعرفه الزركشي بأنه علم يعرف به فهم كتاب الله المترل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"[4].

1- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر للطباعة، لبنان 1992م، ج1 ص 26 .

2- المرجع نفسه، ص 26 .

3- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج1 ص 16.

4- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1408هـ/1988م. ج1 ص 33.

وعرفه آخرون بأنه علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومقيدها ومجملها ومفسرها، وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"[1].

ونقل السيوطي عنه تعريفا آخر: "هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالته على مراده بحسب الطاقة البشرية"[2].

كما عرفه ابن عاشور[3] بقوله: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[4].

وقد أشار إلى الأسباب التي دفعت العلماء إلى عد التفسير علما:

1- كون مباحث التفسير تؤدي إلى استنباط علوم كثيرة وقواعد كلية، نُزِّلت منزلة القواعد الكلية لأنها مبدأ لها ومنشأ.

2- كون العلم قضايا كلية يبرهن عليها، وهو خاص بالعلوم العقلية، والعلوم الأدبية والشرعية لا يشترط فيها ذلك، بل يكفي أن تكون مباحث مفيدة كمالا علميا لمزاولها والتفسير أعلاها في ذلك.

3- التعاريف اللفظية تصديقات فهي تؤول إلى قضايا،وتفرُّع المعاني الجمة عنها نزّلها منزلة الكلية.

4- إن علم التفسير لا يخلو من قواعد كلية في أثنائه مثل تقرير قواعد النسخ، وقواعد التأويل وقواعد المحكم، من خلال آيات تخص كل قاعدة من هذه القواعد.

1- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج2 ص 164.

2- التحبير في علم التفسير، السيوطي، دار الفكر، ط 01، 1996م. ص 37.

3- هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، (1879، 1973م) مولده ووفاته بتونس، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، من أشهر مؤلفاته "التحرير والتنوير في تفسير القرآن، مقاصد الشريعة الإسلامية، موجز البلاغة". ينظر: الأعلام للزركلي، ج6 ص174.

4- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج 1ص 11.

5- إن حق التفسير أن يشمل على بيان أصول التشريع وكلياته فكان ذلك حقيقيا بأن يسمى علما.

6- إن التفسير كان أول علم اشتغل به الناس، وبمزاولتهم إياه حصلوا على ملكة أدركوا بها أساليب القرآن ودقيق نظمه، فأفاد هذا الاشتغال علوما كلية لها مزيد اختصاص بالقرآن المجيد فمن أجل ذلك سمي علما"[1].

ولعل الخلاصة من هذه التعاريف أن نقول عنه :

" إنه علم يتوصل به إلى فهم القرآن وبيان معانيه والكشف عن أحكامه وإزالة الإشكال والغموض عن آياته بقدر الطاقة البشرية" .

والغرض منه: معرفة معاني النظم

وفائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة.

وموضوعه: كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

وغايته: التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفاز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية"[2].

"إن علم التفسير يجب أن يكون أول علم معتنى به على وجه الصحة والدقة العلمية، لحصول القدرة على استنباط الأسرار القرآنية بحسب الطاقة البشرية، ومعرفة معاني كلام الله سبحانه من الأوامر والنواهي وغيرها. ثم كيف بنا وأن أحب الخلق إلى خالقهم سبحانه وتعالى أعلمهم بما أنزل"[3].

فهو علم يعرف به فهم كتاب الله سبحانه المترل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه وعلم القراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ."[4]

1- الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، محمد النذير أوسالم، دار ابن حزم، ط1، 1430هـ/2009م، ص63

2- لمحات في علوم القرآن، محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1410هـ/1990م. ص 188.

3- أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس ،ط2 ،بيروت، 1406هـ/1986م، ص 29.

4- المرجع نفسه، ص 40.

ثانيا: شرف علم التفسير

إن علم التفسير من أجل العلوم وأفضلها أجرا وأكثرها خطرا، ذلك لأنه يتعامل مع كلام الله تعالى المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكما تقرر لدى العلماء فإن شرف أي علم إنما هو من شرف مادته، فكيف إذا كانت مادة التفسير كلام الله تعالى، فلا كلام أفضل من كلام الله، ولا علم أشرف من العلم بكتاب الله وفهمه، ولا عمل أفضل من تفسير كتاب الله والعمل به والدعوة إليه.

قال القرطبي :" قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وأما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين، فمن ذلك أن علي بن أبي طالب ﷺ عنه ذكر جابر عنده ووصفه بالعلم فقيل له: جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وأنت أنت فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [1] وقال مجاهد: أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل، وقال الشعبي[2]: رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له إن الذي يفسرها رحل إلى الشام ،فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها.

وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاء هم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب"[3].

"وروى الحاكم عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: {**إن هذا القرآن مأدبة الله في أرضه، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم** }[4] وأخرج ابن ماجة في سننه أن رسول الله ﷺ قال: {**إن لله**

1- سورة القصص، الآية 85 .

2- هو عامر بن شراحيل الشعبي (19-103م) أبو عمرو: راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات بالكوفة، كان نديم الخليفة عبد الملك بن مروان، من رجال الحديث الثقات، كان فقيها وشاعرا. ينظر الأعلام للزركلي، ج3 ص251. ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج3 ص16/12.

3- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1995م، ج1 ص26.

4- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، كتاب فضائل القرآن، رقم: 2040، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1990م. ج1 ص 741.

أهلين من الناس، قالوا: يا رسول الله من هم ؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته}[1].
فالمفسرون لكتاب الله هم الجديرون لأن يكونوا أهل الله وخاصته، لأنهم هم أعلم الناس بكتاب ربهم تقدست أسماؤه، فهم الذين حملوا أعباء الرسالة الإلهية، ثم سيكونون شهداء يوم القيامة على من خالف من أهل الملل [2].

قال الإمام الأصفهاني: " إن أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان: تفسير القرآن ، بيان ذلك أن شرف الصّناعة إمّا بِشرف موضوعها ... وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطبّ ... لأن غرضه إفادة الصحة ...وإما لشدة الحاجةِ إليها: كالفقه فإن الحاجة إليه أشدّ من الحاجة إلى الطب ، إذ ما من واقعة من الكون ... إلا وهي مفتقرة إلى الفقهِ لأنّ بِه انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين، بخلاف الطبّ، فإنّه يحتاج إليه بعض النّاس في بعض الأوقات: إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث.

أما من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كلّ حكمة ومعدن كل فضيلة " فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه "[3].

وأما من جهة الغرض : فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى .

وأما من جهة شدّة الحاجة: فلأن كلّ كمال دينيّ أو دنيويّ عاجل أو آجل: مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى "[4] .

ثانيا: أقسام التفســـير.

ذهب كثير من المشتغلين في حقل الدراسات القرآنية خاصة من لهم اهتمام بعلم التفسير –سواء المتقدمين منهم أو المحدثين– إلى أن التفسير ينقسم إلى قسمين: تفسير بالمأثور أو بالرواية، وتفسير بالرأي أو بالدراية.

1- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ،كتاب فضائل القرآن، رقم: 2046، ج1 ص 743
2- أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م، ص 27.
3- هو اقتباس من حديث رواه الترمذي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
4- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج 2 ص 466 ، وينظر: أصول التفسير وقواعده للعك ص 29 .

أ: التفســـير بالمأثور.

ذهب بعض المؤلفين في علوم القرآن إلى أن التفسير بالمأثور يراد به تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين. " والمتصدي لهذا التفسير إنما يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه متعلقة به فيقصد إلى ما يتبادر لذهنه من معناها، ثم تدفعه الفكرة العامة فيها إلى أن يصل بين الآية وما يروى حولها في اطمئنان"[1].

أو هو ما" يشتمل على ما جاء في تفسير القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن النبي ﷺ وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم".[2]

والحقيقة أن اصطلاح التفسير بالمأثور اصطلاح غير منضبط وهو ما جعل البعض يذهب إلى أن التفسير بالمأثور حتى لو كان عن صحابي أو تابعي إنما مرده إلى الرأي والاجتهاد.

ولهذا لابد من تحديد مدلول اصطلاح المأثور ولم سمي تفسيرا بالمأثور؟. هل هو مجرد اصطلاح لا معنى له؟ أم يراد به ما أثر عمن سلف بدءا بالرسول ﷺ وختما بالتابعين. فأما الاستفسار الأول فالذي يظهر أنه غير وارد لأنه لابد أنه اصطلح عليه لمعنى، أما الثاني و هو الظاهر من اللفظة عليه اعتراضان.

الأول: أن تفسير القرآن لا نقل فيه بل داخل ضمن تفسير من فسر به، فإن كان المفسر هو الرسول ﷺ فهو من التفسير النبوي، وإن كان المفسر هو الصحابي فهو من تفسير الصحابي، وإن كان المفسر هو التابعي فهو من تفسير التابعي. ثم لاحظ أن تفسير الصحابي أو التابعي القرآن بالقرآن هو من التفسير بالرأي، وذلك لأن طريق الوصول إلى تفسير هذه الآية بهذه الآية هو الرأي والاجتهاد.

1- التفسير والمفسرون ،محمد حسين الذهبي، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، دط، 1424هـ/2004م، ج 1 ص157.

2- مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، محمود النقراشي السيد علي، مكتبة النهضة، القصيم، السعودية، ط1، 1407هـ/1986م. ج1 ص69.

الثاني: لم توقف النقل عند التابعين و لم يذكر من بعدهم مع أن فيهم من الأئمة في التفسير من فيهم وأقوالهم مدونة ومحفوظة، والطريق إليهم هو بالأثر كالتابعين ؟.

والظاهر أن ما يمكن أن يطلق عليه تفسير بالمأثور ويجب الأخذ به ثلاثة أنواع :

أ- ما روي عن رسول الله ﷺ من تفسيره القرآن .

ب- ما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع كأسباب النزول والمغيبات.

ج- ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون وهذا يلحق بالمأثور لوجوب الأخذ به لأن الإجماع حجة.

وأما تفسير الصحابة فإن كان مجمعا عليه، أو كان سبب نزول، أو إخبارا عن أمر غيبي، فهو في حكم المرفوع. وإن كان غير ذلك فهو من باب الاجتهاد والرأي، سواء كان معتمده اللغة أو غيرها من أدوات الاجتهاد في التفسير. وتفسير التابعي يلحق بالمأثور إذا كان مما أجمع عليه التابعون وما عداه فهو تفسير بالرأي"[1].

ولقد نبه العلماء إلى شروط وضوابط تعتمد في التفسير بالمأثور ومن تلك الشروط:"

أولا: أن يكون على معرفة بعلم السنة رواية ودراية.

ثانيا: أن يكون ملما إلماما جيدا بما ورد في السنة مما يتعلق بالتفسير، ثم بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين.

ثالثا: أن يحسن الجمع والتنسيق بين الروايات المختلفة.

رابعا: أن يكون مدركا لحقيقة اختلاف الروايات في التفسير وأسبابها.

خامسا: أن يراعي الدقة والضبط في النقول لا سيما في تعدد الروايات.

سادسا: أن يكون مطلعا على أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، لأنه بالأول يستعين على فهم النص، وبالثاني يعرف به المحكم من المنسوخ من الآيات.

سابعا: على المفسر بالمأثور أن ينقل الأقوال التي توافق الأفهام وأن يبتعد عن ذكر غرائب التفسير ومشكلاته التي لا تحتملها العقول.

1- فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط02، 1997م، ص 54/53 .

ثامنا: عدم الاعتماد في التفسير على الإسرائيليات التي أقحمت في التفسير المأثور وهي ليست من علم التفسير في شيء .

أما عن ضوابط هذا النوع من التفسير فقد أشار الإمام القرطبي في تفسيره في معرض الكلام عن التفسير المنهي عنه: " أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار، والحذف والإضمار، والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط"[1].

ب: حكم التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور هو الذي يجب اتباعه والأخذ به لأنه طريق المعرفة الصحيحة، وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله .

فالذي تعرفه العرب: هو الذي يرجع فيه إلى لسانهم ببيان اللغة.

والذي لا يعذر أحد بجهله: هو ما يتبادر فهم معناه إلى الأذهان من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ولا لبس فيها، فكل امرئ يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [2] وإن لم يعلم أن هذه العبارة وردت بطريق النفي والاستثناء فهي دالة على الحصر.

وأما ما لا يعلمه إلا الله: فهو المغيبات، كحقيقة قيام الساعة، وحقيقة الروح.

1- ينظر: أصول التفسير وقواعده، للعك بتصرف، ص133/131.

2- سورة محمد، الآية 19.

وأما ما يعلمه العلماء: فهو الذي يرجع إلى اجتهادهم المعتمد على الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، من بيان مجمل، أو تخصيص عام، أو نحو ذلك"[1] .

وقد ذكر العلماء تفاسير عديدة صنفت في هذا النوع وعلى رأسها ما صنفه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في كتابه "جامع البيان في تأويل آي القرآن"، والإمام ابن كثير في تفسيره "تفسير القرآن العظيم" والإمام السيوطي في كتابه "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"....

ج: التفســـير بالرأي.

يطلق الرأي على الاعتقاد والاجتهاد والاستنباط، وكلها مصطلحات تدل على مدلول واحد عند علماء علوم القرآن "والمراد به هنا الاجتهاد وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"[2].

ويرى ابن عاشور أن تفسيرا كثيرا للقرآن لم يكن من المأثور عن رسول الله ﷺ وأصحابه، وأن التفاسير قد اتسعت، وتفنن أصحابها في استنباط معاني القرآن، بما رزقهم الله من فهم كتاب الله يقول:" وهل اتسعت التفاسير، وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله، وهل يتحقق قول علمائنا:" إن القرآن لا تنقضي عجائبه"، إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير؟ ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرا في ورقات قليلة"[3] .

د: موقف العلماء منه

وقد اختلف العلماء قديما في جواز تفسير القرآن بالرأي ووقف المفسرون بإزاء هذه القضية موقفين متعارضين فريق معارض وآخر مؤيد.

1- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط03، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، 1421هـ/2000م، ص360 و 361.

2- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج1 ص246.

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1 ص 28.

فأما الفريق الأول وهو المانعون فقالوا: "لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالما أديبا متسعا في معرفة الأدلة، في الفقه والنحو والأحكام وإنما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ وعن الذين شاهدو التتريل من الصحابة ﷺ أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين"[1]

وحجتهم في ذلك:

- قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[2] والتفسير بالرأي قول على الله بغير علم وهو منهي عنه بنص الآية.

- حديث ابن عباس[3] مرفوعا: {**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**}[4].

ومما يؤيد ذلك تحرج الصحابة والتابعين من التفسير، فقد روي عن أبي بكر قوله: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم؟. وقال ابن أبي مليكة[5]: إن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها. وكذلك فقهاء التابعين كانوا يتقون التفسير ويهابونه، فقد كان سعيد بن المسيب[6] إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: إنا لا نقول في القرآن شيئا. وروي عنه أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع"[7].

1- ينظر: مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني، 422.

2- سورة البقرة، الآية 169.

3- هو عبد الله بن عباس الهاشمي القرشي (3ق هـ، 68هـ) أبو العباس حبر الأمة الصحابي الجليل ولد بمكة لازم رسول الله ﷺ وروى عنه، شهد مع علي الجمل وصفين سكن الطائف وتوفي بها، له ألف وستمائة وستون حديثا، كان عالما بالفقه واللغة والشعر وأيام العرب والتفسير وكان آية في الحفظ. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ج3 ص939/933. والإصابة، ج4 ص131/121. والأعلام، ج4 ص95.

4- رواه الترمذي تحت رقم: 4023 وقال حديث حسن.

5- هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة توفي سنة 117هـ قاض من رجال الحديث الثقات ولاه ابن الزبير قضاء الطائف. ينظر الأعلام، ج4 ص102. والمنتظم لابن الجوزي، ج7 ص180. والعبر للذهبي، ج1 ص111.

6- هو سعيد بن المسيب (13، 94هـ) أبو محمد المخزومي القرشي سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي راوية عمر توفي بالمدينة. ينظر: الأعلام، ج3 ص102. ووفيات الأعيان، ج2 ص378/375. والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي، ج2 ص160/158.

7- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ،ج1ص12/11. وانظر مزيدا من التفصيل في الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، ج3 ص384/382.

وقد أجيب عن هذه الأدلة بأن التفسير بالرأي ليس من القول على الله بغير علم لأن المفسر فيه مجتهد وهو ينطلق من علمه في المسألة التي يتحدث فيها، وقد أثنى عليه النبيﷺ في الحالتين بأن جعل للمصيب أجرين وللمخطئ أجر واحدا .

وأما عن الحديث فقد قيل فيه إن صح أنه يراد بالرأي الهوى كمن يجر القرآن جرا لتأييد ما يهواه ويميل إليه فكره وبهذا يصبح القرآن تابعا لا متبوعا، ومحكوما لا حاكما وفرعا لا أصلا أي أن الآراء والمعتقدات والمذاهب هي التي تجعل من يفسر الآية أو يحتج بها يلوي عنقها ليا لتأييد ما يراه ويعتقده.

وقد يكون المراد بهذا الحديث الذي يتقدم بتفسير القرآن دون أن يتأهل بما يلزم من أدوات التفسير وشروط المفسر فمن تجرأ على ذلك مع انعدام هاته الأدوات والشروط فقد تجرأ عن النار.

وأما تلك الآثار وما شاكلها عن أئمة السلف فإنها "محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه. ولهذا روي عن هؤلاء أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد"[1].

وإنما كره العلماء "أن يتعرض للتفسير من لم يستكمل أدواته كأن لم يبلغ في معرفة كلام العرب مبلغا يمكنه من صحة الفهم، أو لم يدرس القرآن درسا يستطيع معه أن يحمل مجمله على مفصله، كذلك كرهوا أن يعتنق الرجل مذهبا من المذاهب الدينية كالاعتزال والإرجاء والتشيع ويجعل ذلك أصلا يفسر القرآن على مقتضاه، والواجب أن تكون العقيدة تابعة للقرآن، لا أن يكون القرآن تابعا للعقيدة"[2].

أما الفريق الثاني فقد ذهب أصحابه إلى جواز التفسير بالرأي والاجتهاد، ولكنهم اشترطوا في ذلك جملة من الشروط، من ذلك" أن تتوافر في المفسر القدرة التي تمكنه من التفسير، ولابد أن يكون المفسر ملما بعلوم اللغة وعلوم القرآن والعلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية

1- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، ط02، 1422هـ/2001م، ج13 ص201.

2- فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2006م/1427هـ، ص195.

العامة، هذا بالإضافة إلى اشتراطهم في المفسر أن يكون ورعا يخاف الله وذا إمكانات عقلية جيدة ...إذا كان التفسير ضمن هذه الحدود فإن الحق يقضي بقبوله وإقراره، وهو الشيء الطبيعي الذي يقتضيه التفاعل مع الكتاب الكريم، واستنطاقه في شؤوننا المعاصرة"[1].

وقد نبه إلى ذلك الشيخ الزرقاني بقوله :"إن التفسير بالرأي منه ما هو محمود وهو من توافر فيه شروط أربعة هي:

أ- النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

ب- الأخذ بقول لصحابي فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

ت- الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

ث- الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع "[2] وما كان غير ذلك فهو مذموم.

يقول القرطبي: "فإن من قال فيه- يعني القرآن-بما سنح بوهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على معناها فهو ممدوح"[3].

وحجتهم في ذلك :

- التمسك بنصوص قالوا إن المراد منها حث العباد على تدبر القرآن والاعتبار بآياته والاتعاظ بعظاته منها قوله تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [4] وقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**"﴾[6]. والشاهد في هذه النصوص أنها حثت

1- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، 284، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ،1990م.

2- مناهل العرفان، عبد العظيم الزرقاني، ج2 ص 45/44.

3- تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1995م،ج 1 ص 33.

4- سورة النساء، الآية 82.

5- سورة ص، الآية 29.

6- سورة النساء، الآية 83.

على تدبر معاني القرآن، كما نبهت الآية الأخيرة إلى أن في القرآن ما يستنبطه أولو العلم باجتهادهم ويصلون إليه بإعمال عقولهم.

- قالوا لو كان التفسير بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائزا، ولتعطل كثير من الأحكام الشرعية، والمجتهد في نظر الشرع مأجور سواء أصاب أو أخطأ.

- قالوا لا ينكر أحد اختلاف الصحابة في تفسير القرآن على وجوه ومعلوم أن ما قالوه في تفسير القرآن لم يسمعوه كله من النبيﷺ إذ لم يبين لهم ﷺ كل معاني القرآن كما أن بعض معانيه قد توصلوا إليها بعقولهم واجتهادهم. ولو كان القول بالرأي في القرآن محظورا لكانت الصحابة قد خالفت ووقعت فيما حرم الله، ونحن نعيذهم من المخالفة والجرأة على محارم الله تبارك وتعالى.

- أن النبي ﷺ دعا لابن عباس، فقال في دعائه له:{**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**} فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل كالتنزيل، لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فدل ذلك على أن التأويل الذي دعا به رسول الله ﷺ لابن عباس أمر آخر وراء النقل والسماع"[1].

والمتأمل في أدلة الفريقين يجد أن الخلاف لا يعدوا أن يكون لفظيا ذلك أن " تحديد مدلول كلمة (الرأي) يحسم الخلاف، والنظر المتأني العميق في دوافع كل من الفريقين يظهر تقارب وجهات النظر بينهما، حتى يكاد يبقى الخلاف بصورة لفظية، فالرأي عند أهل الأثر هو الهوى الذي لا يضبطه ضابط، وهو بهذا المعنى مكروه من الفريقين، بينما الرأي عند القائلين بالتفسير بالرأي هو الاجتهاد المقيد بقيود وإعمال الفكر في كتاب الله على ضوء هداه وشرح رسول الله ﷺ"[2].

ذ: حكم التفسير بالرأي :

إن التفسير بالرأي قسمان:

1- ينظر: أصول التفسير، للعك بتصرف يسير، ص 170/169.

2- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص248.

قسم جار على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول مع موافقة الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه وهذا هو الرأي الذي عمل به الصحابة وهو الرأي المحمود.

وقسم غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، وهذا هو الرأي المذموم الذي وقع عليه نهي السلف وشنعوا على صاحبه.

ثانيا : تفسير الشعراوي بين الأثر والرأي

أ/ جهد الشعراوي في تفسيره

يعترف الشعراوي أن تفسيره استغرق شطرا كبيرا من حياته، وقد قدم فيه عطاءه العلمي، فضلا عن الوقت والجهد الكبير المبذول في سبيل التعامل مع أشرف كلام وهو القرآن الكريم، وهو يعبر عن ذلك بقوله: "فهذا حصاد عمري العلمي وحصيلة جهادي الاجتهادي، شرفي فيه أني عشت كتاب الله، وتطامنت لاستقبال فيض الله"[1].

ب / هل يصح تسميته تفسيرا

يذهب بعض الباحثين[2] إلى أن إطلاق اسم التفسير على مؤلف الشعراوي هو من باب التجوز ذلك أن الشعراوي نفسه يرى أنه مؤلفه عبارة عن خواطر يقول: "خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيرا للقرآن، وإنما هبات صفائية...تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات"[3].

ويعلل الشعراوي ما ذهب إليه كون القرآن لا يمكن الإحاطة به علما ولا إدراك أسراره و لا سبر أغواره " ولو أن القرآن ممكن أن يفسر...لكان الرسول ﷺ أولى الناس بتفسيره لأنه عليه نزل، و به انفعل"[4].

1- الشعراوي كلمة بخط يده في الجزء 1، ط1991، ط دار أخبار اليوم القاهرة.

2- أشار إلى ذلك الأستاذ: عبد القادر محمد في كتابه: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص 220.ولعل الأستاذ يقصد بذلك اصطلاح "التفسير" حيث أن المؤلف نفسه صرح بأن ما خاطب به الناس عبارة عن خواطر، غير أن المتأمل في هذه الخواطر يجد أنها ترقى لأن تكون ضمن المدونة التفسيرية حول القرآن، وذلك بالنظر إلى ما تضمنته من فوائد ونفائس.

3- تفسر الشعراوي، ج1 ص5 .

4 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كما يدلل الشيخ الشعراوي لوجهة نظره تلك بقوله: "لم يفسر لنا رسول الله ﷺ القرآن لأنه لو فسره لكان يجب أن يفسره بما تطيقه عقول معاصريه، ولو فسره بالأشياء التي ستوجد في القرن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين لتعجب معاصروه أيما تعجب، ولا استعظموه أيما استعظام، لأنه للآن ما زال أناس ينكرون أن الأرض كرة تدور، ولو أنه ﷺ فسره على قدر عقل معاصريه ومعلوماتهم الكونية لحجر علينا ولجمد القرآن، لأنه من يتصدر لتفسير القرآن بعد ذلك سيواجه بأن الرسول فسره هكذا، وعليك ألا تزيد عن ذلك، ولذلك فرسول الله ﷺ ترك تفسير القرآن حتى تأخذ كل مرحلة فكرية من لمحات القرآن بقدر ما تستطيع، وذلك في أمور الكونيات، أما المطلوب من الأحكام فقد بينها صلوات الله عليه وأوضحها للناس"[1].

وكلام الشعراوي هذا يدفع إلى طرح تساؤل مؤداه، هل الرسول ﷺ لم يفسر القرآن لأن القرآن لا يفسر؟ أم لأن الناس كانوا يفهمون مقاصد القرآن العامة و قد تغيب دقائقه أو مفرداته، أو بعض مسائله؟.

إن " ما ذهب إليه الشيخ الشعراوي من القول بأن رسول الله ﷺ لم يفسر القرآن كله، لأنه لو فسر الآيات الكونية تفسيرا علميا، لما استطاع الصحابة فهمها، إن هذا الرأي يحتاج إلى نظر، لأن تفسير النبي ﷺ للآيات الكونية ليس معناه تفسيرها بالنظرية العلمية، وإنما يكفي في تفسيرها أن ينبههم إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الكون"[2].

ولقد بين الدكتور الذهبي في معرض ذكره آراء العلماء وبيان اختلافهم في المقدار الذي فسره النبيﷺ من القرآن أن "الذي تميل إليه النفس هو أن رسول الله ﷺ بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح، وأنه لم يبين لهم كل معانيه..."[3] .

وعليه فإن مذهب الشعراوي في " أن القرآن لا يفسر كلمة غير صحيحة تماما، لكن بالإمكان القول :إن تفسير القرآن في عهد النبي ﷺ لا يعني خاتمة التفاسير إنما علمه ربه تفسير

1- الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ص20/19.

2- مناهج المفسرين، منصور كافي، ص 43 .

3- الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة ،ط3، 1406هـ/1986م، ص11.

الكتاب تعليما شاملا، إنما الذي أمر الرسول ﷺ بتبليغه هو ما يناسب العقل في تلك الفترة من الزمن"[1].

ولقد أشار إلى ذلك الشعراوي نفسه بقوله: "أما الأسرار المكتنزة في القرآن حول الوجود، فقد اكتفى رسول الله ﷺ بما علم منها لأنها بمقياس العقل في هذا الوقت لم تكن العقول تستطيع أن تتقبلها، وكان طرح هذه الموضوعات سيثير جدلا يفسد قضية الدين، ويجعل الناس ينصرفون عن فهم منهج الله في العبادة إلى جدل حول قضايا لن يصلوا فيها إلى شيء"[2].

إن المتأمل في تفسير الشعراوي يجده قد جمع في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وإن كان في القسم الأول مقلا مقارنة بالقسم الثاني، حيث غلب على تفسيره توسعه في الجانب اللغوي والبياني، غير أنه لم يهمل الحديث عن جوانب مهمة كأسباب النزول، والقراءات، وبعض القضايا الأصولية والتفريعات الفقهية، ومناقشة الآراء العقدية، والدفاع عن العقيدة الإسلامية، والرد على المستشرقين، إلى غير ذلك من المباحث المبثوثة هنا وهنالك في ثنايا تفسيره.

لقد حرص الشيخ الشعراوي-ما استطاع- على المزاوجة بين المنهجين العريقين من مناهج المفسرين وذلك عن طريق " الجمع بين الرواية والدراية، فإذا كان من مناهج التفسير ما عني بالرواية والأثر، ومنها ما عني بالدراية والنظر، فإن أقوم المناهج ما مزج بين الرواية والدراية، وجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول، وألف بين تراث السلف ومعارف الخلف"[3].

1- التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبد القادر محمد صالح، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص220.

2- تفسير الشعراوي، ج1 ص05.

3- كيف نتعامل مع القرآن، يوسف القرضاوي ،دار البيان، الكويت، 217.

وقد استغرق تفسير الشعراوي منه جل عمره، وقد أعطى عمله من الوقت والجهد الكثير وقد صرح بذلك الشيخ –رحمه الله– بقوله :" فهذا حصاد عمري العلمي وحصيلة جهادي الاجتهادي ،شرفي فيه أني عشت كتاب الله، وتطامنت لاستقبال فيض الله"[1].

كما كان للشيخ رغبة متجهة إلى تقديم خواطره حول القرآن –تأدبا في حضرة كلام الله وتواضعا– من منطلق عجز البشر عن إدراك معانيه والإحاطة بها، لأن القرآن كلام الله المعجز ولذلك يقول: " ولو أن القرآن من الممكن أن يفسر...لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بتفسيره لأنه عليه نزل، وبه انفعل"[2]. فنال الشيخ أمله وفتح الله عليه من أبواب فضله بخواطر إيمانية، وإشارات معنوية ولفظية لا تخالف نصا، ولا تجافي لفظا، ولا تجاوز معنى، بل كان الشيخ –رحمه الله– يحرص حرصا شديدا على أن تكون خواطره ولطائفه دائرة في فلك القرآن والسنة لا تخرج عن إطارهما وتدور معهما حيث دارا.

لقد عمل الشيخ على المواءمة بين منهجين بارزين وحرص على الإفادة منهما، وإنه بذلك يؤسس لمسعى جامع بين المنهجين حيث لا يطغى فيه جانب النقول و المرويات على الاجتهاد والنظر، بل لابد من التعايش بينهما، وتلك سنة حميدة سار عليها كثير من المفسرين حيث "لم يتحيز أصحاب التفسير بالمأثور تماما إلى الأخبار النقلية والمأثورات المروية، بل أخذوا بشيء من النظر العقلي الخاص،كما أن أصحاب التفسير بالرأي لم يتجاهلوا المنقولات الأثرية، فاعتمدوا على الروايات والمأثورات في بعض المواطن، فالمسألة إذن مسألة اتجاه غالب وليس انحيازا لأحد الاتجاهين وتجاهلا للآخر بصورة مطلقة.

على أن الاتجاه الواحد في التفسير على الرغم من تميزه عن غيره بسمته الغالبة قد يحمل بين جوانبه روافد وتيارات متنوعة لا تخرجه عن اتجاهه المحدد المعروف، فالتفسير المأثور إذ يصطبغ بصبغة الحديث عند مفسري المحدثين كعبد الرزاق والبخاري وابن أبي حاتم، نراه يجنح إلى جانب اللغة عند مفسر كالبغوي، ويتلون بلون الحديث والفقه عند ابن كثير.

1- تفسير الشعراوي، مقدمة تفسيره بخط يده، 1991م، ط دار أخبار اليوم، القاهرة، ج1 ص1 .

2- تفسير الشعراوي ،ج 1 ص 5.

واتجاه التفسير بالرأي قد حمل هو الآخر عدة نزعات لم تخرجه عن مساره وإن لونت كثيرا من آثاره بألوان متباعدة خرجت ببعضها عن دائرة التفسير كلية فحيث يأخذ تفسير الفلاسفة والفرق المذهبية نزعة تأويلية أو باطنية، يأخذ تفسير الرازي نزعة أخرى علمية جدلية على حين يتأرجح تفسير الزمخشري بين نزعة مذهبية عقدية وأخرى لغوية بيانية"[1].

وهذا ما يفسر عدم استقلالية تفسير بمنهج معين دون غيره بل غالبا ما تكون المزاوجة بين المنهجين حاضرة في أغلب أعمال المفسرين لذلك " قلما نجد كتابا في التفسير بالمأثور بين أيدينا اليوم خاليا من التفسير بالنظر، اللهم إلا في كتب التابعين، أو أتباع التابعين، ممن جردوا التفسير بالنظر من كل شيء غير الرواية وهي قلة وأكثرها مفقود"[2].

وقديما أشار الإمام الطبري –رحمه الله – وهو من مدرسة أهل الأثر– إلى جواز إعمال العقل والاجتهاد في القرآن، في كل ما لم يستأثر الله بعلمه كالمتشابه فقال: " إن على العباد معرفة تأويل مالم يحجب عنهم تأويله من آيه...ومما استأثره الله بعلمه منه دون خلقه "، "وأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام، إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به. فأما قبل ذلك فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل"[3].

وهذه إشارة صريحة من شيخ المفسرين في مدرسة الأثر إلى إعمال العقل وتدبر نصوص القرآن، وهذا مقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم في دعوته إلى التدبر والتفكر، وتلك موهبة عظيمة تنتقل من جيل إلى جيل " وما ذلك إلا لأن العقل وإن تقيد بالنصوص الصحيحة لم يكن مغلقا، بل كانت القرائح المتقدة تنتج ما تراه خدمة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهكذا كان كل جيل يرى من الآيات ويؤتى من الفهم في القرآن–حتى جيلنا الحاضر– مالم

1– اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، محمد إبراهيم شريف،دار التراث، القاهرة، ط1، 1402هـ/1982م، ص65/64.

2– ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ/1987م، ج 1 ص352 .

3– تفسير الطبري، ج1 ص61.

يره و مالم يؤته الجيل الذي سبقه، لأن القرآن الكريم رسالة كل الأجيال، ومعجزة الإسلام الخالدة المتجددة على مر العصور"[1].

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: " فإن أمكن الجمع بين العقلي والنقلي، وجب حمل النظم الكريم عليهما، وإن تعذر الجمع، قدم التفسير المأثور عن النبي ﷺ إن ثبت من طريق صحيح، وكذا قدم ما صح عن الصحابة، لأن ما يصح نسبته إلى الصحابة في التفسير، النفس إليه أميل، لاحتمال سماعه من الرسول ﷺ ولما امتازوا به من الفهم الصحيح والعمل الصالح، ولما اختصوا به من مشاهدة التنزيل، وأما ما يؤثر عن التابعين ففيه التفصيل وذلك إما أن يكون التابعي معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب أو لا، فإن عرف بالأخذ عن أهل الكتاب قدم التفسير العقلي، وإن لم يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب وتعارض ما جاء عنه مع التفسير العقلي، فحينئذ نلجأ إلى الترجيح، فإن تأيد أحدهما بسمع أو استدلال رجحناه على الآخر، وإن اشتبهت القرائن وتعارضت الأدلة والشواهد، توقفنا في الأمر، فنؤمن بمراد الله تعالى ولا نتهجم على تعيينه، ويترل ذلك مترلة المجمل قبل تفصيله، والمتشابه قبل تبيينه"[2].

ولذلك فإن الأخذ بالتفسير بالمأثور يتعين متى وجد وثبتت صحته، ولكن دون الاقتصار عليه عند الحاجة إلى الرأي "فالتفسير بالمأثور إذا اجتمع إليه حسن الاستنباط وسعة الثقافة والمقدرة على الترجيح، فهو أولى التفاسير بالاعتبار، ونحن مع ذلك لا ننصح بالاقتصار عليه. فلا بد لنا لتأويل الآية أو الآيات من الرجوع إلى مختلف التفاسير، ثم نحاول أن نختار لأنفسنا أصلح الآراء فيها، إلا أن يثبت لنا على وجه القطع أثر صحيح في الموضوع فنأخذ به ونطرح ما عداه، إذ لا مسوغ للاجتهاد في مورد النص"[3].

ولقد أشار العلماء إلى أحسن طرق التفسير وذلك بأن يطلب التفسير أولا من كتاب الله، فإن لم يجده طلبه من السنة، لأنها شارحة للقرآن وموضحة له، فإن لم يجده رجع إلى أقوال الصحابة والتابعين، لأنهم أدرى بكتاب الله، فإن لم يجده عنهم، ولم يظفر بشيء من تلك

1- ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي محمد الزبيري، ج1 ص354.
2- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ص 203.
3- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط 16 ،1985م، ص 298.

المراجع الأولى للتفسير، فليس عليه بعد ذلك إلا أن يعمل ويفكر ويسعى في طلب الكشف عن مراد الله سبحانه، ...وعليه أن يراعي القواعد الآتية بحيث لا يحيد عنها، ولا يخرج عن نطاقها، وهذه القواعد هي ما يأتي :

أولا: مطابقة التفسير للمفسر، من غير نقص يقلل من بيان المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض و لا تناسب المقام.

ثانيا: مراعاة المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.

ثالثا: المؤاخاة بين الأفراد مع مراعاة التأليف بين المعاني والأغراض التي سيقت لأجلها.

رابعا: مراعاة التناسب بين الآيات، فيربط السابق واللاحق من آيات القرآن حيت يدلل على أن آيات القرآن متناسبة يأخذ بعضها بحجز بعض.

خامسا: بيان أسباب النزول، فكل آية نزلت على سبب لا بد من ذكره بعد المناسبة، وقبل شرح الآية.

سادسا: بيان المعاني وشرح المفردات والألفاظ من اللغة والصرف والاشتقاق .

سابعا: تجنب الحشو في التفسير من ذلك ذكر علل النحو ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل الفقه، ودلائل أصول الدين فإن ذلك يذهب بجمال القرآن، ويشغل الناس عن التدبر والاعتبار.

ثامنا: قدرة المفسر على الترجيح فإذا ما كانت الآية محتملة لأكثر من وجه أمكنه أن يرجح ويختار.

تاسعا: على المفسر أن يراعي التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، وهو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه. قال بعض العلماء: " للقرآن نزول وتنزل، فالنزول قد مضى، والتنزل باق إلى قيام الساعة، ومن هنا اختلف الصحابة الكرام في معنى، فأخذ كل واحد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى"[1].

والذي يمكن تأكيده أن الشيخ الشعراوي حرص على الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي باعتبارهما يمثلان طرفي معادلة التفسير" من حيث اقترانهما وتلازمهما، فضلا

1- ينظر: أصول التفسير ،للعك، ص83/81 بتصرف يسير .

عن ترابطهما وتكاملهما، على امتداد عصور التفسير المتتابعة، وعبر مراحل تطوره المختلفة، وهو ما يشهد له واقع التفسير ذاته، بل ويؤيده ما عليه عمل المفسرين أنفسهم.

وليس ثمة شك في أن من جمع في تفسيره للقرآن بين (تفسيره بالمأثور) و(تفسيره بالرأي) فقد تمت منهجيته، واكتملت طريقته، لأنه ليس بعد تفسير القرآن بالمأثور والرأي من شيء، اللهم إلا رأيه الخاص، ونظرته الذاتية"[1]. وهو ما سوف نعرض له من خلال النماذج التي تأتي لاحقا.

الفصل الثالث

العلوم التي يحتاج إليها المفسر

لقد بين العلماء أنواع العلوم التي يجب الإلمام بها لمن انبرى لتفسير الكتاب العزيز، وهي في مجموعها لا تخرج عن ما يشترطه العلماء من أدوات في باب التفسير بالرأي المحمود، إذ من

1- أحمد يوسف سليمان، الشنقيطي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،مخطوط، 1422هـ/ 2001م، ج1 ص471.

شأنها أن تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتعصمه من القول بغير علم. وأهم هذه العلوم ما يلي:

1- **علوم اللغة العربية:**

" فالمراد به معرفة مقاصد العرب من كلامهم، وأدب لغتهم، فإن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم"[1] " فالقرآن نزل بلسان العرب على الجملة فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: ﴿**إنا أنزلناه قرآنا عربيا**﴾ وقال: ﴿**بلسان عربي مبين**﴾ إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب... فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"[2] ولذلك وردت كثير من آثار التابعين وأقوال أهل العلم تشدد النكير على المتصدي لعلم التفسير مع قلة زاده في علوم العربية.

فقد ورد عن مجاهد قوله: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[3] .

وفي حكم من فسر القرآن بغير علم بلسان العرب، ورد الوعيد في قول الإمام مالك بن أنس ﷺ"لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"[4]

ويرى الغزالي أن هذا الشرط لا يعني الإحاطة بدقائق اللغة، بل يكفي في ذلك ما يحصل به فهم الخطاب القرآني " فعلم اللغة والنحو أعني القدر الذي يفهم به خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال، إلى حد يميز به بين صريح الكلام وظاهره ومجمله، حقيقته ومجازه، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه، والتخفيف فيه أنه لا يشترط أن يبلغ درجة الخليل والمبرد، وأن يعرف جميع اللغة ويتعمق في النحو، بل القدر الذي يتعلق بالكتاب والسنة ويستولي به على مواقع الخطاب وإدراك حقائق المقاصد"[5] .

1- أصول التفسير للعك، ص 43.

2- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، ط4، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1420هـ/1999م، ج2 ص375.

3- الإتقان للسيوطي، ج2 ص 477 .

4- رواه البيهقي في شعب الإيمان، ينظر: البرهان للزركشي، ج2 ص160 .

5- المستصفى للغزالي، ج2 ص352 .

قال السيوطي :" قال العلماء: يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخى بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة..."[1].

وينبه العلماء إلى ضرورة الاهتمام بالألفاظ المفردة على المركبة إذ " أول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه"[2].

" فإن النظر في مفردات النص القرآني من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه، لأنها مفتاح النص، وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات"[3] .

لقد أدرك الشعراوي قيمة التعامل مع الألفاظ، والحرص على توضيح معانيها، وبيان اشتقاقاتها وتصاريفها، وأوجه استخداماتها حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [4]

"...فالقرآن الكريم له أسلوب مميز؛ لأن الذي يتكلم هو الله سبحانه وتعالى. ولذلك فإن كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم يأتي مطابقاً للمعنى تماماً. وفي اللغة، قبل أن تتكلم لا بد أن تكون عالماً بمعنى اللفظ. وأن يكون محدثك أيضاً عارفاً معناه حتى يستطيع أن يفهمك. فإذا قلت لإنسان مثلاً: أحضر لي كوباً من الماء لأشرب، فلا بد أن يكون عارفاً لمعنى الماء ومعنى الكوب، وإلا فإنه لن يفهم .

1- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1416هـ/ 1996م، ج2 ص488.

2- البرهان للزركشي، 2 ص173 .

3- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص261 .

4- سورة التوبة، الآية 72.

إذن: فبالتخاطب توجد المعاني أولاً ثم توجد لها الألفاظ"[1].

ومعرفة اللفظ وحده قد لا يكفي بمجرد الرجوع إلى قواميس اللغة فرب لفظ لا يمكن فهمه إلا ضمن السياق الذي ورد فيه، "وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب "المفردات" فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق"[2].

وقد جرى الشعراوي على وفق هذه القاعدة في تفسيره، أقصد مراعاة السياق فقد كان الشعراوي " يتعامل مع اللفظ القرآني وكأنه كائن حي يتأمل قسماته، ويجس نبضه، ويتسمع إلى خلجاته، لذلك تجده في كثير من الألفاظ يأتي منها بما لا نعلم، لمناسبة يلحظها في السياق، أو في التركيب"[3].

وقد وفق الشعراوي إلى حد بعيد في التعامل مع المفردة القرآنية في إطار سياقها الذي وردت فيه، وهذا عينه ما يدعو إليه الدرس اللساني الحديث "إذ يرى اللسانيون أن المعنى في النص خاضع لعملية التركيب على مستوى الجملة، أو على مستوى الخطاب، وبموجب هذا يكون فهم اللاحق مستندا إلى فه السابق، وتكمن فاعلية السياق النصي أو التركيب في أنه ينظر من خلاله إلى النص في كليته وانسجامه، وليس بصفته نتوآت مجتزأة لا يشير بعضها إلى بعض، كل معنى منتزع من السياق بالضرورة معنى لا يعبر عنها النص"[4].

"فمنهج الشعراوي في التفسير أول ما يقوم على التحليل اللغوي للكلمة وتأصيلها، وبيان مشتقاتها ومعانيها، وبيان المعنى المراد منها في سياق الآيات القرآنية الكريمة"[5].

وإلى جانب العناية بشرح المفردات تبرز الحاجة إلى العناية بعلم النحو والصرف،لأن فهم المعنى يتوقف في أحيان كثيرة على معرفة الإعراب، ويقع الذين يجهلون هذين العلمين ويتصدون للتفسير في أغلاط شنيعة" ومن أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فالمعنى نفسه يفرض رفع العلماء فاعلا ونصب اسم الجلالة مفعولا لأن المراد حصر

1- تفسير الشعراوي، ج9 ص 5314.

2- البرهان للزركشي، ج2 ص 173 .

3- محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح، محمد رجب بيومي، مكتبة التراث الإسلامي، 1420هـ/1999م، ص 69 .

4- النص القرآني ومشكل التأويل، مصطفى تاج الدين، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، ص 28/27.

5- الإمام الشعراوي مفسرا وداعية، ص51 .

الخوف من الله في العلماء، وليس حصر الخوف من العلماء في الله، فإنما يخشى الله حق خشيته العلماء العارفون بجلاله، ولذا حكم القراء والعلماء جازمين بشذوذ قراءة من قرأ برفع اسم الجلالة فاعلا ونصب العلماء مفعولا"[1].

وقد ذهب البعض في شرح الآية: ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾[2] فاعتقدوا أن الإمام جمع "أم" وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال الزمخشري :" وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف، فإن "أما" لا تجمع على "إمام"[3].

كما أبدع الشعراوي في توظيف علم الصرف في تفسيره للآيات القرآنية، ذلك أن " الوقوف على الدلالات الدقيقة للصيغ نستطيع به أن نقف على الفروق الفنية الدقيقة بين المعاني"[4].

ومن الأمثلة على ذلك تفسير قوله تعالى:﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ ٱلأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾ [5] يقول: " وقول الحق سبحانه: ﴿ **أَنشَأَكُمْ مِّنَ ٱلأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ نجد فيه كلمة "**ٱسْتَعْمَرَكُمْ**" وساعة ترى الألف والسين والتاء فاعلم أنها للطلب، وهكذا يكون معنى كلمة "استعمر" هو طلب التعمير. ومن الخطأ الشائع تسمية البلاد التي تحتل بلاداً أخرى: "دول الاستعمار".

أقول: إن ذلك خطأ، لأنهم لو كانوا دول استعمار، فهذا يعني أنهم يرغبون في عمارة الأرض، ولكنهم في حقيقة الأمر كانوا يخربون في الأرض؛ ولذلك كان يجب أن تسمى "دول الاستخراب". "**وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**" أي: طلب منكم عمارتها، وهذا يتطلب أمرين اثنين: أن يبقي الناس الأمر الصالح على صلاحه، أو يزيدوه صلاحاً"[6] وهذا من الثلاثي المزيد و معاني صيغ الزيادة.

1- صبحي الصالح، فقه اللغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت، ص119 .

2- سورة الإسراء، الآية 71 .

3- ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، ج2 ص655 .

4- نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، تامر سلوم، مطبعة الخانجي، مصر، 1980م، ص97.

5- سورة هود، الآية 61.

6- تفسير الشعراوي، ج 11 ص6527.

قال ابن العربي:"...الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله على الوجوب. قال القاضي الإمام: تأتي كلمة استفعل في لسان العرب على معان، منها استفعل بمعنى طلب الفعل، كقوله استحملت فلانا، أي طلبت منه حملانا....فقوله تعالى: استعمركم: خلقكم لعمارتها...ولا يصح أن يقال إنه طلب من الله لعمارتها، فإن اللفظ لايجوز في حقه، أما إنه يصح أن يقال:إنه استدعى عمارتها فإنه جاء بلفظ استفعل، وهو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه إذا كان أمر أو طلب الفعل، إذا كان من الأدنى إلى الأعلى رغبة "[1].

ومن العلوم التي يحتاجها المفسر "**علوم البلاغة**" لأن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير، فلا بد من الإشارة إلى نواحي الجمال الفني في الآية وتحليلها. ومن أجل ذلك كله كان التذوق الأدبي أمرا ضروريا لكل من يتصدى للتفسير، ولا ينمو هذا التذوق إلا بعد طول معاناة لكلام البلغاء وقراءة آثارهم وحفظ مختارات منها، واطلاع على نتاج النقاد ودراسة للشعر والرسائل والخطب واشتغال بالكتابة"[2].

وقد نبه الزمخشري[3] إلى ضرورة مراعاة علوم البلاغة بقوله: "من حق مفسر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليما من القادح"[4].

"علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرِّية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان "[5] .

1- أحكام القرآن، ابن العربي، دار الفكر، بيروت، 1967م، ج 3 ص 1059.
2- محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ص 193.
3- هو محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري(467، 538هـ)جار الله أبو القاسم من أئمة التفسير واللغة والأدب ولد في زمخشر (من قرى الخوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا وتنقل في البلدان ثم عاد إلى خوارزم فتوفي فيها، أشهر كتبه "الكشاف" وهو في تفسير القرآن و"أساس البلاغة، والمفصل، والفائق في غريب الحديث" وكان معتزلي المذهب مجاهرا. ينظر الأعلام، ج7 ص178. ومعجم الأدباء، ج5 ص495/489. ووفيات الأعيان، ج5 ص174/168. وبغية الوعاة، ج2 ص280/279. وطبقات المفسرين، ص173/172.
4- الكشاف للزمخشري. ج 1 ص76 .
5- المصدر نفسه، ج1 ص 07 .

لقد حرص الشعراوي على تلمس جماليات الخطاب القرآني وأسراره المكنونة من خلال غوصه في التعبير القرآني، والكشف عن مناحي الإعجاز فيه، من خلال الأساليب البلاغية التي كان يشير إليها بين الفينة والأخرى، ولم يكن بدعا في ذلك فقد جرى على دأب علماء التفسير ممن سبقوه أو عاصروه.

يقول السكاكي[1]: " لا أعلم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ على المرء لمراد الله من كلامه، من علمي المعاني والبيان، ولا أعون على تعاطي تأويل متشابهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه، هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه، ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيمت حقها واستلبت ماءها، ورونقها أن وقعت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم، فأخذوا بها مآخذ مردودة وحملوها محامل غير مقصودة..."[2].

2- علم أصول الدين وعلم أصول الفقه :

" فعلم أصول الفقه يعرف به كيف تستنبط الأحكام من الآيات، وبه يعرف العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي وغير ذلك، من كل ما يدخل في هذا العلم. أما علم أصول الدين فبه يعرف ما يجب في حق الله تبارك وتعالى، وما يجوز وما لا يجوز، وبه يستطيع المفسر أن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات والبعث وما إلى ذلك بنظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسرون في المحظورات، وهذا العلم يسمى علم التوحيد وعلم الكلام"[3].

فقواعد علم أصول الفقه تساعد على فهم النصوص القرآنية-وتضبط الفهم- لأن هذه القواعد الأصولية هي " تلك القواعد العربية التي كانت في صدر الإسلام ملكة وذوقا في صدور العرب الذين لم تتسرب إليهم أسباب العجمة ولم يغش على بصائرهم شيء من

1- هو يوسف بن أبي بكر السكاكي(555،626هـ) أبو يعقوب الخوارزمي سراج الدين عالم بالعربية والأدب مولده ووفاته بخوارزم من كتبه"مفتاح العلوم" ينظر الأعلام، ج8 ص222. ومعجم الأدباء، ج5 ص647/648. وبغية الوعاة، ج2 ص364.

2- مفتاح العلوم، للسكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ص178. وينظر: التحرير والتنوير، ج 1 ص 20 .

3- التفسير بالرأي قواعده وضوابطه وأعلامه، محمد حمد زغلول، ط1، مكتبة الفارابي، دمشق سوريا، 1420هـ/ 1999م، ص173.

ضبابها، ثم تمثلت على يد -الإمام محمد بن إدريس الشافعي- في قواعد نسقت ودونت واتخذت أساسا علميا للتوصل به إلى فهم النصوص "[1].

3-العلم بالسنة:

فالسنة هي ثاني مصادر التشريع الإسلامي، وهي المبينة والشارحة للقرآن" لأن من القرآن ما لا يوصل إلى علم تأويله، إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره، واجبه وندبه وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمته"[2].

ومن هنا كان المسلمون في حاجة إلى معرفة بيان ﷺ مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله تعالى، ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم على حقيقته، أو أن يعلم مراد الله تعالى من كثير من آيات الأحكام فيه، إلا بالرجوع إلى رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم من ربهم"[3].

3- أسباب النزول:

وسبب النزول هو ما نزل القرآن بشأنه وقت حدوثه ووقوعه كحادث أو سؤال "ولابد من الإشارة إلى أن القرآن الكريم يقسم من حيث ارتباط الآيات بأسباب نزولها إلى قسمين:

أ/ قسم نزل ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب إنما أنزله الله سبحانه وتعالى لغرض هداية الخلق إلى طريق الحق مثل وصف مشاهد القيامة أو وصف الأمم الغابرة وغيرها.

1- مباحث الكتاب والسنة، محمد سعيد رمضان البوطي، طبعة جامعة دمشق، دت، ص 21 .

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط3، 1420هـ/1999م ،1 ص 56.

3- مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، دار الوراق، بيروت، ط3، 1423هـ/2003م. ص376.

ب/ قسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب كأن يكون جوابا على سؤال أو تصحيحا لخطإ وقع أو بيانا لحادثة وقعت"[1].

وقد بين الزركشي[2] أهمية أسباب النزول في رده على من يرى أنه تنضوي تحت دائرة القصص والتاريخ بقوله: " أخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد:

- منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
- الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا"[3].

ومن هذا المنطلق ذهب عامة العلماء إلى اعتبار هذا العلم أساسا للمفسر فها هو الواحدي يرى " أنه لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[5]: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[6].

"...وهي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع، فمن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب"[7].

1- علوم القرآن المنتقى، فرج توفيق وليد، و فاضل شاكر النعيمي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978م، ص26.

2- هو محمد بن بَهادُر الزركشي (745 794هـ) أبو عبد الله، عالم بفقه الشافعية والأصول تركي الأصل مصري المولد والوفاة له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها "البحر المحيط في الأصول"، "البرهان في علوم القرآن"،وله تفسير القرآن". ينظر الأعلام، ج6 ص61/60. ومقدمة كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج1 ص15/11.

3- البرهان للزركشي ج 1 ص 45 .

4- ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط6، 1414هـ/1994م، ص16 .

5- هو أحمد بن عبد الحليم (661، 728هـ) أبو العباس تقي الدين بن تيمية الإمام شيخ الإسلام، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، سجن مدة بمصر من أجل فتوى أفتى بها ثم أطلق وعاد إلى دمشق ثم مات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، وهو كثير التصانيف منها:" منهاج السنة ومجموع الفتاوى " ينظر الأعلام ج1ص144 وانظر المقفى الكبير للمقريزي ج1 ص459/454، والبدر الطالع للشوكاني ج1 ص51/46.

6- مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ط02، دار الوفاء، مصر، 1422هـ/2001م.ج13 ص181 .

7- أسباب النزول، الواحدي، ص16.

إن تفسير النص القرآني تفسيرا صحيحا، والعمل على استخراج أحكامه واستنطاق معانيه، لا يتأتى إلا بالتمرس في هذا العلم "فلو أخذنا مطلق المعاني الواردة من بعض الآيات لتغيرت بعض الأحكام، ولكن معرفة السبب الذي أدى إلى نزول الآية يوجه الآية لكي تكون كجواب عن سؤال، وإذا عرف السؤال كان الجواب واضحا وخاصا بالسؤال ولا يتعداه إلى غيره"[1]. وبالجملة فإن مباحث علوم القرآن الكريم من أهم الأدوات التي لابد منها لعملية التفسير[2].

4- علم القراءات:

وهو" العلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[3].

وقال القسطلاني: "علم القراءات علم يعرف منه إتقان الناقلين لكتاب الله، واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات و الفصل و الوصل من حيث النقل، أو هو العلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله"[4].

وقد ذكر ابن الجزري أركان القراءة الصحيحة بقوله :" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم"[5].

"فذكر القراءة كذكر الشاهد من كلام العرب، لأنها إن كانت مشهورة فلا جرم أن تكون حجة لغوية، وإن كانت شاذة فحجتها لا من حيث الرواية، لأنها لا تكون صحيحة الرواية، ولكن من حيث إن قارئها ما قرأ بها إلا استنادا لاستعمال عربي صحيح، إذ لا يكون القارئ معتمدا به إلا إذا عرفت سلامة عربيته"[6].

1- مقدمة في الدراسات القرآنية، محمد فاروق النبهان، وزارة الأوقاف المغربية، ط، 1995م، ص 35.

2- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ص193.

3- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1999م، ص9.

4- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، هيا ثامر مفتاح العلي، دار الثقافة،1994، دط، ص193.

5- الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته محمد علي الصباغ، مطبعة مصطفى محمد، مصر، دت .

6- أصول التفسير، للعك ص 45.

5- **علم الموهبة:**

والمقصود به الفتوحات الإلهية التي يكرم بها بعض عباده المجدين في الطاعة والعمل، بما تعلموا ولقد روي عن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أنه كان يقول: "ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسال الله تعالى الفهم، وأقول يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني" وكان يقول أيضا " المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه " وكان يقول " فتح الله علي في هذا الحصن من معاني القرآن، ومن أصل العلم بأشياء ما كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أوقاتي في غير معاني القرآن"[1].

6- **علوم أخرى:**

كالعلوم الاجتماعية، والعقلية، والكونية، وما يتصل بالثقافة العامة، والتاريخ والجغرافيا، والاجتماع وعلم النفس والفلك...كل هذه العلوم مما يساعد على تفسير القرآن تفسيرا يتصل بالحياة"[2].

تلك هي أهم العلوم التي ينبغي أن يتسلح بها المقبل على تفسير كتاب الله تعالى، فيأخذ بها وبكل علم يعينه على فهم مراد الله من كلامه، ولكن بالمقدار الذي يحتاج إليه دون إفراط، كما فعل كثير من المفسرين الذين غلوا في استعمال العلوم التي برعوا فيها، فخرجوا بها عن القصد الصحيح للتفسير.

وقد ألمح إلى ذلك الشيخ محمد رشيد رضا[3] في مقدمة المنار: " كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية، وهدايته السامية،

1- محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، محمد دراجي، منشورات غبريني للطباعة والنشر، ط1، 2005م، ص38.

2- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد لطفي الصباغ، ص194.

3- هو محمد رشيد رضا أحد رجال الإصلاح، من العلماء للحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد بلبنان وحل إلى مصر فلازم الشيخ محمد عبده، أصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع الجديدة، من أشهر آثاره تفسيره المشهور "بالمنار". ينظر الأعلام، ج6 ص126. ومقدمة تفسير المنار، ص03.

فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات. وقد زاد الفخر الرازي[1] صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة، على ما كانت عليه في عهده كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها "[2] .

ولذا وجب التحرز من الإسراف والتفريط في إقحام عديد العلوم، وكثير التفريعات مما يشتت الذهن، ويفوت مقصد الفهم" فالنحوي تراه ليس له إلا الإعراب، وتكثير الأوجه المحتملة فيه وإن كانت بعيدة، وينقل قواعد النحو ووسائله وفروعه وخلافيا ته كالزجاج و الواحدي في "البسيط" وأبي حيان في "البحر المحيط" والإخباري ليس له شغل إلا القصص، والأخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة، والفقيه يكاد يسرد الفقه جميعا، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق بها بالآية أصلا، والجواب عن الأدلة للمخالفين كالقرطبي، وصاحب العلوم العقلية خصوصا الإمام الرازي قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة"[3].

وقد أورد الشعراوي في تفسيره كثيرا من المباحث في عدد من العلوم والفنون، غير أنها كانت تصب إجمالا في التفسير بالمقدار الذي يخدم النص القرآني، ويقرب معانيه ويوضح مراميه.

1- هو محمد بن عمر التيمي البكري(544، 606هـ) أبو عبد الله فخر الدين الرازي: الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل مولده في الري ويقال له ابن الخطيب الري وتوفي في هراة، له "تفسير"مفاتيح الغيب" والمحصول في علم الأصول، وهداية الإيجاز في دراية الإعجاز" وغيرها. ينظر الأعلام، ج6 ص313. ووفيات الأعيان،ج4 ص252/248. وطبقات المفسرين للأدنروي، ص214/213، وانظر مقدمة تفسير فخر الدين الرازي.

2- محمد رشيد رضا، مقدمة تفسير المنار، ج 1 ص 13.

3- كشف الظنون، حاجي خليفة، ج1 ص 228 .

الباب الثاني

منهج الشعراوي في التفسير

الفصل الأول

أسلوب الشعراوي و طريقته في التفسير

أولا :- اعتمد الشعراوي في تفسيره على الترتيب المعتاد للسور والآيات حسب ترتيب المصحف، ابتداء بسورة الفاتحة على طريقة عامة أهل التفسير، وإن كان في كثير من الأحيان يستطرد في عرض بعض القضايا ويستشهد بآيات ليس المراد تفسيرها، كما يغلب على تفسيره التكرار، فكثيرا ما يعيد تفسير الآيات في مواضع مختلفة كلما دعت المناسبة إلى ذلك .

ثانيا :- يبدأ الشعراوي تفسيره بالآية الباب، ثم يجزئها إلى مقاطع، من ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [1].يقول:"... أي أن ما جاء في القرآن مصدق لما جاء في التوراة...لأن القرآن من عند الله والتوراة من عند الله... وقوله تعالى: ﴿**نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ**﴾. قلنا إن هناك كتابا نبذوه أولا وهو التوراة. ولما جاءهم الكتاب الخاتم وهو القرآن الكريم نبذوه هو الآخر وراء ظهورهم. ما معنى نبذه؟.المعنى طرحه بعيدا عنه. إذن ما في كتابهم من صفات رسول الله ﷺ نبذوه بعيدا، ومن التبشير بمجيء رسول الله ﷺ نبذوه هو الآخر، لأنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا ويقولون أتى زمن نبي سنؤمن به ونقتلكم قتل عاد وإرم.... وقوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ أي يتظاهرون بأنهم لا يعلمون ببشارة رسول الله ﷺ وأوصافه. وقوله تعالى: " كأنهم " دليل على أنهم يعلمون ذلك علم يقين، لأنهم لو كانوا لا يعلمون لقال الحق سبحانه:﴿**نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ** ﴾ وهم لا يعلمون. إذن هم يعلمون يقينا ولكنهم تظاهروا بعدم العلم."[2].

1- سورة البقرة ، الآية101.

2- تفسير الشعراوي، ج1 ص 498.

ثالثا: كثيرا ما يقطع الآية إلى مفردات، ويكتفي بشرح تلك المفردات التي تؤدي لجلاء المعنى وظهوره، من ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿ **يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ ٱنْظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [1]." يقول:﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ**﴾.. نعرف أن الإيمان هنا هو سبب التكليف، فالله لا يكلف كافرا أو غير مؤمن.... وقوله:﴿ **لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا**﴾ نهي، وكأن راعنا كانت مقولة عندهم يريد الله أن ينهاهم عنها. والإيمان يلزمهم أن يستمعوا إلى نهي الله.... ولكن لماذا استبدل الحق سبحانه وتعالى كلمة راعنا بكلمة انظرنا؟ إن عند اليهود في العبرانية والسريانية كلمة راعنا ومعناها الرعونة.

ولذلك كانوا إذا سمعوا من صحابة رسول الله ﷺكلمة راعنا. اتخذوها وسيلة للسباب بالنسبة لرسول الله ﷺ. والمسلمون لا يدرون شيئا، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتركوا هذه الكلمة حتى لا يجد اليهود وسيلة لستر سبابهم، وأمرهم بأن يقولوا: انظرنا.... ثم قال الحق سبحانه وتعالى: "واسمعوا". والله هنا يشير إلى الفرق بين اليهود والمؤمنين.. فاليهود قالوا سمعنا وعصينا، ولكن الله يقول للمؤمنين اسمعوا سماع طاعة وسماع تنفيذ.... وقوله تعالى: ﴿**وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.. أي من يقولون راعنا إساءةً لرسول الله ﷺ لهم عذاب أليم."[2].

رابعا: غالبا ما نجده يتوقف عند مفردة ليشرحها، وربما يستطرد في شرحها و يتوسع في ذكر المعاني اللغوية لها، من ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَٰثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَٰناً مَّرِيداً** ﴾ يقول:" وهكذا كان الذي يتكلم في جوف هذه الأصنام إما شيطان من الجن، وإمّا شيطان من الإنس. والشيطان من "الشطن " وهو "البعد". ووصف الشيطان بأنه مريد يتطلب منا أن نعرف أن هناك كلمة "مارد" وكلمة "مريد". وكل الأمور التي تغيب عن الحس مأخوذة من الأمور الحسية. وعندما نمسك مادة "الميم والراء والدال" نجد كلمات مثل " أمرد" و"امرأة مرداء" و "شجرة مرداء"، و "صرح ممرد". إن المادة كلها تدور حول الملمس الأملس. فأمرد تعني أملس، أي أن منابت الشعر فيه ناعمة. وصرح ممرد كصرح بلقيس أي صرح

1- سورة البقرة، الآية 104.

2- تفسير الشعراوي، ج1 ص517/516.

مصقول صقلاً ناعما لدرجة أنها اشتبهت في أنه ماء، ولذلك كشفت عن ساقيها خوفاً أن يبتل ثوبها. والشجرة المرداء هي التي لا يمكن الصعود عليها من فرط نعومة ساقها تماماً كالنخلة فإنه لا تبقى عليها الفروع، ولذلك يدقون في ساق هذه النخلة بعض المسامير الكبيرة حتى يصعدوا عليها والشيطان المريد هو المتمرد الذي لا تستطيع الإمساك به. إذن. فـــ "مارد" و "مريد" و " ممرد" و"مرداء" و "أمرد" ، كلها من نعومة الملمس. "[1].

خامسا: كثيرا ما يبدأ تفسيره للآية بمسائل نحوية أو قضايا لغوية أو بلاغية .

من ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿ **وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ [2]. يقول:"...وساعة نرى "إن" وبعدها اسم مرفوع كما في قوله: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ**﴾ [3]. فلنعرف أن " إنْ " هذه داخلة على فعل ، أي أن ترتيبها الأساسي هو: وإن استجارك أحد من المشركين فأجره. وهنا في هذه الآية: يكون التقدير: وإن خافت امرأة من بعلها نشوزاً..."[4].

تصدير تفسيره للآية بقضايا لغوية: وكثيرا ما يصدر تفسيره للآية قضايا لغوية يستعين بها لتوضيح الفهم، ثم يحاول الربط بين تلك المعاني اللغوية والمعاني التفسيرية للآية التي هو بصدد تفسيرها، مثال ذلك : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً** ﴾ [5].يقول:"...وجاءت كلمتا " ذكر " و" أنثى " هنا حتى لا يفهم أحد أن مجيء الفعل بصيغة التذكير في قوله (يعمل) أن المرأة معفية منه؛ لأن المرأة في كثير من الأحكام نجد حكمها مطموراً في مسألة الرجل، وفي ذلك إيحاء بأن أمرها مبني على الستر.

1- تفسير الشعراوي، ج5 ص 2644.

2- سورة النساء، الآية 128.

3- سورة التوبة، الآية 6.

4- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2688.

5- سورة النساء ، الآية 124.

لكن الأشياء التي تحتاج إلى النص فيها فسبحانه ينص عليها﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ**﴾. وجاء سبحانه هنا بلفظة (مِن) التي تدل على التبعيض.. أي على جزءٍ من كلّ فيقول: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ**﴾ و لم يقل: "ومن يعمل الصالحات" لأنه يعلم خلقه. فلا يوجد إنسان يعمل كل الصالحات، هناك من يحاول عمل بعضٍ من الصالحات حسب قدرته. والمطلوب من المؤمن أن يعمل من الصالحات على قدر إمكاناته ومواهبه"[1].

وفي قوله تعالى:" ﴿**يَٰأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ**﴾[2].يقول الشعراوي:"...نأتي في النِّداء بحرف الإقبال وهو "يا" وندخله على "المُنادى" أي أنك تطلب إقباله. فهل نطلب إقباله لمجرد الإقبال أو لشيء آخر؟ مثال ذلك قول الحق: ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾[3] .

إذاً النِّداء هنا لتلاوة التكليف عليهم. وحين يُنادي الحق سبحانه وتعالى أشرف من ناداهم وهم رُسُله، ونجد أنه نادى كل الرُّسل بمُشخَّصاتِهم العَلَمِيّة. (يا آدم) ، والمُشَخّص العَلَمَي هو الاسم، وهو لا يعطي وصفاً إلا تشخيص الذات بدون صفاتها.... وبعد أن يعرض لنماذج من النداء الإلهي لأنبيائه ورسله يقرر التكريم والتشريف الإلهي لنبيه بقوله:" كُل الرُّسُل ناداهم الحق بالمُشَخِّص العَلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص، ولكن رسول الله ﷺ خاتم الرُّسُل ما ناداه الله باسمه أبداً، إنما ناداه الله بالوصف الزائد عن مُشَخَّصات الذات فيقول: ﴿**يَٰأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ** ﴾ ويقول: ﴿**يَٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ**﴾ حقًّا إنّ الجميع رُسُل، ولكنه سبحانه يريد أن يبلغنا أن محمداً صلّى الله عليه وسلم هو الرسول الذي جاء ناسخاً ومؤمناً بالكُلّ، هو الذي يستحق النّداء بالوصف الزائد عن مُشَخّصات الذات: ﴿ **يَٰأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ**﴾. وهو الرسول الذي تقوم عليه الساعة. ولذلك

1- تفسير الشعراوي، ج5 ص 2669.
2- سورة المائدة ، الآية 41.
3- سورة الأنعام ، الآية 151.

نجد خطاب الحق لرسوله دائما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ أو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ وهذا نوع من التكريم"[1].

تصدير تفسيره للآية بمباحث بلاغية : مثال ذلك تفسير قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [2].

"وبعد أن بين الله سبحانه وتعالى لنا أن هناك آيات نسخت في القرآن، أراد أن يوضح لنا أنه سبحانه له طلاقة القدرة في كونه يفعل ما يشاء . ولذلك بدأ الآية الكريمة: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ**﴾. وهذا التعبير يسمى الاستفهام الاستنكاري أو التقريري. لأن السامع لا يجد إلا جوابا واحدا بأنه يقر ما قاله الله تبارك وتعالى . ويقول نعم يا رب أنت الحق وقولك الحق"[3] .

سادسا: قد يذكر مناسبة الآية لما قبلها، دون أن يغفل ذكر التناسب بين سور القرآن، من ذلك حديثه عن وجه المناسبة بين البقرة وآل عمران فيقول :"...ناسب أن تأتي بعد سورة البقرة سورة آل عمران، لأنها تكلمت عن نوع جديد من الخلق، لم يأت على نمط الخلق الأول، وإنما جاء من الخلق الأول، لأنها جاءت لتكلمنا عن خلق عيسى وخلق عيسى جاء بغير الناموس الذي خلق به آدم" [4].

و من أمثلة حديثه عن وجه المناسبة بين الآيات يقول في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾ [5].

" بعد أن تاب الله على قوم موسى بعد عبادتهم للعجل، عادوا مرة أخرى إلى عنادهم وماديتهم، فهم كانوا يريدون إلها ماديا. إلها يرونه ولكن الإله من عظمته أنه غيب لا تدركه الأبصار. واقرأ قوله تعالى: ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [6]. فكون الله سبحانه وتعالى فوق إدراك البشر، هذا من عظمته ﷻ ولكن اليهود الذين لا يؤمنون

1- تفسير الشعراوي ، ج 5 ص 3139 و3140.
2- سورة البقرة، الآية 107.
3- تفسير الشعراوي، ج 1 ص 532.
4- تفسير الشعراوي، ج 2 ص1269.
5- سورة البقرة، الآية 55.
6- سورة الأنعام، الآية 103.

إلا بالشيء المادي المحس، لا تتسع عقولهم ولا قلوبهم إلى أن الله سبحانه وتعالى فوق المادة وفوق الأبصار..."[1].

سابعا: كما نجده ينبه إلى سبب نزول الآية المراد تفسيرها في الغالب، من ذلك إشارته إلى سبب نزول هذه الآية قبل الشروع في تفسيرها وذلك في قوله تعالى:﴿ **يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوۤاْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ [2]. يقول: " ولهذه الآية الكريمة قصة وقعت أحداثها في غزوة تبوك التي حارب المسلمون فيها الروم، وكانت أول قتال بين المسلمين وغير العرب، حيث دعا رسول الله ﷺ إلى هذه الغزوة في فترة شديدة الحرارة، وكان كل واحد في هذه الفترة يفضل الجلوس في الأخياف، أي الحدائق الصغيرة، ويجلسون تحت النخيل والشجر في جو رطب ولا يرغبون في القيام من الظل. وعندما دعا رسول الله للجهاد في سبيل الله، والذهاب إلى قتال الروم، تلمَّس المنافقون الأعذار الكاذبة حتى لا يذهبوا للجهاد؛ فظلَّ القرآن يترل في هؤلاء الذين تخلفوا عن هذه الغزوة شهرين كاملين..."[3].

وفي تفسير قوله تعالى:﴿ **يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيۤ أَيْدِيكُمْ مِّنَ ٱلأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [4] يقول:

"...أي إن صح كلام العباس في إسلامه وأنه كتم الإسلام، فالله يعلم ما في قلبه وسوف يعطيه الله خيراً مما أخذ منه، وبالفعل فاء الله على العباس بالخير. فقد أسند الطبري إلى العباس أنه قال: فيّ نزلت –أي هذه الآية– حين أعلمت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي أخذت مني قبل المفاداة فأبى وقال: "ذلك فَيْءٌ" فأبدلني الله من ذلك عشرين عبداً كلهم تاجر بمالي.

1- تفسير الشعراوي، ج1 ص 351.
2- سورة التوبة، الآية 74.
3- تفسير الشعراوي، ج9 ص 5338.
4- سورة الأنفال، الآية 70.

وفي الرواية التي ذكرها ابن كثير: " قال العباس فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجوه من مغفرة الله عز وجل" ، وهكذا تحقق قول الله ﷺ"[1].

ثامنا: كما يتطرق أحيانا إلى القراءات الواردة في الآية، من ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ ٱلآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ**﴾[2].يقول: "...ونقرأ "سبيل" في بعض القراءات مرفوعة، أي أن سبيل المجرمين يظهر ويستبين ويتضح، وتقرأ في بعض القراءات منصوبة، أي أنك يا محمد تستبين أنت السبيلَ الذي سيسلكه المجرمون"[3].

تاسعا: اعتماده على الأسلوب السهل والبسيط مما جعل الناس ينجذبون إلى حديثه، ويتشوقون إلى سماع تفسيره، لما تميز به من المزج بين الفصحى والعامية البسيطة، واللهجة المصرية المحلية، وأحيانا كثيرة يقرب المعاني بضرب الأمثال الشعبية المتداولة، وهذا كله حرصا منه على تبسيط الفهم وتيسير التفسير، حتى يدرك معاني القرآن العامة والخاصة.

عاشرا: يغلب على تفسير الشعراوي التوسع والاستطراد، خاصة في عرضه للمسائل اللغوية والبلاغية، حيث نجده في تفسير بعض الآيات يستطرد كثيرا وقد يعرض لتفصيلات عديدة تخرجه في كثير من الأحيان عن مسار بيان الآية المراد تفسيرها، مما قد يؤثر على تركيز القارئ وحسن متابعته، وقدرة تركيزه واستيعابه. بينما في مقابل ذلك يقل عنده الاستشهاد بالآثار، وبخاصة الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين، كما قل تطرقه لأسباب النزول، والقراءات القرآنية، ولم يستطرد في بيان أحكام الفروع الفقهية عند آيات الأحكام، ولكن غلب عليه الجانب اللغوي والبلاغي في تفسيره.

فمثلا نجده بين يدي تفسير المائدة يستطرد في عرض كثير من المواضيع والقضايا التي لعلها لا تتصل بالآية أو السورة محل التفسير، من ذلك حديثه عن ترتيب السور في القرآن ليطرح

1- تفسير الشعراوي، ج 8 ص 4813.
2- سورة الأنعام، الآية 55.
3- تفسير الشعراوي، ج6 ص 3664.

تساؤلا مؤداه: " لماذا لم يرتب القرآن حسب نزوله بحيث يبدأ بأول آية نزلت منه، وينتهي بآخر آية نزلت فيه؟[1].

ثم يستطرد في الجواب معرجا على بعثة الأنبياء والرسل والحكمة منها ليتطرق[2] إلى معجزة النبي ﷺ وسر بقائها، ثم المقارنة بين معجزته ومعجزة الأنبياء قبله[3]. ثم يشير إلى مسايرة النزول للأحداث، وأنه قد يقر أشياء كانت في الجاهلية لأنها أمور عقلية ومنطقية[4].

ويضرب لذلك أمثلة من الواقع تقريبا للفهم[5] ليخلص أنه" لابد أن يكون للقرآن نزول حسب الأحداث، وحين تتم الأحداث ويتم المنهج بعد ثلاث وعشرين سنة من بدء نزول القرآن يشاء الله سبحانه أن يكون ترتيب القرآن ترتيبا مصحفيا "[6]. ثم يشير إلى التوقيف في ترتيب الآيات وأن هذا من مظاهر الإعجاز[7] ثم بعد ذلك يبدأ في عرض خواطره حول تفسير الآية[8].

إحدى عشر: عدم التزام الشعراوي بطريقة واحدة في تفسيره للآيات كأن يبدأ مثلا بالمعنى العام للآية، ثم بشرح المفردات، ثم ببيان أسباب نزول الآيات، ثم المناسبات ثم القراءات ثم الأحكام...كما جرت عادة كثير من المفسرين. بل نجده لا يلتزم طريقة محددة، فمرة يقدم المعنى الإجمالي، وفي أحيان كثيرة يشرح المفردات وقد يسهب في ذلك . ومرة يبدأ بالإعراب، ومرة بذكر سبب النزول، وأحيانا يجمع الآيات ذات الصلة بالموضوع الواحد على طريقة التفسير الموضوعي....

1- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2889.
2- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
3- المصدر نفسه ، ج 5 ص 2890.
4- المصدر نفسه ، ج 5 ص 2891.
5- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
6- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
7- المصدر نفسه ، ج5 ص 2892.
8- المصدر نفسه ، ج 5 ص 2893.

إثنى عشر: إشارته للمعنى الإجمالي للآية: تعرض الشعراوي في مواضع من تفسيره إلى المعنى الإجمالي، فقد يفسر الآية دون أن يتطرق إلى شرح المفردات، أو الإعراب، أو التوسع والإطناب، من ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ**﴾ [1].يقول: "إن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال هكذا، بل لا بد من تجربة تثبت أنكم فُتِنْتُم ونجحتم في الفتنة، والفتنة هي الامتحان، إذن فلا تحسبوا أن المسألة سوف تمر بسهولة ويكتفي منكم أن تقولوا نحن نحمل دعوة الحق، لا. إذا كنتم صادقين في قولكم يلزمكم أن تكونوا أسوة حين يكون الحق ضعيفا، فالحق حين يكون قويا فهو لا يحتاج إلى أسوة. بل قضية الإيمان الحق تحتاج إلى الأسوة وقت الضعف. ودخول الجنة له اختبار يجب أن يجتازه المؤمن.

والحق يقول: ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ**﴾ وعندما نسمع ذلك فعلينا أن نعرف أن الله يعلم علما أزليا من المجاهد ومن الصابر، ولكنه علم لا تقوم به الحُجة على الغير، فإذا حدث له واقع صار حُجة على الغير. وبعد ذلك يقول الحق:﴿ **وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾[2].

وفي قوله تعالى:﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً**﴾ [3] يقول: "وسبحانه أوضح في آية سابقة أنه لا ولي ولا نصير للكافرين أو للمنافقين. ويؤكد لنا المعنى هنا : إياكم أن تظنوا أن هناك مهرباً أو محيصاً أو معزلاً أو مفراً، فلله ما في السموات وما في الأرض، فلا السموات تُؤوي هارباً منه، ولا مَن في السموات يعاون هارباً منه، وسبحانه المحيط علماً بكل شيء والقادر على كل شيء"[4].

وفي قوله تعالى:﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً**﴾[5] يقول:"...فإياك أن تظن بأن الله ليس عنده ما يريح كل إنسان. فسبحانه عنده كل ما يريح

1- سورة آل عمران، الآية 143.
2- تفسير الشعراوي، ج 3 ص1796.
3- سورة النساء، الآية 126.
4- تفسير الشعراوي، ج 5 ص2679.
5- سورة النساء، الآية 130.

كل الناس. وصيدلية منهج الله مليئة بالأدوية، وبعض الخلق لا يفقهون في استخدام هذه الأدوية لعلاج أمراضهم. ومن الحكمة أنه سبحانه لا يرغم اثنين على أن يعيشا معاً وهما كارهان؛ لأنهما افتقدا المودة والرحمة فيما بينهما"[1].

ثلاثة عشر: إن السمة الغالبة في تفسير الشعراوي هي توظيف أسلوبه الممتع ولغته البسيطة في بيان مناحي الإعجاز في القرآن، خاصة فيما تعلق بالجانب اللغوي والبلاغي، ونجده يوظف جميع إمكاناته لإبراز هذا الوجه، وكثيرا ما نراه يستخدمه في الرد على الشبه والمطاعن التي تثار حول النص القرآني، كما نجده كثير الردود على المستشرقين.

وبناء على ما سبق بيانه فلا يمكن الجزم أن الشعراوي اعتمد طريقة معينة في تفسيره، فمرة يبدأ بشرح المفردات، ومرة بالإعراب، ومرة يذكر سبب النزول، ومرة يشير إلى المعنى الإجمالي، مما لا يجعلنا نجزم بأنه اعتمد طريقة واحدة واضحة المعالم.

التفسير الموضوعي عند الشعراوي :

يعرف التفسير الموضوعي بأنه: "هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها ، وربطها برباط جامع"[2].

1- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2700 .

2- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2 ،1411 هـ، 1991م، مصر ، ص 20.

وعليه فإن التفسير الموضوعي هو أن يقصد المفسر موضوعا خاصا من القرآن، ثم يبحثه تفصيلا من جميع جوانبه على ضوء الآيات القرآنية الواردة فيه، ولقد عرف عن الشعراوي حرصه على استقراء الآيات ذات الموضوع الواحد، بل وأحيانا المفردات المشتركة في المعاني والتي توجد في أكثر من آية، وأمثلة ذلك كثيرة سنورد جانبا منها فيما يلي، من ذلك :

أ / في المفردة القرآنية:

- ومثال ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُون**﴾ [1] يقول الشعراوي: "وكلمة "أمة" تطلق مرة، ويراد بها الجماعة التي تنتسب إلى جنس، كأمة العرب، أو أمة الفرس، أو أمة الروم، ومرة تطلق كلمة "أمة" ويراد بها الملة أي الدين، ومرة ثالثة تطلق كلمة "أمة" ويراد بها الفترة الزمنية كقول الحق: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ**﴾ [2]. إن الرجل الذي فسر له سيدنا يوسف الرؤيا تذكر سيدَنا يوسف بعد أمة أي بعد فترة من الزمن، ومرة تطلق كلمة "أمة" على الرجل الجامع لصفات الخير﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾"[3].

- لفظة"يسألونك" في القرآن فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [4]. يقول:"...وعندما نقرأ ﴿**يَسْأَلُونَكَ**﴾ في القرآن فاعلم أنها من هذا النوع، مثل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العفو**﴾ [5].

وقوله تعالى:﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحيض قُلْ هُوَ أَذًى**﴾ [6].

وقوله تعالى:﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليتامى**﴾ [7].

1- سورة آل عمران، الآية 104.
2- سورة يوسف، الآية 45.
3- تفسير الشعراوي، ج3 ص 1673.
4- سورة البقرة، الآية 188.
5- سورة البقرة، الآية 219.
6- سورة البقرة، الآية 222.
7- سورة البقرة، الآية 220.

وقوله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ والأقربين﴾ [1].

وقوله تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي القرنين﴾ [2].

وقوله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفال قُلِ الأنفال للَّهِ والرسول﴾ [3].

إذن فكل سؤال معناه أنهم أرادوا أن يبنوا حياتهم على نظام إسلامي، حتى الشيء الذي لم يغيره الإسلام أرادوا أن يعرفوه ويصنعوه على أنه حكم الإسلام لا على حكم العادة"[4] .

ب / في الموضوع :

تطرق الشيخ الشعراوي إلى التفسير الموضوعي من حيث الآيات التي تتناول موضوعا واحدا، ومن ذلك:

- تفسير قوله تعالى:﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾[5].يقول الشعراوي: "ولابد قبل أن نتعرض للآية الكريمة: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾ [6]، أن نتحدث عن بعض الأمثال التي ضُربت في القرآن الكريم، لنرى كيف أن الله سبحانه وتعالى حدثنا عن قضايا غيبية بمحسات دنيوية...

مثل بعض الناس يريد أن يشقي نفسه فيشرك بالله جل جلاله.. وبدلا من أن يأخذ طريق الإيمان الميسر... يأخذ طريق الكفر والنفاق والشرك بالله لذي يملك كل شيء في الدنيا والآخرة.. يقول الحق جل جلاله: ﴿**ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [7] .﴿ **وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ**

1- سورة البقرة، الآية 215.
2- سورة الكهف، الآية 83.
3- سورة الأنفال، الآية 1.
4- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 821/820.
5- سورة البقرة، الآية 17.
6- سورة البقرة، الآية 17.
7- سورة الزمر، الآية 29.

أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].يقول: " فالحق تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة يطلب منا أن نفكر في مثل مادي محسوس أيهما خير؟ أذلك الصنم الذي يعبده الكفار وهو لا يأتي لهم بخير أبدا.. لأنه لا يستطيع أن ينفع نفسه فكيف يأتي بالخير لغيره.. بل هو عبء على من يتخذونه إلها.. فإنهم يجب أن يضعوه وأن يحملوه من مكان إلى آخر إذا أرادوا تغيير المعبد أو الرحيل.. وإذا سقط فتهشمت أجزاء منه.. فإنه يجب أن يصلحوها. إذن فزيادة على أنه يأتي لهم بخير.. فإنه عبء عليهم يكلفهم مشقة.. ويحتاج منهم إلى عناية ورعاية.."[2].

" ثم يأتي الله سبحانه وتعالى بمثل آخر، يضرب لنا مثلا لنوره. هذا النور الإلهي الذي يضيء الدنيا والآخرة، فيضيء القلوب المؤمنة، إنه يريد أن يضرب لنا مثلا لهذا النور بشيء مادي محس، فيقول جل جلاله:﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[3]"[4].

" والله سبحانه وتعالى.. يضرب لنا المثل بما سيشهده المؤمنون في الجنة. فيقول جل جلاله: ﴿ **مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**﴾[5] هذه ليست الجنة...ولكن هذا مثل يقرب الله سبحانه وتعالى لنا به الصورة بأشياء موجودة في حياتنا...لأنه لا يمكن لعقول البشر أن تستوعب أكثر من هذا"[6]....إلخ

1- سورة النحل، الآية 76.
2- تفسير الشعراوي، ج 1 ص 166.
3- سورة النور، الآية 35.
4- تفسير الشعراوي، ج 1 ص 167.
5- سورة محمد، الآية 15.
6- تفسير الشعراوي، ج1 ص 169.

-موضوع "نزول القرآن" وقد تطرق إليه في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ ٱللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ [1].

يقول :".. ونزول القرآن يتطلب صفات متعاضدة. فسبحانه مرة يقول: ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ﴾ [2] ومرة يقول: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [3].

ومرة ثالثة يقول: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [4] ما الغاية من الإنزال؟ الغاية من الإنزال أن يوجد على الأرض منهج يحكم حركة الحياة. والقرآن قد أنزل إلى الرسول وإلى من آمن بالرسالة. وحين يقول الحق: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ فمعنى ذلك نزول التكليف... وكلمة "أَنزَلْنَا" تدل على أن جهة أنزلت، وجهة أُنزل إليها، وشيء أنزلته الجهة إلى المُنَزِّل إليه. والكتاب هو المنزل. والذي أنزله هو الله. والمُنَزَّل إليه هو رسول الله وأمته.... وعندما نقرأ هذا القول الكريم:﴿يَابَنِيۤ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [5].إنه لباس جاء من أعلى، لذلك استخدم الحق كلمة "أَنزَلْنَا"... وبعد ذلك أنزل الحق لباس التقوى وهو الخير. فاللباس الأول يواري عورة مادية، ولباس التقوى يواري العورات القيمية والمعنوية، وكل ذلك إنزال من أعلى... وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [6] إذن فكلمة "الإنزال" تدل على أن كل ما جاء من قِبَلِ الحق الأعلى إلينا، فهو نازل إلينا بشيء يعالج مادتنا وقوامنا، وبشيء يعالج معنوياتنا وقيمنا "[7].

فكل هذه النماذج التي سبق ذكرها تبين وتدلل على مدى عناية الشيخ-رحمه الله- بالتفسير الموضوعي وتطبيقات ذلك جلية وواضحة في تفسيره.

1- سورة النساء، الآية 105.
2- سورة العنكبوت، الآية 57.
3- سورة العنكبوت، الآية 51.
4- سورة الأنبياء، الآية 10.
5- سورة الأعراف، الآية 26.
6- سورة الحديد، الآية 25 .
7- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2610.

وفي الأخير وبناء على ما سبق بيانه فلا يمكن الجزم أن الشعراوي اعتمد طريقة معينة في تفسيره ، فمرة يبدأ بشرح المفردات ، ومرة بالإعراب، ومرة يذكر سبب النزول ، ومرة يشير إلى المعنى الإجمالي، مما لا يجعلنا نجزم بأنه اعتمد طريقة واحدة واضحة المعالم في تفسيره على شاكلة جمهرة علماء التفسير.

مصادر التفسير عند الشعراوي

إن دراسة منهج أي مفسر تحتم علينا بيان المصادر التي اعتمدها في تفسيره، إذ بيان تلك المصادر غالبا ما يحدد ملامح المنهج المتبع، لأن المناهج في التفسير تختلف باختلاف ما يستعين به المفسر من مصادر التفسير[1]، كما يوضح بجلاء الأسس التي تبناها المفسر في تفسيره، كما يقدم لنا البحث في مصادر المفسر مدى تأثره بها والتزامه في النقل عنها والإحالة عليها.

"إن دراسة تلك المصادر يستهدف الكشف عن الينابيع التي استقى منها المفسر، وذلك لأن المصادر أحد العناصر التي لها دور رئيسي في تكوين منهج المفسر، فدراستها تساعد على تفهم منهجه وتوضيحه"[2].

والقارئ لتفسير الشعراوي يشده لذلك الكم اللغوي والبلاغي، والاستطرادات المعرفية، والخواطر الإيمانية، التي جعلت منه تفسيرا موسوعيا يشمل أطياف التفاسير ونماذجه المختلفة. إن هذا الفكر الموسوعي الذي يبرز جليا في تفسير الشعراوي، من ورائه روافد علمية تشكل مصادره العلمية التي استقى منها، غير أن طبيعة التفسير وشخصية المفسر تجعلان من الصعب تحديد تلك المصادر وذلك لجملة من الأسباب :

أولا: - أسباب تتعلق بشخص المفسر:

يظهر بجلاء الغاية التي كان يرمي إليها الشعراوي في تفسيره وهو تقديم خواطر إيمانية مستوحاة من نصوص القرآن، مما يفتح الله به على صاحبه من صنوف العلوم والمعارف، والاستنباطات والاستنتاجات، مما يصعب عزوه أو إحالته، وقد صرح الشعراوي بذلك حين قال: "خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيرا للقرآن، وإنما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات"[3].

1- ينظر: محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى ، ص586.

2- علي محمد الزبيري، ابن جزي ومنهجه في التفسير ، ص267.

3- تفسير الشعراوي، ج1 ص 05.

وقد يطرح هنا تساؤل مؤداه: كيف يصرح الشعراوي بأن خواطره لا تعد تفسيرا، ومن ثم كيف يمكن تحديد منهج الشيخ الشعراوي في خواطره ؟.

والجواب عن ذلك هو قوله في تقديمه لهذه الخواطر" فهذا حصاد عمري العلمي، وحصيلة جهادي الاجتهادي شرفي فيه أني عشت كتاب الله، وتطامنت لاستقبال فيض الله ولعلي أكون قد وفيت حق إيماني، وأديت واجب عرفاني"[1]

ولا شك أن شخصية علمية ودينية واجتهادية بحجم الشيخ الشعراوي، حينما يصرح أن هذا العمل هو حصيلة جهاد اجتهادي، فإن ذلك يدل على قيمة العمل وقدره عند صاحبه ، وأنه بذل فيه الوسع تأدية لواجبه تجاه كتاب ربه، إذ التفسير من أشرف العلوم الشرعية [2] إن لم يكن أشرفها على الإطلاق، ولذا تنافس العلماء السابق منهم واللاحق في خدمة كتاب الله، وتوضيح معانيه وبيان مراميه، وكثيرا ما نجد خلاصة جهادهم العلمي تفسير كتاب الله .

-كان الشيخ الشعراوي رجلا موسوعيا كثير التفريعات والاستطرادات، يعتمد في تفسيره على المشافهة والإلقاء مما يصعب من عملية تحديد مصادره.

-كان هدف الشعراوي أن يعيش الناس مع القرآن لذلك تفاعل مع هذه الغاية، وكان جهده منصرفا إلى المعنى، وليس إلى التدقيق العلمي الذي يقتضيه التحرير والكتابة، لذلك قلما يحيل الشعراوي إلى كتاب، أو يعزو قولا إلى قائله، أو ينسب رأيا إلى صاحبه.

-لم يصرح كعادة المفسرين بمصادر تفسيره أو يشير إليها في مقدمة تفسيره.

ثانيا : أسباب تتعلق بتفسيره.

-يمكن تصنيف تفسير الشعراوي من التفاسير الشفهية التي تعنى بإيقاظ الحس الإيماني، وربط المستمع له بالقرآن الكريم، في شكل دروس وعظية سهلة الأسلوب لا تلتزم بالمنهجية العلمية التي دأب عليها المفسرون .

1- تفسير الشعراوي، كلمة بخط يده قبل مقدمة تفسيره.

2- ينظر في بيان شرف الاشتغال بعلم التفسير، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص26. وينظر: الإتقان للسيوطي، ج2 ص460 وما بعدها . وينظر: أعلام الأنام شرح بلوغ المرام، نور الدين عتر، ج3 ص300.

-إن طبيعة التفسير وطريقة تقديمه، فرضت على الشعراوي الاقتصار على تقديم المعاني التفسيرية إجمالا، دون ذكر الآراء معزوة إلى أصحابها، أو الأحاديث بأسانيدها، أو الأقوال الفقهية بقواعدها وأصولها ومذاهبها .

ولئن كانت طبيعة تفسيره تلك حالت دون تصريحه بمصادر تفسيره، غير أن هذا لا يمنعنا من تتبع تفسيره، والتفتيش عن تلك المصادر التي اعتمد عليها والتنقيب عنها. ومما يجدر التنبيه إليه أن هناك نوعين من المصادر تتمثل في أهم العلوم التي وظفها، وكذا المصادر العلمية التي اعتمد عليها:

أ/ العلوم التي وظفها في تفسيره: ونعني بذلك علوم القرآن وعلوم الحديث، وعلوم اللغة والبلاغة والشعر، وعلوم الفقه وأصوله، و علم التصوف والسلوك، و علم المنطق...إلخ وسنحاول ذكر نماذج عن ذلك في حينه .

ب/ مصادر تفسيره: ونعني بها الكتب التي اعتمدها في تفسيره كالتفاسير، والقواميس، والمعاجم ، وكتب السنن والمذاهب الفقهية، ومختلف المصادر الأخرى....

1-كتب التفسير:

كما سبق توضيحه فإن الشيخ الشعراوي لم يكن من عادته أن يشير إلى مصادره، ولكن باعتبار السمة الغالبة على تفسيره وهي الجانب اللغوي والبياني، فقد بدا الشعراوي متأثرا بالزمخشري بالنظر إلى اعتباره أحد أساطين المفسرين البلاغيين .

الإمام الزمخشري:

- في تفسيره قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [1] يقول: "... وقال الزمخشري : ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم، وقولهم: (هل يستطيع) كلام لا يتأتّى مثله من مؤمنين معظمين لربهم". [2]

1- سورة المائدة، الآية 112.

2- تفسير الشعراوي، ج 6 ص3465.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [1] يقول: "...ولذلك قال شيخنا الزمخشري رضي الله عنه: ما دام هذا الكون فيه وجود، يكون الوجود: إما واجباً، وإما ممكناً. والوجود الواجب لله وحده. والوجود الممكن هو كل ما عدا الله، ولا يوجد أزل ولا أبد إلا للحق سبحانه وتعالى"[2].

وفي قوله تعالى:﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾ [3] يقول: "وقد ضرب الزمخشري -رحمه الله- مثلاً لذلك برجل جميل الخطِّ، وآخر لا يُحسِن الكتابة، فيرى الأخيرُ لوحة جميلة، فيقول للأول: أأنت كاتب هذه اللوحة؟ فيقول: لا بل أنت الذي كتبتَها! تبكيتاً له وتوبيخاً "[4] .

وفي تفسير الآية:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [5] يقول: " إذن: فمن العذاب ما هو تذكير وتطهير أو ترضية وتكريم لمستقبل ، وإنما سمي عذاباً تجاوزاً ، فهو في هذه الحالة لا يعد عذاباً .

وفي هذا المعنى قال الزمخشري: الملك يكون عنده الخادم، فيفعل ما لا يرضي سيده، فيأمر صاحب الشرطة أن يأخذه ويعذبه جزاء ما فعل، فيأخذه الشرطي ويعذبه بقدر لا يتعداه، لأنه يعلم أنه سيعود مرة أخرى إلى خدمة السيد، فالعذاب في هذه الحالة يكون بقدر ما فعل الخادم ليس مهيناً له"[6] .

ويقول في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [7]

1- سورة التوبة، الآية 55.

2- تفسير الشعراوي، ج 9 ص 5196.

3- سورة الأنبياء ، الآية 63.

4- تفسير الشعراوي، ج 15 ص 9582 .

5- سورة لقمان ، الآية 06.

6- تفسير الشعراوي، ج 15 ص 9593 .

7- سورة البقرة ، الآية 173.

"فالعرف له اعتبار، لذلك فالزمخشري صاحب الكشاف يقول في هذه المسألة: "لو حلفت ألا تأكل اللحم وأكلت السمك فإجماع العلماء على أنك لم تحنث في يمينك" . وضرب مثلا آخر فقال: لو حلفت بأن تركب دابة، والكافر قد أسماه الله دابة فقال: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدواب عِندَ الله الذين كَفَرُواْ**﴾ فهل يجوز ركوب الكافر؟ . لا يجوز فكان مقتضى الآية أنه يصح لك أن تركبه وعلق على ذلك قائلا : صحيح أن الدابة هي كل ما يدب على الأرض، إلا أن العرف خصها بذوات الأربع"[1].

الإمام الرازي[2]:

يقول عند تفسير اللآية ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [3] "ولذلك نجد الإمام الرازي –رضي الله عنه– يقول: إن العمل في ذاته يورث الذات شيئا من الصفاء الذي ترتاح له وتسعد به، حتى تجد الجزاء في الراحة، والراحة النفسية هي الأمر المعنوي الذي يوجد في بنية مادية هي قالبك. فساعة يوجد شيء في النفس فهو يؤثر في القالب أغياراً، فإذا غضب الإنسان فهذا الغضب يظهر أثره في البنية نفسها فيحمر الوجه، ويرتعش الإنسان للانفعال بالغضب، والغضب أمر معنوي لكنه أثّر في البنية، وكذلك إذا ما حدث ما يسرّك، يظهر ذلك في البنية أيضاً، فتشرق وتهلل أساريرك . إذن فالعمل يؤثر في البنية، والبنية تؤثر في العمل"[4].

وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾ [5].يقول: " ونجد المفسر الجليل الفخر الرازي يضرب المثل

1- تفسير الزمخشري، ج 2 ص 729.

2- هو محمد بن عمر التيمي البكري(544، 606هـ) أبو عبد الله فخر الدين الرازي: الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل مولده في الري ويقال له ابن خطيب الري وتوفي في هراة، له "تفسير"مفاتيح الغيب" والمحصول في علم الأصول، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" وغيرها. ينظر الأعلام، ج6 ص313. ووفيات الأعيان،ج4 ص252/248.وطبقات المفسرين للأدنروي، ص214/213، وينظر مقدمة تفسير فخر الدين الرازي.

3- سورة الأنعام ، الآية 127.

4- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 3942.

5- سورة إبراهيم، الآية 10.

الذي لا يمكن أن يُنكره أحد، ويدل على الفطرة في الإيمان، ويوضح أن الحق سبحانه لم يمهل الإنسان إلى أن ينضج عقله ليشعر بضرورة الإيمان، ويضرب المثل بطفل صغير تسلل، وضرب شقيقه، هنا لا بد أن يلتفت الشقيق ليكتشف من الذي ضربه، لأن الإنسان من البداية يعلم أن لا شيء يحدث إلا وله فاعل .

وهب أن طفلا جاء ليجد شقيقه جالسا على كرسي، وهو يريد أن يجلس على نفس الكرسي، هنا سيقوم الطفل بشد وجذب أخيه من على الكرسي ليجلس هو، وكأنه اكتشف بالفطرة أن اثنين لا يمكن أن يستوعبهما حيز واحد. وهكذا يتوصل الإنسان بالفطرة إلى معرفة أن هناك خالقا أوحد"[1] .

وفي تفسير قوله تعالى:﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [2].يقول: "هذه وسائل أربعة لإهلاك المكذبين، النار في الحصباء، والهواء في الصيحة، والتراب في الخسف، ثم الماء في الإغراق، ورحم الله الفخر الرازي حين قال في هذه الآية أنها جمعت العناصر التي بها وجود الإنسان والعناصر الأساسية أربعة: الماء والنار والتراب والهواء . وكانوا يقولون عنها في الماضي العناصر الأربعة، لكن العلم فرّق بعد ذلك بين العنصر والمادة "[3].

الإمام الطبري : يقول في الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[4]

"أي إن صح كلام العباس في إسلامه وأنه كتم الإسلام، فالله يعلم ما في قلبه وسوف يعطيه الله خيراً مما أخذ منه. وبالفعل فاء الله على العباس بالخير. فقد أسند الطبري إلى العباس أنه قال: فيّ نزلت –أي هذه الآية– حين أعلمت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية

1- تفسير الشعراوي، ج 12 ص 7453.

2- سورة العنكبوت، الآية 40.

3- تفسير الشعراوي، ج 18 ص 11167 .

4- سورة الأنفال، الآية 70.

التي أخذت مني قبل المفاداة فأبى وقال: "ذلك فَيْء" فأبدلني الله من ذلك عشرين عبداً كلهم تاجر بمالي"[1] .

جاء في تفسير الطبري للآية :"حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن إدريس، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال العباس: فيّ نزلت: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَكُونَ لَهُ أسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ**﴾ ، فأخبرت النبيّ ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبداً كلهم تاجر، مالي في يديه"[2].

الإمام ابن كثير:

يقول في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [3]"...وفي الرواية التي ذكرها ابن كثير (قال العباس فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجوه من مغفرة الله عز وجل) ، وهكذا تحقق قول الله عز وجل"[4].

جاء في تفسير الآية عند ابن كثير: "وقال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزهري عن جماعة سماهم قالوا: بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلماً، فقال رسول ﷺ: **{الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول، فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك، فقد كان علينا، فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر }** قال: ما ذاك عندي يا رسول الله قال: **{ فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبنيَّ: الفضل، وعبد الله، وقثم }** قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل ، فاحسب لي يا

1- تفسير الشعراوي، ج 8 ص 4813.
2- تفسير الطبري، ج 6 ص 292.
3- سورة الأنفال ، الآية 70.
4- تفسير الشعراوي، ج 8 ص 4813.

رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، فقال رسول الله ﷺ: **{لا، ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك}**[1] ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ قال العباس : فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً، كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل"[2].

الإمام الآلوسي :

يقول في قوله تعالى: ﴿**قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [3]

"والشيخ الألوسي في تفسيره يقول: "إنما كان ذلك لأن مطلوبات البر من الأخ لأخوته غير مطلوبات البر من ابن لأبيه، لأن الأخ ليس له نفس حق الأب، لذلك يكون غضب الأب أشدَّ من غضب الأخ "[4] .

الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا: يبدو أن الشعراوي كان متأثرا بمدرسة الإصلاح التي تبناها الشيخ محمد عبده[5]، حيث كان ينقل عنه في أكثر من موضع[6].

سيد قطب[7]: ففي تفسير قوله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [8] .يقول :"...ونريد أن نفهم هذه اللقطات، ولماذا استهلت بمسألة الربا؟ لأن الذي كان سبباً في الهزيمة أو عدم النصر في معركة أُحد أنهم طمعوا

1- أخرجه الإمام أحمد في مسنده،ج5 ص336، و الحاكم ج 3 ص324، والبيهقي في السنن، ج 6 ص322.

2- تفسير ابن كثير، ج 3 ص 349.

3- سورة يوسف ، الآية 98.

4- تفسير الشعراوي، ج 12 ص 7074. ينظر: تفسير روح المعاني، للآلوسي، دار الحديث، القاهرة، 1426ه/2005م، ج13 ص73.

5- هو محمد عبده هو مفتي الديار المصرية، (1849، 1905)، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، تعلم بالأزهر، صاحب جمال الدين الأفغاني، له مؤلفات كثيرة،منها "تفسير القرآن الكريم" لم يتمه، ينظر الأعلام، ج6، ص253/252.

6- ينظر: تفسير المائدة الآية 15و 54. وسورة يوسف، الآية 1، وسورة المومنون الآية 50 .

7- هو سيد قطب (1906، 1966م) مفكر إسلامي مصري ولد في إحدى قرى أسيوط مصر، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة عمل في الأهرام والرسالة والثقافة، طالب بتغيير المناهج الدراسية كي تتماشى والفكرة الإسلامية سجن ثم أعدم في محنة الإخوان بمصر. له "النقد الأدبي أصوله ومناهجه، التصوير الفني في القرآن، مشاهد القيامة في القرآن، في ظلال القرآن". ينظر الأعلام، ج3 ص148/147.

8- سورة آل عمران، الآية 129.

في الغنيمة. والغنيمة مال زائد، والربا فيه طمع في مال زائد. والقرآن حين يعالج هنا قضية حدثية، والأحداث أغيار تمر وتنتهي، فهو سبحانه يريد أن يستبقي عطاء الحدث ليشيع في غير زمان الحدث، وإلا فالحدث قد يمر بعظاته وعبره وينتهي ولا تكون له فائدة . والنفس حين تمر بالأحداث تكون ملكاتها متفتحة، لأن الحدث -كما قال المغفور له الشيخ سيد قطب- يكون ساخناً، فحين يستغل القرآن الحدث قبل أن يبرد فإن القضية التي تتعرض لها الموعظة تتمكن من النفس البشرية. وهو سبحانه لم يرد أن تمر أحداث أُحد بما فيها من العبر والعظات إلا ويستغلها القرآن الكريم، ليثبت بها قضايا إيمانية تشيع في غير أزمنة الحدث من الحروب وغيرها، لتنتظم أيضاً وقت السلام"[1] .

وفي قوله تعالى:﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا**﴾ [2]. يقول الشيخ:"ومن الذي يفرض هذا النصيب؟ إنه الله الذي ملك وهو الذي فرض. هنا نلاحظ أن المرحوم الشهيد صاحب الظلال الوارفة الشيخ سيد قطب لحظ ملحظا جميلا هو: كيف يكون للمتوفى أولاد أو نساء محسوبون عليه ولا يأخذون؟ إن الصغار كانوا أولى أن يأخذوا لأن الكبار قد اشتدت أعوادهم وسواعدهم، فالصغار أولى بالرعاية، وأيضا إذا كانت قوانين "مندل" في الوراثة توضح أن الأولاد يرثون من أمهاتهم وآبائهم وأجدادهم الخصال الحسنة أو السيئة، أو المرض أو العفة أو الخلقة، فلماذا لا تورثونهم أيضا في الأموال؟"[3].

2-المعاجم والقواميس :

من خلال تتبعي لعدد من المفردات القرآنية التي شرحها الشيخ الشعراوي شرحا معجميا، أدركت مدى التزامه في نقل المعاني عن أمهات المعاجم والقواميس العربية، غير أنه مما يؤخذ على الشيخ أنه لم يحل على أي مصدر من تلك المصادر، لكن بالعودة إلى تلك المعاجم نستطيع دونما أي شك في إثبات اعتماده على تلك المعاجم، ولقد مثلت بمثالين عن معجمين

1- تفسير الشعراوي، ج3 ص 1783.

2- سورة النساء، الآية 07.

3- تفسير الشعراوي، ج 4 ص .2023

مشهورين هما لسان العرب، والقاموس المحيط، وقد ذكرهما من باب التمثيل لا الحصر لكثرة توسع الشيخ في شرح المفردات.

-مثال تفسير قوله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [1].

يقول: "وقول الحق: "أَنشَأَ" أي أوجد على إبداع لم يسبق له مثيل فلم يكن هناك نماذج توضيحية تدل الله سبحانه، وإنما ابتدأها على غير مثال سابق، لأنه لا يوجد خالق سواه. والخالق إذا لم يكن هناك سواه من شريك أو ندٍ فإنه حين يخلق إنما ينشىء خلقاً على غير نظام أو مثال كان قد سبقه"[2].

فكلمة أنشأ بمعنى أوجد وأبدع، وقد جاء في اللسان: " أنْشأه الله خلقه ونشأ ينشأ نشأ ونشوءا ونشاء ونشأة ونشاءة حيي وأنشأ اللّه الخلق أي ابتدأ خلقهم.... وقال الزجاج في قوله تعالى وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات أي ابتدعها وابتدأ خلقها وكل من ابتدأ شيئا فهو أنشأه والجنات البساتين معروشات"[3] .

- وكذلك شرحه لمفردة "جنات" من الآية السابقة فإنه يورد المعاني اللغوية ويذهب إلى " أن المادة كلها تدل على الستر والتغطية "[4]، وهذا ما نجده وغيره عند ابن منظور والفيروز آبادي[5].

- شرحه لمفردة "أكنة"[6] من قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**﴾ ومعنى"أكنة" جمع كِنان وهو الغطاء"[1].

2- سورة الأنعام، الآية 141.

2- تفسير الشعراوي، ج 7 ص3967.

3- لسان العرب، لابن منظور، ج14 ص 252 مادة (نشأ).

4- تفسير الشعراوي ج7 ص 3967.

5- ينظر: لسان العرب، لابن منظور ج 3 ص 217.

6- سورة الإسراء، الآية 46.

3-كتب السنة النبوية:

لم يعرف عن الشعراوي عنايته بالحديث النبوي-في تفسيره- كما جرت العادة عند المفسرين، بل يمكن أن نسجل شبه غياب لهذا المصدر، ولعل هذا من بين ما يؤخذ عليه في تفسيره. فالسنة النبوية باعتبارها ثاني مصادر التشريع وهي الشارحة والمبينة للقرآن،كان يفترض أن تحضى عنده بمنزلة خاصة، لكن هذا لا يمنع من أن نحيل على أهم مصادر كتب السنن التي اعتمد عليها فيما وجدناه مبثوثا في ثنايا تفسيره ولعل من بين أكثر تلك المصادر :

أ/صحيح الإمام البخاري:

ففي تفسير قوله تعالى﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ [2]. يقول : "...عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ:**{والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما مقسطا فيكسر الصليب، ويقتل الخترير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد}**[3]. وهذا الحديث موجود في صحيح البخاري..."[4].

وفي قوله تعالى:﴿**فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [5] "وفيما رواه البخاري : عندما قال رسول الله ﷺ: **{ويل للعرب من شر قد اقترب} {فقيل له: أنهلك وفينا الصالحون}؟ قال: {نعم إذا كثر الخبث}**[6]."[7] .

ب/صحيح مسلم:

1- تفسير الشعراوي، ج 14 ص8585. وينظر: لسان العرب، مادة (كنن)، ج 13 ص 122.

2- سورة البقرة، الآية 87 .

3- أخرجه البخاري في صحيحه، باب كسر الصليب وقتل الخترير، رقم: 2476، ص594.

4- تفسير الشعراوي، ج 1 ص 458.

5- سورة البقرة، الآية 182 .

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، تحت رقم: 7059، ص1775.

7- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 777.

يقول في تفسير لقوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [1].

" هذه الواقعة يرويها الإمام مسلم ﷺ وهي:{أن رسول الله ﷺ أُتِىَ بِيَهُودِىٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ فَقَالَ " مَا تَجِدُونَ فِى التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى ". قَالُوا نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا وَنُحَمِّلُهُمَا وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا وَيُطَافُ بِهِمَا. قَالَ " فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ". فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِى يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا وَرَاءَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ وَهْوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَرُجِمَا. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ}[2]". [3]

الإمام مالك:

وقد نقل عنه في معرض تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4] يقول الشعراوي " ولذلك حينما سئل سيدنا الإمام مالك عن هذه المسألة قال لمن سأله: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة" وأراك رجل سَوْء! أخرجوه "[5].

1- سورة المائدة، الآية 41.

2- أخرجه مسلم في صحيحه، باب : رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: 1699، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1421،1هـ/2001م، ص673.

3- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 3147.

4- سورة الأعراف، الآية 54.

5- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 4171.

مسند الإمام أحمد:

يقول في تفسير﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)**﴾ "واقرأ الحديث القدسي لتعرف شيئا عن رحمة الله بعباده....يقول الله عز وجل: {**ما من يوم تطلع شمسه إلا وتنادي السماء تقول يا رب إئذن لي أن أسقط كسفا على ابن آدم؛ فقد طعم خيرك ومنع شكرك وتقول البحار يا رب إئذن لي أن أغرق ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك . وتقول الجبال يا رب إئذن لي أن أطبق على ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك . فيقول الله تعالى : دعوهم دعوهم لو خلقتموهم لرحمتوهم إنهم عبادي فإن تابوا إلي فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم**}رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده" [1].

وفي قوله تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [2] "...فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "مرضت مرضا فأتاني النبيّ ﷺ وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي عليّ، فتوضأ النبيّ ﷺ ثم صبّ وَضوءه عليّ فأفقت فإذا النبيّ ﷺ فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث . وفي رواية أخرى عن الإمام أحمد فقلت: إنه لا يرثني إلا كلالة، فكيف الميراث؟ فأنزل الله آية الفرائض"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [4] .

1- تفسير الشعراوي، ج1 ص63.
2- سورة النساء، الآية 176.
3- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2885.
4- سورة المائدة، الآية 41.

يقول الشيخ الشعراوي: "...إنهم يريدون الحُكم السهل الهين اللين. وقال البعض: إن سبب نزول هذه الآية هي قصة القَوَد . والقود هو القصاص. وقصة القود في إيجاز هي -كما رواها الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن عباس ﷺ أن طائفتين من اليهود هما بنو النضير وبنو قريظة كانتا قد تحاربتا في الجاهلية، فقهرت بنو النَّضير بني قريظة، فكانت النَّضير وهي العزيزة إذا قتلت أحداً من بني قُريظة وهي الذَّليلة لم يُقِيدوهم أي لم يعطوهم القاتل ليقتلوه قتيلهم.إنما يعطونهم الديَّة. وكانت قُريظة إذا قَتَلت أحداً من بني النَّضير لم يرضُوا منهم إلا بالقود. فلما قدم النبي ﷺ المدينة تحاكموا إليه في هذا الأمر فحَكَم بالتَّسوية بينهم، فسَاءَهم ذلك و لم يقبلوا"[1] .

وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [2]. يقول: "فقد روى الإمام أحمد قال: قام أبو بكر الصديق ﷺ عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: "يا أيها الذين آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهتديتم" وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **{إنّ الناس إذا رأوْا المنكر فلم يغيروه يوشك الله ﷻ أن يعمهم بعقابه}**[3]"[4].

وفي قول الحق تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [5].يقول الشعراوي: "...وفي ذلك قال الإمام أحمد عن أنس أن أبا بك حدثه قال: " قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار:**{لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال، فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما}**"[6] .

كتب السنة النبوية الأخرى: في غالب الأحيان وجدت الشيخ يستشهد بالحديث دون ذكر راويه، ولكن بعد العودة إلى مظان كتب السنن نستطيع أن نحيل تلك الأحاديث على

1- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 3147.
2- سورة المائدة، الآية 105.
3- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم:01، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ/2005م، ج1 ص 165.
4- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3440.
5- سورة الأنفال، الآية 46.
6- تفسير الشعراوي، ج 8 ص 4730.

مصادرها، وسأذكر بعضها على سبيل التمثيل، من ذلك الترمذي[1] وأبو داود [2] والنسائي[3] وابن ماجه[4] وابن حبان و البيهقي و الدارقطني .....

في الفقه :

من فقه الإمام أبو حنيفة:

يقول في تفسير قوله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [5].

"...فكأن الأعمال التي طلبها الحق سبحانه وتعالى إن لم تفعلها وكانت في استطاعتك عوقبت ، وإن فعلتها يمر عملك بمرحلتين، المرحلة الأولى هي ألا تُعاقب، والمرحلة الثانية هي أن تُثاب على الفعل. فالشافعي قال: إن الشخص إذا فعل فعلاً يُثاب عليه الإنسان، ثم كفر، ثم عاد إلى الإسلام فهو لا يُعاقب، ولكنه يُثاب. أما الإمام أبو حنيفة فقد قال: إنه لا عبرة بعمله الذي سبق الردة مصداقا لقوله تعالى: "حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ" أي أبطلت وزالت، وكأنها لم تكن..."[6] .

1- ينظر: تفسير الشعراوي، ج1 ص24 حديث قوله ﷺ "مانقص مال من صدقة" أخرجه الترمذي في سننه (2325)، وقال: حديث حسن صحيح. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1،دت، ص 525.

2- ينظر: تفسير الشعراوي، ج1 ص45. حديث قوله ﷺ :"أنا الرحمن وهي الرحم الرحم شققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته" أخرجه أبو داوود في سننه من حديث عبد الرحمن بن عوف. رقم: 1694. بيت الأفكار الدولية، الأردن، دط، دت.

3- تفسير الشعراوي، ج1 ص294، قال الله: "أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلها كان أهلا أن أغفر له"

4- ينظر: تفسير الشعراوي، ج1 ص458، حديث قوله ﷺ :" والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" سبق تخريجه.

1- سورة البقرة، الآية 217.

6- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 946.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [1].

يقول الشيخ الشعراوي: "ما معنى الحصاد في اللغة؟. الحصاد في اللغة القطع، فحينما تفصل الثمرة المطلوبة فهذا هو الحصاد. ولكن يوم الحصاد للحبوب، تكون الغلال في السنابل، ويرى الإمام أبو حنيفة أن تعطي من البداية لمن حضر القسمة، وكذلك حينما تدرسه وتذريه تعطي، وعندما تغربل الحبوب أعط أيضاً، ويبتدئ الحصاد من ساعة أن تُكيل، وما تقدم غير محسوب، ما تأتيه من الحق يوم حصاده هو غير المفروض؛ لأنه لم يقل الحق المعلوم، وفي هذا اتساع لدائرة امتداد الخير إلى غير الزارعين"[2] .

من فقه الإمام مالك: وقد نقل عنه الشيخ الشعراوي في بعض الفروع الفقهية من ذلك في معرض تفسير قول الحق: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [3].

يقول "...وما معنى الذكر؟ إنّ عدم تحديد العلماء المعنى المقصود بالذكر، هو الذي أوجد بينهم خلافاً كبيراً . فسيدنا الإمام مالك يرى أنك إذا ذبحت و لم تذكر اسم الله سواء أكنت ناسياً أم عامداً فلا يصح لك أن تأكل من الذبيحة . ويرى الإمام أبو حنيفة : إذا كنت لم تسم ناسياً فكل مما ذبحت، لكن إن كنت عامداً فلا تأكل، والإمام الشافعي ﷺ يرى : ما دمت مؤمناً ومقبلاً على الذبح وأنت مؤمن فَكُلْ مما لم تذكر اسم الله ناسياً أو عامداً لأن إيمانك ذكر لله "[4].

1- سورة الأنعام، الآية 141.

2- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 3969.

3- سورة الأنعام، الآية 119.

4- تفسير الشعراوي، ج 7 ص3903. والذي عليه المالكية أن التسمية واجبة مع الذكر والقدرة فلا تجب على ناس أو أخرس، وهو أحسن الآراء وقد أيده الشوكاني في نيل الأوطار. ينظر للتفصيل :نيل الأوطار للشوكاني،المكتبة التوفيقية، دط، دت، ج8 ص188/185.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [1] "وهكذا نعلم أنه سبحانه يعلم ما تغيض الأرحام، أي: ما تنقصه في التكوين العادي أو تزيده، أو يكون النظر إلى الزمن، كأن يحدث إجهاض للجنين وعمره يوم أو شهر أو شهران، ثم إلى ستة أشهر، وعند ذلك لا يقال إجهاض، بل يقال ولادة . وهناك مَنْ يولد بعد ستة شهور من الحمل أو بعد سبعة شهور أو ثمانية شهور، وقد يمتد الميلاد لسنتين عند أبي حنيفة، وإلى أربع سنوات عند الشافعي، أو لخمس سنين عند الإمام مالك، ذلك أن مدة الحمل قد تنقص أو تزيد"[2].

من فقه الإمام الشافعي:

وقد نقل عنه في معرض تفسيره قوله تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [3]يقول:" وتساءل العلماء: هل الممنوع والمحرم هو اقتراب المشرك من المسجد الحرام، أم من الحرم كله؟ وحدد الإمام الشافعي التحريم على المشركين بالوجود في المسجد الحرام. ومع احترامنا لاجتهاد الإمام الشافعي نقول: إن الحق سبحانه وتعالى قال: "فَلاَ يَقْرَبُواْ" ولم يقل : فلا يدخلوا. وتحريم الاقتراب يعني ألا يكونوا قريبين منه، وأقرب شيء للمسجد الحرام هو كل الحرم، ولو كان المراد هو المسجد فقط لمنع الحق دخولهم إليه بالنص على ذلك، وهكذا نرى كيف يمكن أن يجتهد الإنسان ويبحث في المعاني ليستخرج المضمون الحق"[4] .

وفي قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾

1- سورة الرعد، الآية 08.

2- تفسير الشعراوي، ج 12 ص 7229.

3- سورة التوبة، الآية 28.

4- تفسير الشعراوي، ج 8 ص 5013.

[1]يقول:"هذا الخلاف الذي وقع فيه حتى الأئمة والفقهاء، فهناك مَنْ يقول: الزاني واطئ وفاعل، والمرأة موطوءة، فالفعل للرجل لا للمرأة، فهو وحده الذي يتحمل هذه التبعة.

لذلك الإمام الشافعي -رضي الله عنه- يحكي أن رجلاً ذهب للنبي ﷺ وقال: يا رسول الله وطئت امرأتي في رمضان. فقال له ﷺ: "كَفِّر". وأخذ الشافعي من هذا الحديث أن الكفارة إنما تكون على الرجل دون المرأة، وإلا لقال له الرسول: كَفِّرا"[2] .

وكما سبق وأن بينت فإن طبيعة تفسير الشعراوي، وطريقته فيه لا تسعفنا في حصر المصادر التي اعتمدها، ولا أبرز المؤلفات والكتب التي رجع إليها، ولا شك أن تلك المصادر كثيرة ومتنوعة تنوع المباحث التي تطرق إليها في تفسيره، فكثيرا ما يطعم تفسيره بلفتات علمية قيمة في مجالات عدة، كعلم النفس أو الاجتماع، أو التاريخ والسير، أو اللغة والأدب، أو العلوم الحديثة...فشأنه في ذلك شأن كثير من كبار العلماء المفسرين الموسوعيين من القدامى أو المحدثين.

1- سورة النور، الآية 02.

2- تفسير الشعراوي، ج 16 ص 10194.

الفصل الثاني
التفسير بالمأثور عند الشعراوي

أولا تفسير القرآن بالقرآن

إن المتأمل في تفسير الشعراوي يدرك منذ الوهلة الأولى نزعته إلى الاتجاه اللغوي والبياني، وهي السمة الغالبة على تفسيره، ويظهر ذلك جليا من خلال عرضه المستفيض للقضايا اللغوية والبلاغية، والنحوية والصرفية، غير أن ذلك لا يمنع من تسجيل عدد من المباحث والقضايا، التي دأب المفسرون على التطرق لها في ثنايا تفاسيرهم، كالمسائل العقدية، ومباحث علوم القرآن، والقراءات، والأحكام الفقهية، وغيرها...وليس الشعراوي ببعيد عن سنن المفسرين في ذلك، وإن كان يسهب في جانب ويقل في جانب آخر.

غير أن الأمر الذي يبدو ظاهرا للعيان هو حرص الشيخ الشعراوي –ما أمكن– على اعتماد مصادر التفسير الصحيحة ممثلة في الكتاب والسنة، وهو ما يصطلح عليه لدى علماء التفسير بالتفسير بالمأثور، الذي يندرج تحته أيضا أقوال الصحابة والتابعين– على خلاف في ذلك–[1] ثم إعمال الرأي وفق شروط وقواعد حددها العلماء[2]، وهي لا تخرج عن مقتضيات الكتاب والسنة، وهو ما يصطلح عليه بالتفسير بالرأي.

وبالنظر إلى تفسير الشعراوي نجده ضمنيا يحرص على توظيف هذه المصادر، وإن كان في أغلب الأحيان لا يورد الآراء بل ربما يعرضها دون أن ينسبها لأصحابها، ولعل السر في ذلك طبيعة تفسيره المسموع – الشفهي– الموجه لعامة الناس، مما قد يدفعه في كثير من الأحيان إلى ذكر الآراء مجملة دون تفصيل، أو إيرادها دون الحرص على نسبتها لأصحابها.

والتفسير بالمأثور هو: "ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن الصحابة ﷺ، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"[3].

1– يرى الذهبي أن إدراج تفسير التابعين ضمن التفسير بالمأثور، على ما فيه من خلاف –هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي– راجع إلى أن كتب التفسير بالمأثور كابن جرير وغيره، لم تقتصر على ذكر ما روي عن النبي ﷺ، وما روي عن أصحابه، بل ضمت إلى ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير. ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي، ج1ص112.

2– ينظر: الصفحة 78 وما بعدها من هذا البحث .

3– ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج1 ص 112.

قال الزركشي: "اعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد. والأول: إما أن يرد عن النبي ﷺ، أو الصحابة، أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابة، فإن فسروه من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن، فلا شك فيه"[1].

وقال ابن كثير في مقدمة تفسيره: "إذا لم نجد في التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح"[2].

فالتفسير بالمأثور إذن يبقى من أصح وجوه التفسير، دون الاقتصار عليه إن دعت الحاجة إلى الرأي، "فالتفسير بالمأثور إذا اجتمع إليه حسن الاستنباط وسعة الثقافة والمقدرة على الترجيح، فهو أولى التفاسير بالاعتبار، ونحن مع ذلك لا ننصح بالاقتصار عليه، فلابد لنا لتأويل الآية أو الآيات من الرجوع إلى مختلف التفاسير. ثم نحاول أن نختار لأنفسنا أصلح الآراء فيها، إلا أن يثبت لنا على وجه القطع أثر صحيح في الموضوع، فنأخذ به ونطرح ما عداه، إذ لا مسوغ للاجتهاد في مورد النص"[3].

ولعل من بين أهم مصادر التفسير بالمأثور لدى عامة المفسرين، فضلا عن الشعراوي تفسير القرآن بالقرآن، الذي يعد أصح الطرق وأحسنها في التفسير، لأن صاحب الكلام أدرى بمراده ومقصوده، ولأن ما أجمل في مكان فسر في آخر، وما اختصر في موضع بسط في آخر.

ثم تأتي في المرتبة الثانية السنة النبوية، التي جاءت شارحة للقرآن وموضحة له، ذلك أنها من قبيل البيان الذي أمر به ﷺ في قوله تعالى﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[4].

ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة ﷺ "الذين شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول، ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب ولهم من سلامة فطرتهم، وصفاء

1- الإتقان للسيوطي، ج2 ص483.
2- ينظر: مقدمة تفسير ابن كثير، ج1 ص 07.
3- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 1985، ص298.
4- سورة النحل، الآية 44.

نفوسهم، وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان، ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه"[1].

وتفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال، أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه مادام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ، ويرى الشاطبي أن تفسيرهم يترجح من وجهين:

"أحدهما: معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم، و لم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب النزول، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص العمومات، فالعمل عليه صواب وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم بعضا فالمسألة اجتهادية"[2].

ثم تفسير القرآن بأقوال التابعين "فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير"[3] وعطاء بن رباح، وعكرمة مولى ابـــن عباس وسعيد بن جبير[4] وسعيد بن المسيب، وقتادة[5] والضحاك[6] وغيرهم...

1- مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/ 2001م، ج2 ص 15.

2- الموافقات للشاطبي، ج3 ص 300.

3- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1 ص 9.

4- هو سعيد بن جبير الأسدي (45، 95هـ) أبو عبد الله كوفي تابعي أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر كان من كبار العلماء التابعين خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج فقبض عليه الحجاج وقتله، قال الإمام أحمد: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. ينظر الأعلام، ج3 ص93. ووفيات الأعيان، ج2 ص374/371. وينظر طبقات المفسرين، الأدنروي، ص10.

5- قتادة بن دعامة السدوسي (61، 118هـ) أبو الخطاب البصري مفسر حافظ أعمى وكان مع علمه بالحديث والتفسير رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب مات بواسط. ينظر الأعلام، ج5 ص189. ووفيات الأعيان، ج4 ص86/85. وطبقات المفسرين، الأدنروي، ص14.

6- هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني توفي 105هـ كان مفسرا يؤدب الأطفال يعد من أشراف المعلمين وفقهائهم توفي في خراسان له كتاب في التفسير. ينظر الأعلام، ج3 ص215. و البداية والنهاية، ج6 ص364. وطبقات الفقهاء، الأدنروي، ص11/10.

ومما يجدر التنبيه إليه أن أقوال التابعين في التفسير إن كانت محل إجماع فهي حجة، وإن كانت محل خلاف فليس كذلك، وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية بقوله :"لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم"[1].

والأساس في كونهم حجة وهو أنهم من حمل علم الصحابة وتناقلته أجيالهم، إلى أن دونت الكتب، ولقد أشار إلى ذلك العلامة ابن خلدون[2] -رحمه الله- حيث قال في هذا الشأن بعد أن تكلم عن تفسير الصحابة ﷺ أجمعين: "ونُقل ذلك عن الصحابة ﷺ أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونُقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوما، ودونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين، وانتهى ذلك إلى الطبري والواقدي والثعالبي وأمثالهم من المفسرين، فكتبوا ما شاء الله أن يكتبوا من الآثار"[3].

منهج الشعراوي في تفسير القرآن بالقرآن

إن تفسير القرآن بالقرآن يعد من أجل الوسائل لمعرفة أجل الغايات، فما أجمل في كتاب الله في موضع فقد بسط في موضع آخر، والمراد من تفسير القرآن بالقرآن منهج مقابلة الآية بالآية، والنص بالنص، بهدف الوصول إلى المراد من معاني القرآن، ولقد أشار الإمام علي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: "كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يخالف بصاحبه عن الله"[4].

1- مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج13،دار الوفاء، مصر، ط2، 1422هـ/2001م، ص 198. وينظر: أصول التفسير، ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، لبنان، ص 46.

2- هو عبد الرحمن بن محمد (732، 808هـ) أبو زيد بن خلدون، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس رحل إلى بلدان عديدة مشرقا ومغربا، تولى أعمالا، ولي قضاء المالكية بمصر وتوفي بالقاهرة، كان فصيحا طموحا من كتبه تاريخ ابن خلدون المسمى "العبر"، مقدمته تعد من أصول علم الاجتماع وختم تاريخه بالتعريف بنفسه، وله "شرح البردة" وله شعر. ينظر الأعلام، ج3 ص330. ونفح الطيب، المقري، ج6 ص191/171.

3- تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، ج 1 ص 470 .

4- نهج البلاغة، الإمام علي، تحقيق صبحي الصالح، دار الهجرة، دت، ص192.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد يفسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر"[1].

ويقول محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله- :"إن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا"[2].

"ويمكن تقسيم تفسير القرآن بالقرآن لجهة طريقة ممارسة التفسير القرآني إلى نوعين: التفسير الموضعي، والتفسير الموضوعي.

أ- التفسير الموضعي: والمقصود به التفسير الذي يمارس ضمن آيات محددة وموارد خاصة من الآيات القرآنية، وهو ما يصطلح عليه تاريخيا بتفسير القرآن بالقرآن"[3].

ب- التفسير الموضوعي: يعتبر التفسير الموضوعي المصداق البارز والأهم لتفسير القرآن بالقرآن، سيما في عصرنا وهو بحسب البعض "علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها، على هيئة خاصة، بشروط خاصة، لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع"[4].

ولقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في مقدمة تفسيره" أن على المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا إن القرآن يفسر بعضه بعضا، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ

1- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج 13 ص195.

2- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج1، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ/ 1983م. ص67.

3- أساسيات المنهج والخطاب، ص 77.

4- آفاق التفسير الموضوعي في القرن الهجري الأخير، إبراهيم سجادي، مقال منشور ضمن: دراسات في تفسير النص القرآني، مجموعة من الباحثين، ج1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2007م، ص 169.

موافقة لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"[1].

"ورغم أهمية تفسير القرآن بالقرآن، وفوائده الجمة إذ يعين على حسن الفهم، ويجنب القراءة الجزئية للنصوص، فإنه لم يفرد ببحث جامع مستقل، يعطي أضواء واضحة على هذا اللون من التفسير، ولا يوجد من المفسرين من تفرغ له خاصة، وأعطاه ما يستحق من البيان والإيضاح في تفسير جامع لكل القرآن الكريم"[2].

"قال أهل العلم بالقرآن الكريم: علم التفسير يسير عسير، وعسره ظاهر من وجوه، أظهرها: أن موضوع التفسير هو القرآن الكريم، وهو كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار، فإن الإنسان يتمكن من معرفة مراد صاحب المثل أو الشعر بأن يسمع منه، أو يسمع ممن سمع منه، أما القرآن الكريم فتفسيره على وجه الصحة لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ، أو ممن سمع من الرسول ﷺ ثم بعد العلم بمعرفة ما ورد في تفسير الآية عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي، فإن العلم بالمراد بالآيات الكريمة، يتوصل إليه بالأمارات والدلائل.

والحكمة في ذلك أن الله تبارك وتعالى، أراد أن يتفكر عباده في كتابه الكريم، فأمر نبيه الكريم ﷺ، أن يضع أمارات للوصول إلى معرفة المراد بالاستنباط والاجتهاد، ولقد صوب عليه الصلاة والسلام رأي جماعة من أصحابه حين فسروا آيات من كتاب الله تعالى، فصار ذلك دليلا قاطعا على جواز التفسير بالاجتهاد بعد استكمال أهليته"[3].

وتفسير القرآن بالقرآن له صور وحالات: "فقد يكون ببيان المجمل، وقد يكون بتقييد المطلق، وقد يكون بتخصيص العام، وقد يكون ببيان المنطوق بالمفهوم، وقد يكون بتفسير لفظة بلفظة، وقد يكون ببيان المراد من اللفظة بسياق آية أخرى، وقد يكون بتفسير معنى بمعنى، وقد

1- مقدمة تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/1999م، ج 1 ص24.

2- محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، محمد دراجي، دار غبريني، الجزائر، ط1، 2005، ص 102.

3- أصول التفسير للعك، ص 48.

يكون بتفسير آية بآية أخرى، وقد يكون ببيان الموجز بالمفصل، وقد يكون بجمع القراءات الصحيحة وتفسير بعضها ببعض، وقد يكون بالجمع ما يتوهم أنه مختلف من آيات القرآن"[1].

تلك هي أهم الصور التي يمكن على ضوئها تفسير القرآن بالقرآن، وسأحاول فيما يأتي عرض نماذج من عناية الشيخ الشعراوي بهذا اللون من التفسير، على أن تكون تلك النماذج على سبيل المثال لا الحصر، ذلك أنه ليس من اليسير الوقوف على جميع تلك الحالات والصور في تفسير موسوعي كتفسير الشعراوي -رحمه الله-.

أولا: تفسير معنى آية بما ورد في آية أخرى:

ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿**فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [2]. يقول الشعراوي: "...ويقول الحق سبحانه وتعالى:﴿**فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾ هذه الكلمات التي تلقاها آدم. أراد العلماء أن يحصروها، ما هذه الكلمات؟ هل هي قول آدم كما جاء في قوله تعالى:﴿**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ**﴾ [3].هذه الآية الكريمة، دلتنا على أن ذنب آدم لم يكن من ذنوب الاستكبار، ولكن من ذنوب الغفلة، بينما كان ذنب إبليس من ذنوب الاستكبار على أمر الله، ولكن آدم عندما عصى حدث منه انكسار.... فقال: يا ربي أمرك بألا أقرب الشجرة حق. ولكني لم أقدر على نفسي. فآدم أقر بحق الله في التشريع. بينما إبليس اعترض على هذا الأمر وقال:﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾ الكلمات التي تلقاها آدم من الله ﷻ قد تكون: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ**﴾ وقد تكون: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك ربي وبحمدك. إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا فاغفر لي يا خير الغافرين.. أو اقبل توبتي يا خير التوابين.. أو قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله.. المهم أن الله ﷻ قد أوحى لآدم بكلمات يتقرب بها إليه. سواء كانت هذه الآية الكريمة أو كلمات أخرى...."[4].

وهنا نجد الشيخ يتجه إلى أراء التفسير المأثورة في تفسير هذه الآية، مثلما ذهب إليه أغلب المفسرين، فقد ورد في تفسير ابن كثير قوله: " قيل: إن هذه الكلمات مفسرة بقوله

1- مناهج المفسرين في العصر الحديث، منصور كافي، ص 98.

2- سورة البقرة، الآية 37.

3- سورة الأعراف، الآية 23.

4- تفسير الشعراوي، ج 1 ص 279.

تعالى:﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[1]. وروي هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقال أبو إسحاق السبيعي عن رجل من بني تميم قال: أتيت ابن عباس، فسألته ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه؟ قال: علم شأن الحج وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع، أخبرني من سمع عبيد بن عمير، وفي رواية قال: أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير، أنه قال: قال آدم: يا رب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته علي قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: "بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك" قال: فكما كتبته علي فاغفر لي، قال: فذلك قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾... وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، قال: إن آدم لما أصاب الخطيئة، قال: أرأيت يا رب إن تبت وأصلحت؟ قال الله: إذا أدخلك الجنة، فهي الكلمات. ومن الكلمات أيضا:﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[2]. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه كان يقول في قول الله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، قال: كلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم..."[3].

ثانيا: شرح المفردة القرآنية بما ورد في آيات أخرى:

المثال الأول: قول الحق﴿**والمحصنات مِنَ النسآء**﴾[4] هو قول معطوف على ما جاء في الآية السابقة من المحرمات، أي سيضم إلى المحرمات السابقات المحصنات من النساء، ومن هن المحصنات من النساء؟ الأصل في الاشتقاق عادة يوجد معنى مشتركا. فهذه مأخوذة من "الحصن"، وهو مكان يتحصن فيه القوم من عدوهم، فإذا تحصنوا فيه امتنعوا على عدوهم. أما

1- سورة الأعراف، الآية، 23.

2- سورة الأعراف، الآية، 23.

3- تفسير ابن كثير، ج1 ص 141.

4- سورة النساء، الآية، 24.

إذا لم يكونوا محصنين فهم عرضة أن يغير عليهم عدوهم ويأخذهم، هذا هو أصل الحصن، والاشتقاقات التي أخذت من هذه كثيرة: منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابنت عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾[1].و﴿**أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾ يعني أنها عفت ومنعت أي إنسان أن يقترب منها، وهنا قوله:﴿**والمحصنات**﴾ في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها، المقصود بها المتزوجات، فما دامت المرأة متزوجة، فيكون بضعها مشغولاً بالغير، فيمتنع أن يأخذه أحد، وهي تمتنع عن أي طارئ جديد يفد على عقدها مع زوجها. هذا معنى ﴿**والمحصنات مِنَ النسآء**﴾، فالمحصنات هنا هن العفيفات بالزواج، والحق يقول:﴿**فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المحصنات مِنَ العذاب**﴾[2] تفسير تحصنون وقوله تعالى:﴿**مِّمَّا تُحْصِنُونَ**﴾[3]. نجده من مادة "حصن" وتفيد الامتناع، ويقال:"أقاموا في داخل الحصن" أي: أنهم إن هاجمهم الأعداء، يمتنعون عليهم، ولا يستطيعون الوصول إليهم. ويقول الحق سبحانه:﴿**والمحصنات مِنَ النسآء**﴾[4]، أي: المُمْتنعات عن عملية الفجور، وهنّ الحرائر، وأيضا يقول الحق سبحانه:﴿**والتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾[5]. أي: التي أحكمت صيانة عفّتها، وهي السيدة مريم البتول عليها السلام، وهكذا نجد مادة "حصَن" تفيد الامتناع"[6].

من خلال هذا المثال نجد الشيخ الشعراوي-رحمه الله- يحرص في بيان معاني المفردة القرآنية على ما ورد في آيات أخرى محاولا التقريب بين تلك المعاني.

المثال الثاني- تفسيره قوله تعالى:﴿**خالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾[7].

يقول: "... وقوله الحق: ﴿**وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ نعرف منه أن الإنظار هو الإمهال، والمعنى أنهم لا يؤخرون عن عذابهم، أو لا ينظرون بمعنى لا ينظر إليهم. وهناك آية تفيد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ الله وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القيامة وَلاَ يُزَكِّيهِمْ**﴾[8].

1- سورة التحريم، الآية، 12.
2- سورة النساء، الآية، 25.
3- سورة يوسف الآية ،48.
4- سورة النساء، الآية، 24.
5- سورة الأنبياء، الآية، 91.
6- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2118.
7- سورة البقرة، الآية 162.
8- سورة آل عمران، الآية، 77.

لأن النظر يعطي شيئا من الحنان، ولماذا قال: لا ينظرون؟. لأنك قد تتجه ناحيته فتنظره دون قصد بتلقائية. ولكن النظرة لا تتجه عطفا عليه، وهو سبحانه لا ينظر إليهم أساسا، لأن النظرة قد توحي بلون من الشفقة، بذلك تكون لا يُنظرون، أي لا ينظر إليهم أبداً، فكأنهم أهملوا إهمالا تاماً."[1]

ويتفق الشيخ في تفسيره مع ما ذهب إليه أسلافه من علماء التفسير، فقد قال الآلوسي في تفسيرها:﴿**وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ**﴾ عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه، وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النفي واستمراره، والفعل إما من الإنظار بمعنى التأخير –أي لا يمهلون– عن العذاب ولا يؤخرون عنه ساعة. وإما من النظر بمعنى الانتظار أي –لا ينتظرون– ليعتذروا، وإما من النظر بمعنى الرؤية أي–لا ينظر الله تعالى إليهم نظر رحمة– والنظر بهذا المعنى يتعدى بنفسه أيضاً كما في "الأساس" فيصاغ منه المجهول"[2].

ثالثا: الاستشهاد بآية لبيان معان نحوية وردت في آية أخرى:

وهو كثير في تفسير الشعراوي ومثاله في تفسير قوله تعالى:﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**﴾[3]. يقول:" توقف العلماء طويلا حول هذه الآية، لأن فيها قراءتين (إنْ هذان) بسكون (إنْ) والأخرى (إنَّ هذان) بالتشديد.

والقراءة التي نحن عليها قراءة حفص ﴿**إِنْ هذان لَسَاحِرَانِ**﴾ و (إنْ) شرطية إنْ دخلت على الفعل،كما نقول: إنْ زارني زيد أكرمته، وتأتي نافية بمعنى ما، كما في قوله تعالى:﴿**الذين يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِّن نِّسَآئِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللائي وَلَدْنَهُمْ**﴾[4]. فالمعنى: ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم.كذلك في قوله تعالى:﴿**إِنْ هذان لَسَاحِرَانِ**﴾[5] فالمعنى: ما هذان إلا ساحران، فتكون اللام في ﴿**لَسَاحِرَانِ**﴾ بمعنى إلا. كأنك قلت: ما هذان إلا ساحران. وتأتي

1- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 695.
2- تفسير روح المعاني، لشهاب الدين لآلوسي، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ/2005م، ج 2 ص 589 .
3- سورة طه ، الآية 63.
4- سورة المجادلة، الآية 2.
5- سورة طه الآية 63.

اللام بمعنى إلا، إذا اختلفنا مثلا على شيء، كل واحد منّا يدّعيه لنفسه، فيأتي الحكم يقول: لزيد أحقّ به، كأنه قال: ما هذا الشيء إلا لزيد. إذن: اللام تأتي بمعنى إلا"[1].

رابعا: الإشارة إلى معنى بلاغي ورد في آية بما يدل عليه في آية أخرى:

من ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[2]. يقول:"... وهذا أسلوب تهكم من القرآن الكريم عليهم. مثل قوله تعالى: ﴿**أخرجوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون**﴾[3] هل الطهر والطهارة مبرر لإخراج آل لوط من القرية؟ .. طبعا لا .. ولكنه أسلوب تهكم واستنكار ... والحق أن إيمانهم بهذا بل يأمرهم بالإيمان برسالة محمد ﷺ .. واقرأ قوله ﷻ: ﴿**واكتب لَنَا فِي هذه الدنيا حَسَنَةً وَفِي الآخرة إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عذابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزكاة والذين هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبي الأمي الذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التوراة والإنجيل يَأْمُرُهُم بالمعروف وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المنكر وَيُحِلُّ لَهُمُ الطيبات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخبآئث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلال التي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فالذين آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتبعوا النور الذي أُنزِلَ مَعَهُ أولئك هُمُ المفلحون**﴾[4] هذا هو ما يأمرهم به إيمانهم .. أن يؤمنوا بالنبي الأمي محمد ﷺ، والله ﷻ يعلم ما يأمرهم به الإيمان لأنه منه ﷻ. ولذلك عندما يحاولون خداع الله. يتهكم الله ﷻ عليهم ويقول لهم: ﴿**بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ**﴾. وقوله تعالى: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ**﴾ دليل على أنهم ليسوا مؤمنين. ولكن لازال في قلوبهم الشرك والكفر أو العجل الذي عبدوه"[5].

خامسا: الإشارة إلى قضايا لغوية تدل عليها آيات في مواضع مختلفة

من ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿**هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ**﴾[6].يقول:"كلمة خصم من الألفاظ

1- تفسير الشعراوي، ج 15 ص 9307.
2- سورة البقرة، الآية 93.
3- سورة النمل، الآية 56.
4- سورة الأعراف، الآية 156-157.
5- تفسير الشعراوي، ج 1 ص 480.
6- سورة الحج، الآية 19.

التي يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع، وكذلك المذكر والمؤنث كما في قوله تعالى﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ**﴾ويقول تعالى:﴿**خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾. والمراد بقوله:﴿**خَصْمَانِ**﴾ قوله تعالى:﴿**وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ**﴾[1] والخصومة تحتاج إلى فصل بين المتخاصمين، والفصل يحتاج إلى شهود، لكن إن جاء الفصل من الله تعالى فلن يحتاج إلى شهود..."[2].

سادسا: تدعيم معنى الآية وتأكيده بآية أخرى على سبيل الاستئناس

من ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ**﴾[3]. يقول: "يعني: إذا كنت تتعجب، أو تستبعد أن نردّك إلى بلدك، لأن الكفار يقفون لك بالمرصاد، حتى أصبحت لا تصدّق أن تعود إليها، فانظر إلى أصل الرسالة معك: هل كنت تفكر أو يتسامى طموحك إلى أن تكون رسولا؟ إنه أمر لم يكن في بالك، ومع ذلك أعطاك الله إياه واختارك له، فالذي أعطاك الرسالة و لم تكن في بالك كيف يحرمك من أمر أنت تحبه وتشتاق إليه؟.

إذن: تقوم هذه الآية مقام الدليل والبرهان على صدق﴿**لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾[4] وفي موضع آخر يؤكد الحق سبحانه هذا المعنى، فيقول سبحانه:﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكتاب وَلاَ الإيمان ولكن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ**﴾[5] فالذي أعطاك الرسالة لا يعجز أن يحقق لك ما تريد. وقوله تعالى:﴿**إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ**﴾[6] هذا استثناء يسمونه استثناء منقطعاً.

والمعنى: ما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إنما ألقيناه، وما ألقيناه إليك إلا رحمة لك من ربك" [7].

1- سورة الحج، الآية 18.
2- تفسير الشعراوي، ج 16 ص 9756.
3- سورة القصص، الآية 86.
4- سورة القصص، الآية 85.
5- سورة الشورى، الآية 52.
6- سورة القصص، الآية 86.
7- تفسير الشعراوي، ج 18 ص 11047.

ثانيا
تفسير القرآن بالحديث النبوي

يعتبر تفسير القرآن بالسنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور، "ولذا لم تختلف كلمة العلماء المحققين، من المفسرين والمحدثين، والفقهاء والأصوليين، على أن السنة تبين المجمل، وتقيد المطلق، وتخصص العام بل أجمعت كلمتهم على قبول هذا اللون من التفسير وتقديمه على غيره، فإذا وجد فإنه يكتفى به ولا يجوز العدول عنه إلى غيره"[1].

ولذلك فإن بيان الرسول ﷺ للآية وتفسيرها مقدم على أي بيان وتفسير، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي ﷺ، لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة فإنه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبيﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم"[2].

وقد ذكر الدكتور فتحي الدريني: "أن من القرآن الكريم ما لا يمكن تحقيق معناه، أو إدراك أبعاد كليه، أو تفصيل مجمله، أو كيفية أداء تكاليفه على الوجه المراد منه إلا توقيفا ووحيا، بما اختص به الله تعالى رسوله ببيانه، و لم يتركه لتعدد النظر الاجتهادي التفسيري، وهذا بالإجماع"[3].

ومن صور تفسير الرسول ﷺ وبيانه للقرآن أنه :

- كان يفسر أحيانا القرآن بالقرآن.
- وكان أحيانا يذكر تفسير الآية ثم يذكر الآية، وأحيانا يذكر الآية ثم يذكر تفسيرها.
- وكان أحيانا يبين لأصحابه معنى الآية التي أشكل عليهم فهمها.
- وكان أحيانا يسأل أصحابه عن الآية ثم يفسرها لهم.
- وكان أحيانا يفصل ويقطع الخلاف الواقع بين أصحابه في معنى الآية.

1- محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، ص104.

2- مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 13 ص18. وينظر أكثر تفصيلا المصدر نفسه ، الصفحة 195.

3- دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، فتحي الدريني، المقدمة، ص" هـ" دار قتيبة للنشر والتوزيع، بيروت- دمشق، 1408هـ/ 1988م.

- وكان أحيانا يفسر الآية عمليا فيعمل الواجب فيها"[1].

وسأحاول فيما يلي بيان مظاهر عناية الشعراوي بالحديث النبوي في تفسيره

أولا: عناية الشعراوي بالحديث النبوي في تفسيره

بالنظر إلى مكانة السنة النبوية في شرح وبيان القرآن الكريم، فإننا نجد الشيخ الشعراوي حرص على الاعتماد في تفسيره وشرحه لمعاني الآيات، وبيان الأحكام المستنبطة منها، على الأحاديث النبوية، وقد تعددت مظاهر هذا الاهتمام، وهو ما سأورده فيما يلي من نماذج.

أ-: بيان مكانة السنة النبوية

- يشير الشعراوي إلى ذلك في رده على القرآنيين، الذين يزعمون أن الاحتكام يكون للقرآن فقط دون اللجوء إلى الأحاديث النبوية، فيقول في معرض تفسيره لهذه الآية: ﴿**مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ [2].يقول: "فكذلك إذا قيل لك: هات دليلا من القرآن على أن صلاة المغرب ثلاث ركعات، وأن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع ركعات، وأن العشاء أربع ركعات، هات دليلاً من القرآن على هذه، تقول: دليلي من القرآن: ﴿**وَمَآ آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ**﴾ والرسول ﷺ كي يضمن سلامة المنهج من هذه التحريفات التي يفترونها يقول: **{لا أُلْفِينَّ أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه أمرٌ مما أمرْت به، أو نَهيْتُ عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه}**[3].

وفي رواية أخرى: عن المقْدَام بن معد يكرب قال: **{قال رسول الله ﷺ: ألا هل عسى رجلٌ يَبْلُغُه الحديثُ عَني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً اسْتَحْلَلْناهُ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله}**[4].

ليخلص الشعراوي إلى أن شبهتهم تلك تحمل في طياتها دليل صدق رسالة النبي ﷺ وأن كلامه حق وصدق وأنه من عند الله، فيقول: " أروى هذا الحديث عن الرسول كي تعرفوا غباء القائلين بهذا، ولنقل لهم: قولكم هذا دليل على صدق الرسول، بالله فلو لم يأت واحد بمثل

1- ينظر قواعد التفسير، خالد السبت، ج1 ص 130-140.
2- سورة النساء، الآية 80.
3- رواه الترمذي، تحت رقم: 2663، وقال: حسن صحيح، ص 600.
4- رواه الترمذي، تحت رقم: 2664، وقال: حديث حسن ، ص 600.

قولكم بأنه لا يوجد إلا القرآن، بالله ماذا كنا نقول للمحدثين الذين رووا حديث رسول الله، ولو لم يقولوا هذا لقلنا: النبي قال: يتكئ رجل على أريكته ويتحدث، و لم يتكلم أحد بما يخالف هذا الكلام. إذن فوجود هؤلاء دليل صدق رسول الله ﷺ، وما دام الله قد أرسله ﷺ منه إلى خلقه فيكون مع هذه الرسالة الطاعة والطاعة هي: الاستجابة للطلب"[1].

ب- عدم التعارض بين القرآن و السنة:

يشير إلى ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـــذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2]. يقول الشعراوي: "ووقف العلماء هنا -جزاهم الله خيرا- وقالوا: كيف نوفق بين هذه الآية: ﴿**ونودوا أَن تِلْكُمُ الجنة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾. وبين قول الرسول ﷺ: **{لن يُدخل أحداً عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة}**[3].

وأقول: ليس هناك تناقض بين قول الله ﷻ، وقول الصادق المصدوق ﷺ، الذي بلغ عن الله ﷻ بل بينهما تأييد، فالحق ساعة ما شرع أوضح أن من يعمل العمل الصالح سيدخل الجنة، وهذا التشريع لم يجبر أحد الله عليه، بل هو الذي يعطيه لنا فضلا منه، فليس لأحد حق على الله؛ لأنه لا يوجد عمل يعود بفائدة على الله، واتباع المنهج إنما يعود على العبد بالمنفعة والخير، فإن دخلت الجنة فهذا أيضا بالفضل من الله. وينبهنا القرآن إلى الجمع بين هذه الآيات وأنه لا تعارض بين نص حديثي ونص قرآني. يقول: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[4]، فجزاء كل عمل عائد على الإنسان لأنه يأخذ مكافأته على فعله، فإن كانت المكافأة أكبر من جزاء الفعل فهي من الفضل، لأن الحق هو القائل:﴿**كُلُّ امرىء بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾[5]. وسبحانه أيضا هو القائل: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سعى**﴾[6].إن فهمت اللغة وكنت صاحب ملكة ناضجة نقول: هذه "اللام" للملك. وتفيد أنه لاحق لك على الله إلا

1- تفسير الشعراوي، ج4 ص 2470.
2- سورة الأعراف، الآية 43.
3- أخرجه البخاري في صحيحه، تحت رقم: 6467، ص1631.
4- سورة يونس، الآية 58.
5- سورة الطور، الآية: 21.
6- سورة النجم، الآية 39.

بسعيك على وفق منهج الله، وأن هذه الآية قد حددت العدل و لم تحدد الفضل ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ**﴾"[1].

ثانيا: مظاهر الاستشهاد بالحديث النبوي .

1- الاستعانة بالحديث في الشرح اللغوي للمفردة القرآنية:

المثال الأول: من نماذج اعتماده على الحديث النبوي في شرح مفردة (هجر) في قوله تعالى:﴿ **وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً**﴾[2].

يقول: "إن العمل هو الذي يتم تقييمه. ولذلك يقول الحق: ﴿**فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حتى يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾ والهجرة من "هجر"، و"هجر" يعني أن الإنسان قد عدل من مكان إلى مكان، أو عن ود إلى ود، أو عن خصلة إلى خصلة، والذي يَهجر عادة يتجنى على من "هُجر"، لنلاحظ أن الله سبحانه وتعالى في كتابه عندما يأتي بالحدث. يأتي بـــ "هاجر"، و لم يأت بالحادث "هجر"، فالنبي ﷺلم يهجر مكة. ولكنه هاجر منها، ويقول ﷺ: {**والله إنك لأحب أرض الله إليّ وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت**}[3]"[4].

المثال الثاني: في تفسيره قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[5] يقول الشعراوي: "﴿**تَتْرَا**﴾ يعني: متوالين يتبع بعضهم بعضا، لذلك ظنّها البعض فعلا وهي ليست بفعل، بدليل أنها جاءت في قراءة أخرى (تتراً) بالتنوين والفعل لا ينوّن، إذن: هي اسم، والألف فيها للتأنيث مثل حُبلى.

1- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 4147.

2- سورة النساء، الآية 89.

3- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم: 18623، ج14 ص 250.

4- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2538.

5- سورة المومنون، الآية 44.

أضف إلى ذلك أن التاء الأولى تأتي في اللغة بدلا من الواو، كما جاء في الحديث الشريف من نصيحة النبي ﷺ:**{احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدْه تجاهك-أو وجاهك}**[1] يعني: مواجهك. فإذا أُبدلت التاء الأولى في (تتراً) واوا تقول (وتراً) يعني: متتابعين فردا، والوتر هو الفرد"[2].

2- توظيف الحديث النبوي في تقرير معاني تفسيرية:

ومثال ذلك في تفسير قوله تعالى:**﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾**[3]. وهذا في سياق حديثه عن الطيبات نجده يستأنس بحديث النبي ﷺ فيقول: "إذن: ساعة أعطاك ربك قال لك: هذا رزقك الحلال الخالص، ومنه وقودك ومقومات حياتك، وبه بقاؤك ونشاط حركتك. فلا تتعدّ الحلال على كثرته إلى الحرام على قلّته وانحصاره في عدة أنواع، بينها لك وحذرك منها".

وبالغذاء تتم في الجسم عملية (الأَيْض) يعني: الهدم والبناء، وهي عملية مستمرة في كل لحظة من لحظاتك، فإياك أن تبني ذرة من ذراتك من الحرام، لأن ذرة الحرام هذه تظل تشاغبك وتلح عليك كي توقعك في أصلها.

وقد قال رسول الله ﷺ: **{أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَٱعْمَلُواْ صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾**[4] وقال: **﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**[5] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، ثم يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذّي بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك}**[6].ذلك لأن ذرات بنائه غير منسجمة، لأنها نمت على وقود ما أحله الله له"[7].

3- الاستعانة به في معرض سرد أحداث السيرة النبوية:

1- أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن صحيح، رقم: 2516، ص 567.

2- تفسير الشعراوي، ج16 ص10043.

3- سورة طه، الآية 81.

4- سورةطه، الآية 81.

5- سورة البقرة، الآية 172.

6- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب: قبول الصدقة من الكسب، رقم: 1015، ص364.

7- تفسير الشعراوي، ج 15 ص 9345 وما بعدها.

مثال ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

يقول الشعراوي: "ولسائل أن يسأل: هل أخرج الكفار رسول الله من مكة، أم أن الله هو الذي أخرجه؟ ونقول: إن عناد قومه وتآمرهم عليه وتعنُّتهم أمام دعوته، كل ذلك اضطره إلى الخروج، ولكن الحق أراد بهذا الخروج هدفاً آخر غير الذي أراده الكفار، فهم أرادوا قتله، وحين خرج ظنوا أن دعوته سوف تختنق بالعزل عن الناس، فأخرجه الله لتنساح الدعوة، وأوضح لهم سبحانه: أنتم تريدون إخراج محمد بتعنتكم معه، وأنا لن أمكنكم من أن تخرجوه مخذولا، وسأخرجه أنا مدعوما بالأنصار. وقالوا: إن الهجرة توأم البعثة. أي: أن البعثة المحمدية جاءت ومعها الهجرة، بدليل أن رسول الله ﷺ حينما أخذته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل، بعد ما حدث له في غار حراء، قال له ورقة: ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. قال ورقة بن نوفل ذلك لرسول الله قبل أن يتثبت من النبوة، فقال رسول الله ﷺ: **{أومُخْرجيَّ هم؟ قال ورقة بن نوفل: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عُودِي}**[2]."[3]

4- الاستشهاد به في قضايا العقيدة و الطوائف والفرق:

ففي تفسير قوله تعالى:﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[4]. يقول:"ونجده ﷺ يقول: **{افترقت اليهود على**

1- سورة التوبة، الآية 40.

2- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب: بدء الوحي إلى رسول الله، رقم: 160، ص 77.

3- تفسير الشعراوي، ج 8 ص 5125.

4- سورة الأنعام، الآية، 153.

إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة}[1].

وفي رواية: **{كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة}** والجماعة: هم أهل السنة والجماعة، وفي رواية: **{ما أنا عليه وأصحابي}**. ونلاحظ دقة هذا القول في عدد المذاهب والفرق..."[2]

5- الاستئناس به في تقرير قواعد إيمانية و تربوية:

المثال الأول: من تفسير قوله تعالى: ﴿**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً** ﴾[3].

لما تحدث عن الهجرة النبوية وبين أغراضها، أشار إلى أن مقاصد الناس شتى، لكنه أشار إلى القاعدة الإيمانية في الهجرة لله وإخلاص النية والعمل له بقوله: "ويوضح سبحانه أن الذي يخلص هؤلاء المنافقين من حكمنا عليهم، ألا يتخذ المؤمنون منهم أولياء هو: أن يهاجروا في سبيل الله، لأن ذلك هو حيثية صدق الإيمان. فالمهاجر يحيا عيشة صعبة. وقد عاش المهاجرون على فيض الله من خير الأنصار، و لم يؤسسوا حياتهم بشكل لائق. إذن فمن ينضم إلى ذلك الموكب هو مؤمن اشترى الإيمان وقدر على أن يكفِّر عما بدر منه. فليست الهجرة مجرد هجرة، ولكنها هجرة في سبيل الله.

ولذلك نرى القاعدة الإيمانية في الحديث النبوي:**{إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه}**[4]."[5]

المثال الثاني: في معاملة الناس بظاهرهم دون الحكم على سرائرهم

وهذه القاعدة ينبه إليها في معرض تفسيره قوله تعالى:﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [1]. فيقول: "وهو سبحانه يقول هنا: "أعلم" وهناك "عليم"، و

1- سنن أبي داود، باب شرح السنة، رقم 4596، ص 503.

2- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 4004.

3- سورة النساء، الآية 89.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، باب كيف بدأ الوحي، رقم: 01، ص 17.

5- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2539.

"العليم" هو من يرى ظاهر الأمر ويحيط به، لا الخافي منه، أما الذي يرى الظاهر والخفي فهو أعلم.

ولذلك كان النبي ﷺ في مسائل كثيرة يعامل الناس بعلانيتهم، ويترك سرائرهم إلى الله. وعندما قتل مسلم رجلا أعلن الإسلام، سأله ﷺ لماذا؟، قال: لأنه أعلن الإسلام نفاقا. فقال ﷺ: **{أشققت عن قلبه؟}**[2] والله ﷻ "أعلم" لأنه يعلم الظاهر والباطن، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور"[3].

المثال الثالث: بيان أن صلاح الإنسان مرهون بصلاح قلبه.

يقول في تفسير قوله تعالى:﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [4] يقول: "وهكذا نرى أن الجلود تقشعر من هول الوعيد بالنار، ومجرد قراءة ما ذكره القرآن عنها، وبعد ذلك تأتي الرحمة، وفي هذه الحالة لا تلين الجلود فقط ولكن لابد أن تلين القلوب لأنها هي التي تعطي اللمحة الإيمانية لكل جوارح الجسد...

ورسول الله ﷺ يقول: **{ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب}**[5] إذن فالقلب هو منبع اليقين ومصب الإيمان"[6].

6- توظيفه في بيان الأحكام الشرعية

أ/ في أهمية الفتوى وحرمة القول على الله بغير علم

يشير إلى ذلك في معرض تفسير قوله تعالى﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ [7]. يقول:"فهناك أناس يأتمنون آخرين ليقولوا لهم ما انتهت إليه الأحكام

1- سورة الأنعام، الآية 117.

2- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم: 158، ولفظه: " أفلا شققت عن قلبه" ، ص 55

3- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 3899.

4- سورة البقرة، الآية 74.

5- سنن البيهقي الكبرى، رقم: 10180، ج5 ص264.

6- تفسير الشعراوي، ج1 ص410.

7- سورة البقرة، الآية 78.

الدينية، فيأتي الأمي أو غير المثقف يسأل عالما عن حكم من الأحكام الشرعية، ثم يأخذ منه الحكم ويطبقه دون أن يناقشه. لأن علمه قد انتهى عند السؤال عن الفتوى، والحق سبحانه وتعالى كما يقول:﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى**﴾[1].

أي لا يحمل أحد ذنب أحد يوم القيامة، فيقول تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القيامة وَمِنْ أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[2]. بعض الناس يظن أن الآيتين بينهما تعارض، نقول لا، ومن يرتكب إثما يحاسب عليه، ومن يضل غيره بفتوى غير صحيحة يحل له بها ما حرم الله، فإنه يحمل معاصيه ومعاصي من أضل. فيكون له وزر لأنه ضل، ووزر لأنه أضل غيره، بل وأكثر من ذلك فإن رسول الله ﷺ يقول:{**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**}[3] ولابد أن نتنبه إلى خطورة الفتوى في الدين بغير علم، الفتوى في الدنيا أقصى ما يمكن أن تؤدي إليه هو أن تجعلك تخسر صفقة، لكن الفتوى في الدين ستدوم عمرا طويلا"[4].

ب/ باب الإخلاص والنية

مثال ذلك في قوله تعالى:﴿**وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله كَانَ بِهِ عَلِيماً**﴾ [5]. يقول الشعراوي: " ليدلنا على أن أمر الفعل والقيام به ليس مناط الجزاء، ولكن أمر النية في الفعل هو مناط الجزاء، فإياك أيها المؤمن أن تقول: فعلت، ولكن قل: فعلت بنيّة كذا.

إن الذي يمسح على رأس اليتيم يكون صاحب حظ عظيم في الثواب، ومن يكفل اليتيم فهو مع النبي ﷺ في الجنة. والذي يقدر ذلك هو الله ﷻ العليم بالخفايا حسب نية الشخص الذي يقوم بهذا العمل، فقد يتقرب واحد من يتيم ويتكلف العطف والحنان، بينما يقصد التقرب إلى أم اليتيم، لذلك فمناط الجزاء ومناط الثواب هو في النيّة الدافعة والباعثة على العمل. ولا يكفي أن يقول الإنسان: إن نيّتي طيبة، ولا يعمل، فالحديث الشريف يقول:{**إنما الأعمال**

1- سورة الأنعام، الآية 164.

2- سورة النحل، الآية 25.

3- أخرجه أبو داود في سننه ، رقم: 4609، ص 504.

4- تفسير الشعراوي، ج1 ص 426.

5- سورة النساء، الآية 127.

بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه}[1]."[2]

ت- في بيان حرمة دم المسلم

يقول في تفسير قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[3] "ولذلك نجد النبي يحزم الأمر مع أسامة بن زيد الذي قتل واحدا بعد أن أعلن هذا الواحد إسلامه، فقال له النبي ﷺ: **{فكيف بلا إله إلا الله. هل شققت عن قلبه}**[4]. ويقول أسامة للرسول: لقد قال الشهادة ليحمي نفسه من الموت. وتكون الإجابة: هل شققت قلبه فعرفت، فكيف بلا إله إلا الله؟ فلقول: "لا إله إلا الله" حرمة. وقد روى أن الذي نزلت فيه هذه الآية هو محلم بن جثامة، وقال بعضهم: أسامة بن زيد، وقيل غير ذلك. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ ألقى إِلَيْكُمُ السلام لَسْتَ مُؤْمِناً**﴾. وأهل العلم بالله يقولون: نجاة ألف كافر خير من قتل مؤمن واحد بغير حق.

وجاء في بعض الروايات الأخرى أنه المقداد، وذلك فيما رواه البزَّار بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال أشهد أن لا إله إلا الله، وأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلا شهد أن لا إله إلا الله، والله لأذكرن ذلك للنبي ﷺ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله: إن رجلا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال: ادعوا لي المقداد، يا مقداد أقتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله؟ فكيف لك بلا إله إلا الله غدا؟ قال: فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله**﴾...و "ألقى

1- سبق تخريجه .

2- تفسير الشعراوي، ج5 ص 2686.

3- سورة النساء، الآية 94.

4- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم: 158، ولفظه: " أفلا شققت عن قلبه"، ص 55

إليكم السلام" يعني جاءكم مستسلماً، أو قال تحية المسلمين، وليس لأحد من حق أن يلقي الاتهام بعدم الإيمان على من جاء مسلماً، أو يقول بتحية الإسلام "[1].

ث- في باب الشهادة:

وقد تطرق لذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[2]

يقول:" وخزيمة بن ثابت صحابي جليل جعل الرسول ﷺ شهادته بشهادتين، لأن خزيمة صاحب إيمان نوراني. ونورانية اليقين هدته إلى الحكم الصواب، فقد اشترى النبي ﷺ فرسا من أعرابي وذهب ليحضر له الثمن، ولكن الأعرابي أنكر البيع لأن بعض الناس زاده في ثمن الفرس دون علم أن الرسول قد اشتراه فنادى الأعرابي الرسول وقال له إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقال النبي للرجل: "ألست قد ابتعته منك". فقال الرجل هات شاهدا يشهد بذلك. لقد انتهز الرجل فرصة أن النبي ابتاع منه دون وجود أحد في هذا الوقت، وكان سيدنا خزيمة جالسا لحظة مطالبته للنبي بشاهد. فقال سيدنا خزيمة: أنا أشهد يا رسول الله أنك قد بايعته.

ولأن الرجل كاذب، قال لنفسه: لعل خزيمة رآنا وأنا أبيع الفرس للنبّي فسكت الرجل وانصرف، وبعد أن انصرف الرجل نادى الرسول خزيمة. وقال له:**{يا خزيمة بم تشهد و لم تكن معنا}** فقال: أنا أصدقك في خبر السماء ولا أصدقك بما تقول؟. أعلم أنك لا تقول إلا حقاً، قد آمناك على أفضل من ذلك على ديننا. فعلم الرسول أن لخزيمة نورانية التصديق وحسن الاستنباط، فقال رسول الله ﷺ:**{من شهد له خزيمة فحسبه}**[3]."[4]

ج- في باب النكاح:

من ذلك حديثه عن معايير الاختيار في الارتباط في العلاقة الزوجية، وكيف ندبنا الإسلام إلى اختيار ذات الدين، وذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا**

1- تفسير الشعراوي، ج4 ص 2569.

2- سورة آل عمران، الآية 103.

3- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ الهيثمي، رقم: 15780، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ج 9 ص 533.

4- تفسير الشعراوي، ج3 ص 1671.

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[1].

يقول:"ولذلك فالرسول ﷺ حينما حدد المرأة الصالحة قال في حديث عن الدنيا: **{الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة}**[2]. لقد وضع ﷺ قانوناً للمرأة الصالحة يقول فيه:**{خير النساء التي تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره}**[3]. وأي شيء يحتاج الرجل إليه أحسن من ذلك. وكلمة "إن نظرت إليها سرّتك" إياك أن توجهها ناحية الجمال فقط، جمال المبنى، لا، فساعة تراها اجمع كل صفات الخير فيها ولا تأخذ صفة ولا تترك صفة، لأن النبي ﷺ حذرنا من أن نأخذ صفة في المرأة ونترك صفة أخرى، بل لا بد أن نأخذها في مجموع صفاتها فقال: **{تنكح المرأة لأربع: لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك}**[4].

.... وكذلك المقياس بالنسبة لقبول المرأة للزوج، أيضاً خير الزوايا أن يكون له دين، قال رسول الله ﷺ: **{إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض}** [5]. وعندما استشار رجل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: زوّجها من ذي الدين، إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها"[6].

7-الاستشهاد به في بعض المباحث القرآنية.

أ-في بيان طرق نزول الوحي:

وقد عرض لهذه المسألة في تفسيره للآية**﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ**

1- سورة النساء، الآية 34.

2- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، رقم: 1697، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، ج5 ص234.

3- كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، لإسماعيل العجلوني، رقم: 1262، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1405هـ/1985م، ج1 ص 475.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، باب الأكفاء في الدين، رقم: 5090، ص 364.

5- سنن ابن ماجه، باب الأكفاء، رقم: 1967، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م، ص 281.

6- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2205.

مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [1].

ورسول الله ﷺ في أمر الدعوة كانت تحدث له كل يوم هزات، لذلك كان في كل لحظة يحتاج إلى تثبيت. وعندما يترل النجم القرآني بعد العراك مع الخصوم، فإن حلاوة النجم القرآني تهون عليه الأمر، وإذا ما جاء للرسول ﷺ أمر آخر يعكر صفوه، فهو ينتظر حلاوة الوحي لتترل عليه، وهذا معنى قوله تعالى: **﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾**[2]. أي أنزلناه منجما لنثبت به فؤادك. ولو نزل القرآن جملة واحدة لقلل من مرات اتصال السماء بمحمد ﷺ، وهو يريد مداومة اتصال السماء به. بدليل أن الوحي عندما فتر جلس الرسول يتطلع إلى السماء ويتشوق. لماذا؟ ففي بداية الترول أرهقه الوحي، لذلك قال الرسول ﷺ:**{فضمني إليه حتى بلغ مني الجهد}**. ورأته خديجة رضي الله عنها "وإن جبينه ليتفصد عرقاً" فاتصال جبريل بملكيته ونورانيته برسول الله ﷺ في بشريته، لا بد أن يحدث تغييراً كيميائيا في نفس رسول الله ﷺ. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ:**{أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته يترل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا}** [3]..."[4].

8- الاستشهاد به في أبواب الترغيب والترهيب

أ-في الترغيب في الشفاعة الحسنة

ففي تفسيره قوله تعالى: **﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ**

1- سورة النساء، الآية 113.

2- سورة الفرقان، الآية 32.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدأ الوحي، رقم: 02، ص 17.

4- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2629 و 2630.

شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾[1].يقول الشعراوي:"...قال صلى ﷺ: **{من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين}**[2]. ذلك لأن العبد الذي سعى في قضاء حاجة أخيه يكون قد أدى حق نعمة الله فيما تفضل به عليه، ويكون من أثر ذلك أنه لا يسخط أو يحقد غير الواجد للموهبة على ذي الموهبة. وبذلك فسبحانه يزيل الحقد من نفس غير الموهوب على ذي الموهبة، فغير الموهوب يقول: إن موهبة فلان تنفعني أنا كذلك، فيحبّ بقاءها عنده ونماءها لديه"[3].

ب- في الترهيب من أكل أموال الناس بغير حق

وقد مثل الشعراوي لذلك في معرض حديثه عن اقتطاع حقوق الآخرين بالرشوة أو بالتحايل على الحاكم في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[4]. يقول:"...والرشوة مأخوذة من الرشاء، والرشاء هو الحبل الذي يعلق فيه الدلو، فأدلى ودلا في الرشوة. ولماذا يدلون بها إلى الحكام؟ إنهم يفعلون ذلك حتى يعطيهم الحكام التشريع التقنيني لأكل أموال الناس بالباطل، وذلك عندما نكون محكومين بقوانين البشر، لكن حينما نكون محكومين بقوانين الله فالحاكم لا يبيح مثل هذا الفعل.

ولذلك وضع رسول الله ﷺ هذا المبدأ فقال:{**إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها**}[5]. إن الذي يقول ذلك هو رسول الله ﷺ، وهو المعصوم، إنه يحذر من أن يحاول أحد أن يبالغ في قوة الحجة ليأخذ بها حقا ليس له"[6].

نتـــيجـــة:

1- سورة النساء، الآية 85.

- مجمع الزوائد للهيثمي، مع اختلاف يسير في اللفظ.رقم: 13716، ج8 ص351. 2

3- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2501.

4- سورة البقرة، الآية 188.

5- أخرجه البخاري في صحيحه، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، رقم: 2458، ص 588.

6- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 817.

والذي يظهر بعد عرض النماذج السابقة أن الشيخ الشعراوي لم يعتمد اعتمادا كليا – كما جرت عادة المفسرين- على السنة النبوية بل كان حظها في تفسيره يسيرا، وعليه يمكن أن نسجل هنا بعض الملاحظات منها:

1-تفسيره أحيانا يخالف ماورد في أحاديث نبوية:

فقد كان أحيانا يذهب إلى بعض الآراء التي يتبين- بعد البحث- أنه قد خالف فيها ماورد من أحاديث عن النبي ﷺ من ذلك حديثه عن الشجرة الخبيثة في تفسيره قوله تعالى:﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾[1]. يقول:"... والذين حاولوا أن يُفسّروا "الشجرة الخبيثة" بأنها شجرة الحنظل، أو شجرة التين، أو شجرة الكرّاث، لكل هؤلاء أقول: لقد خلقها الحق سبحانه لتكون شجرة طيبة في ظروف احتياجنا لها، لأنك حين تنظر إلى الكون ستجد أن مزاجه متنوّع، ومقوّمات الحياة ليست هي الأكل والشرب فقط، بل هناك توازن بيئيّ قد صمّمه الحق تعالى، وهو الأعلم منّا جميعا بما خلق، و لم يخلق إلا طيبا..."[2] وهو بهذا يخالف ما ذهب إليه أغلب المفسرين.

فقد قال ابن جرير الطبري في تفسيرها:" ...يقول تعالى ذكره: ومثل الشرك بالله، وهي الكلمة الخبيثة، كشجرة خبيثة. اختلف أهل التأويل فيها أيّ شجرة هي؟ فقال أكثرهم: هي الحنظل..."[3].

وفي تفسير القرطبي: "قوله تعالى:﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ**﴾ الكلمة الخبيثة كلمة الكفر. وقيل: الكافر نفسه. والشجرة الخبيثة شجرة الحَنْظَل كما في حديث أنس، وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وعن ابن عباس أيضاً: أنها شجرة لم تخلق على الأرض. وقيل: هي شجرة الثّوم، عن ابن عباس أيضاً. وقيل: الكَمْأَةُ أو الطّحلبة. وقيل: الْكشُوث، وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الأرض..."[4].

2-الاستدلال بأحاديث ضعيفة وأحيانا موضوعة:

1- سورة إبراهيم، الآية 26.
2- تفسير الشعراوي، ج 12 ص 7510.
3- تفسير الطبري، ج 7 ص 436.
4- تفسير القرطبي ج 9 ص 361. فقد أخرج الترمذي عن أنس موقوفا أنه أتي رسول الله ﷺ بقناع عليه رطب فقال:"ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة..." قال هي :النخلة و"مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة" قال هي: الحنظل، قال فأخبرت بذلك أبا العالية فقال: صدق وأحسن" ينظر جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام رقم: 3119.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[1].

يقول: "والحق سبحانه ينطق لقمان بأشياء من الحكمة يسبق بها النبوة، ليبين لنا أن الإنسان من الممكن أن يكون ربانيا، كما جاء في الحديث القدسي: **{عبدي، أطعني تكُنْ رباني، تقول للشيء كُنْ فيكون}**. ذلك لأن فضل الله ليس له حدود، وليس عليه حرج، وبابه تعالى مفتوح، المهم أن تكون أهلا لأن تلج هذا الباب، وأن تكون في معية ربك دائماً"[2]. والحديث القدسي الذي ساقه الشيخ لا أصل له[3].

وفي تفسير قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[4] ذكر الشعراوي في سبب نزول هذه الآية روايات مختلفة منها قوله:"...وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد والناس بين قائم وراكع ودخل إنسان وسأل الصدقة فلم يعطه أحد فقال الرجل: أشهد الله أني جئت إلى مسجد رسول الله ﷺ وطلبت الصدقة وما أعطاني أحد شيئا، وسمعه علي ابن أبي طالب-كرم الله وجهه وكان يصلي- فمد على يده بحيث يراها الرجل وأشار له أن يأخذ من يده الخاتم كصدقة، فأخذه الرجل، وسأل رسول الله ﷺ السائل فقال: هل أعطاك أحد شيئا، فأجاب الرجل نعم خاتما، وأشار إلى علي بن أبي طالب. وهنا نزلت الآية بتمامها"[5].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أنه "ليس يصح منها شيء بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها"[6]، وأما من جهة المتن فإن فيه من الغرابة والمخالفة لقواعد الشريعة ما يبدوا ظاهرا للعيان ولذلك استغرب ابن كثير إيتاء الزكاة حالة كون علي رضي الله عنه راكعا وقال:" لو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره، لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى"[7].

1- سورة لقمان، الآية: 12.

2- تفسير الشعراوي، ج 19 ص 11617.

3- ذكر علماء اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بالسعودية أنهم لم يعثروا عليه في شيء من كتب السنة.

4- سورة المائدة، الآية 55.

5- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3244.

6- تفسير ابن كثير، ج 2 ص 598.

7- المصدر نفسه، ج 2 ص597.

وفي معرض حديثه عن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول: "...أراد الحق نجاة إبراهيم من النار، وتركهم يتمكنون منه ويضعونه في قلب النار، ولم تمطر السماء لتطفئ النار، وكل ذلك لتكون حجة الحق واضحة، وحتى يكون كيد الله كاملاً لهؤلاء الكافرين. إن إبراهيم عليه السلام لم يهرب منهم، ولم تمطر السماء، بل ظلت النار ناراً ويعطل سبحانه ناموس النار حين دخول إبراهيم إليها.

{روي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك. قال: ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. فقال جبريل فاسأل ربك. فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. فقال الله: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم}[1]."[2]

3-تقديم الدلالة اللغوية على الدلالة الشرعية :

وقد تقرر لدى العلماء أن من ضوابط التفسير بالأثر حمل ألفاظ القرآن على الحقيقة الشرعية، فإن لم تكن فالحقيقة العرفية، فإن لم تكن فالحقيقة اللغوية ومراعاة هذه القاعدة تتطلب أمورا ثلاثة: "

- ينبغي على المفسر أن يعرف حدود ألفاظ القرآن، وأن يقف عند حد كل لفظ، بحيث لا يدخل فيه غير موضوعه، ولا يخرج منه شيء من موضوعه.
- ينبغي أن تحمل ألفاظ القرآن على ما كان متعارفا في عصر نزول الوحي، ولا يجوز أن تحمل على أعراف وعادات حدثت بعد ذلك.
- ينبغي مراعاة السياق ومقتضى الحال، والنظر في قرائن الكلام عند تفسير ألفاظ القرآن، ثم ضم النظير فيها إلى نظيره"[3].

1- ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني، رقم: 1136، ج1 ص427، وقد حكم العلماء بوضعه وأنه من الإسرائيليات وليس من قول النبي ﷺ.

2- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2844.

3- قواعد التفسير للسبت، ج1 ص 149-157.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي ﷺ، لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة فإنه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبيﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء: الأسماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة، ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر، ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض"[1]

غير أن الشيخ الشعراوي ربما قدم أحيانا اللغة العربية على ظاهر الحديث النبوي في اجتهاد منه. ومثال ذلك حديثه عن معنى الصلاة الوسطى في تفسير قوله تعالى:﴿**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ**﴾[2] يقول: "فنفهم أن المقصود في الآية هي الصلوات الخمس، فما المقصود بالصلاة الوسطى؟... ذكر للخاص بعد العام، فكأن الله أمر بالمحافظة على ذلك الخاص مرتين، مرة في دائرة العموم ومرة أخرى أفردها الله بالخصوص. وما العلة هنا في تفرد الصلاة الوسطى بالخصوص؟ إن "وسطى" هي تأنيث "أوسط"، والأوسط والوسطى هي الأمر بين شيئين على الاعتدال، أي أن الطرفين متساويان، ولا يكون الطرفان متساويين في العدد وهي الصلوات الخمس إلا إذا كانت الصلوات وترا، أي مفردة، لأنها لو كان زوجية لما عرفنا الوسطى فيها، ومادام المقصود هو وسط الخمس، فهي الصلاة الثالثة التي يسبقها صلاتان ويعقبها صلاتان، هذا إن لاحظت العدد، باعتبار ترتيب الأول والثاني والثالث والرابع والخامس ...-ثم يسرد الشعراوي الاعتبارات التي يبني عليه ترجيحاته، فمرة باعتبار الفرضية، ومرة باعتبار عدد الركعات، ومرة باعتبار الصلوات الليلية والنهارية، ومرة باعتبار الجهر والإسرار،....-ثم يقول:" ولماذا أخفى الله ذكرها عنا؟ نقول: أخفاها لينتبه كل منا ويعرف أن هناك فرقا بين الشيء لذاته، والشيء الذي يُبهم في سواه، ليكون كل شيء هو الشيء فيؤدي ذلك إلى المحافظة على جميع الصلوات"[3].

1- مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 13 ص18.
2- سورة البقرة، الآية 238.
3- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 1038 و 1039.

ورغم أن الشعراوي أسهب في ذكر الاعتبارات التي اعتمد عليها في ترجيح المراد بالصلاة الوسطى، غير أنه أغفل الدليل الشرعي، وهو صريح الحديث النبوي ﷺ حين شغل عن الصلاة في غزوة الأحزاب فقال:{**حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا**}[1] وفي رواية أخرى {**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر**}[2].

قال ابن كثير بعد عرضه للآراء حول تحديد الصلاة الوسطى: "...وقيل: إنها صلاة العصر. قال الترمذي والبغوي، رحمهما الله: وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم، وقال القاضي الماوردي: وهو قول جمهور التابعين. وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر. وقال أبو محمد بن عطية في تفسيره: هو قول جمهور الناس. وقال الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في كتابه المسمى: "كشف المغطى، في تبيين الصلاة الوسطى": وقد نصر فيه أنها العصر، وحكاه عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي أيوب، وعبد الله ابن عمرو، وسَمُرة بن جُندب، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة. وعن ابن عمر، وابن عباس، وعائشة على الصحيح عنهم. وبه قال عبيدة، وإبراهيم النخعي، وزر بن حبيش، وسعيد بن جبير، وابن سيرين، والحسن، وقتادة، والضحاك، والكلبي، ومقاتل، وعبيد بن أبي مريم، وغيرهم وهو مذهب أحمد بن حنبل. قال القاضي الماوردي: والشافعي. قال ابن المنذر: وهو الصحيح عن أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، واختاره ابن حبيب المالكي، رحمهم الله"[3].

إن ما سبق بيانه يجعلنا نقف عند بعض الملاحظات القليلة والنادرة ربما، إذا ماتم مقارنتها بجهد الشيخ -رحمه الله- وحرصه الشديد على توظيف السنة النبوية والحديث النبوي في تفسيره، مع كون هذا التفسير يعتمد على المشافهة والحديث المباشر. ولعل هذا النوع من

1- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" رقم: 4533، ص 146.

2- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، رقم: 628 ، ص 229.

3- تفسير ابن كثير، ج 1 ص 516 .

التفاسير لا يسعف صاحبه في استحضار وجمع الشواهد الحديثية، كما هو الحال في باقي التفاسير المكتوبة، ولذلك يبقى جهد الشيخ وسعيه محمودا ومشكورا.

ثالثا
التفسير بأقوال الصحابة والتابعين

يأتي التفسير بأقوال الصحابة في المرتبة الثالثة من التفسير بالمأثور، وذلك على اعتبار أن الصحابة ﷺ "قد شاهدوا التنزيل، وعاينوا أسباب النزول، يضاف إلى هذا سلامة فطرتهم، ونقاوة سريرتهم، ورسوخهم في الفصاحة والبيان، إذ القرآن الكريم نزل باللغة التي كانوا يتكلمون بها، ويعرفون معاني ألفاظها وأسرار تراكيبها، ودقة معانيها، وهذا كله يؤهلهم للفهم الصحيح لكلام الله تعالى ويعطي لبيانهم لمعاني كتاب الله مكانة عالية، يجب على من أراد الفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل أن يطلع على بيانهم له، لذا اعتمد العلماء على أقوالهم المرفوعة واعتبروها حجة في التفسير"[1].

يقول الشيخ أبو زهرة[2]: "إن الصحابة هم الذين سمعوا القرآن الكريم ابتداء، وهم الذين شاهدوا وعاينوا، وتلقوا التفسير عن النبي ﷺ ويروى عن ذي النورين عثمان ﷺ أن النبي ﷺ كان كلما تلا عليهم طائفة من الآيات تولى تفسيرها لهم، فكان تفسيرهم اقرب إلى السنة، بل يعده الكثيرون من السنة، مادام لا يمكن أن يكون للرأي فيه مجال"[3].

ويقول أيضا: "إن الصحابة أعلم الناس بمعاني الألفاظ القرآنية لأنهم من العرب، ومن أعلم الناس بلغة العرب، وما يكون غريبا بالنسبة لنا، لا يكون غريبا بالنسبة لهم، والألفاظ معروفة معانيها لهم"[4].

1- محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، محمد دراجي، ص106.

2- هو محمد أبو زهرة (1898-1974م) أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، ولد بمدينة المحلة الكبرى وتربى بالجامع الأحمدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي درس بالجامعة وكان عضوا للمجلس الأعلى للبحوث الإسلامية له أكثر من 40 كتابا منها "الملكية ونظرية العقد في الشريعة " و"تواريخ مفصلة ودراسة فقهية أصولية للأئمة الأربعة " و"الأحوال الشخصية " وغيرها وفاته بالقاهرة. ينظر: الأعلام ج6 ص26/25 ومقدمة كتابه أصول الفقه .

3- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى"القرآن"، ص 561، دار الفكر العربي، القاهرة.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد ذهب أهل العلم أنه إذا لم يوجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا في أقوال الصحابة، فلا بد من الرجوع إلى أقوال التابعين، لأن التابعين الكرام هم الذين ورثوا علم الصحابة رضوان الله عليهم في التفسير، ثم أضافوا إليه اجتهاداتهم، وقد وقف علماء الحديث من أقوال التابعين مواقف مختلفة " فالتابعي إذا ورد عنه في التفسير شيء يدرك بالرأي لم يكن له حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ، لجواز أن يكون أدركه بنفسه استنادا إلى الدلالات اللغوية وغيرها من القرائن التي تعين على فهم المعنى، وإن ورد عنه ما لا يدرك بالرأي بأن يكون من المعاني التي لا يستقل العقل بإدراكها، فذلك له حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ، إلا أنه مرفوع مرسل فيجري فيه من المذاهب ما يجري في الأحاديث المرسلة"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب وأقوال الصحابة في ذلك"[2].

نماذج من النقل عن الصحابة والتابعين في تفسير الشعراوي

لم يتوسع الشيخ في الاستشهاد بأقوال الصحابة في تفسيره، غير أن ذلك لم يمنعه من توظيف أقوالهم في بعض الأحيان تدعيما لرأيه في تفسير آية ما، أو للتنبيه إلى قراءة معينة، أو تدعيما لرأيه من باب الاستئناس. ولا يفهم من هذا عدم الأخذ به، بل لعل طبيعة تفسير الشعراوي–الشفهي– وطريقة عرضه لم تسعفه في الوقوف مليا على تلك الآثار، للإفادة والاستفادة منها. ورغم هذا سأحاول الإشارة إلى أبرز مظاهر عنايته بأقوال الصحابة والتابعين.

1– الاستشهاد بأقوالهم لبيان معان تفسيرية:

المثال الأول: وذلك في تفسير قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [3].

يقول: "للحق تبارك وتعالى في هذه الآية ثلاثة أوامر: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى. وثلاثة نواه: عن الفحشاء والمنكر والبغي. ولما نزلت هذه الآية قال ابن مسعود: أجمعُ آيات القرآن للخير هذه الآية، لأنها جمعت كل الفضائل التي يمكن أن تكون في القرآن الكريم.

1– عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، البيان في مباحث علوم القرآن، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ص 106-107.
2– مجموع فتاوى ابن تيمية، ج13 ص198.
3– سورة النحل، الآية 90.

ولذلك سيدنا عثمان بن مظعون كان رسول الله ﷺ يحب له أن يُسلِم، وكان يعرض عليه الإسلام دائما، ورسول الله ﷺ لا يحب عرض الإسلام على أحد إلا إذا كان يرى فيه مخايل وشيما تحسن في الإسلام. وكأنه ﷺ ضنّ بهذه المخايل أن تكون في غير مسلم، لذلك كان حريصا على إسلامه وكثيرا ما يعرضه عليه، إلا أن سيدنا عثمان بن مظعون تريّث في الأمر، إلى أن جلس مع الرسول ﷺ في مجلس، فرآه رفع بصره إلى السماء ثم تنبه، فقال له ابن مظعون: ما حدث يا رسول الله؟ فقال: إن جبريل عليه السلام قد نزل عليَّ الساعة بقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعدل والإحسان وَإِيتَآءِ ذِي القربى وينهى عَنِ الفحشاء والمنكر والبغي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ قال ابن مظعون رضي الله عنه: فاستقر حبُّ الإيمان في قلبي بهذه الآية الجامعة لكل خصال الخير. ثم ذهب فأخبر أبا طالب، فلما سمع أبو طالب ما قاله ابن مظعون في هذه الآية قال: يا معشر قريش آمِنُوا بالذي جاء به محمد، فإنه قد جاءكم بأحسن الأخلاق "[1].

المثال الثاني: في تفسير قوله تعالى:﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾[2].

يقول: "ولذلك نجد قول الإمام علي كرم الله وجهه: إذا مات ابن آدم بكى عليه موضعان، موضع في السماء، وموضع في الأرض، وأما موضعه في الأرض فموضع مصلاه، وأما موضعه في السماء فمصعد عمله"[3].

المثال الثالث: في تفسير قوله تعالى:﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [4].

يقول "... فعن ابن عباس رضي الله عنهما: صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا..."[5].

1- تفسير الشعراوي، ج 13 ص 8156.
2- سورة الرعد، الآية 13.
3- تفسير الشعراوي، ج 12 ص 7253.
4- سورة البقرة، الآية 271.
5- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 1186.

المثال الرابع: في تفسير قوله تعالى:﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

يقول: "...هذه المسألة تحتاج إلى دقة بالغة، لأننا وجدنا بعضا من صحابة رسول الله ﷺ قد وقفوا فيها موقفا أبكى بعضهم، هذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حينما سمع هذه الآية قال: لئن آخذنا الله على ما أخفينا في نفوسنا لنهلكن. وبكى حتى سُمع نشيجه بالبكاء. وبلغ ذلك الأمر ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد وجد إخوانه المسلمون مثلما وجد من هذه الآية. فأنزل الله بعدها ﴿**لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ إلى آخر السورة "[2].

المثال الخامس: في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[3].

يقول:"... والإسراف هو مجاوزة الحد، والبعض قد فسّر الإسراف بالزيادة فقط، ولكن الحقيقة أن أي تجاوز للحد زيادة أو نقصا يسمى إسرافا، لأنه مأخوذ من "سرف الماء" وهو أن يطلق الماء ويذهب في غير نفعٍ، وسيدنا مجاهد يقول: لو أن للإنسان مثل جبل أبي قبيس ذهبا ثم أنفقه في حل ما عد سرفا، ولو صرف درهما واحدا في معصية يعد سرفا ..."[4].

المثال السادس: في تفسير قوله تعالى:﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾[5].

يقول: "...فكأنه نظر حينما فعل للغير أنه فعل لنفسه. ولقد قلنا سابقا: إن العارف بالله "الحسن البصري" كان إذا دخل عليه من يسأله هشّ في وجهه وبشّ وقال له: مرحباً بمن جاء يحمل زادي إلى الآخرة بغير أجرة، إذن فقد نظر إلى أنه يعطيه وإن كان يأخذ منه ..."[6].

1- سورة البقرة، الآية 284.

2- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 1248.

3- سورة الأنعام، الآية 141.

4- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 3970.

5- سورة البقرة، الآية 272.

6- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 1190.

المثال السابع: في تفسير قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[1]. يقول:"....ونلحظ هنا في الأسلوب تكرار ضمير الغيبة (هم) فقال:﴿**وَهُمْ بالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ وهذا يدلُّنا على أن الإيمان بالآخرة أمر مؤكد لا شك فيه، ومع أن الناس يؤمنون بهذا اليوم، ويؤمنون أنهم محاسبون، وأن الله لم يكلفهم عبثاً -مع هذا- يؤكد الحق سبحانه على أمر الآخرة، لأنها مسألة بعيدة في نظر الناس، وربما غفلوا عنها لبعدها عنهم، ولم لا وهم يغفلون حتى عن الموت الذي يرونه أمامهم كل يوم، ولكن عادة الإنسان أن يستعبده في حق نفسه. لذلك يقول الحسن البصري: ما رأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت..."[2].

المثال الثامن: في تفسير قوله تعالى:﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾[3].

يقول: "...وبالنسبة للأمة في تلك الآية فقد جاء في الآثار أن المراد بالأمة في هذه الآية الأمة المحمدية، قال قتادة: بلغني "أن رسول الله ﷺكان يقول: إذا قرأ هذه الآية: هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها" ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون "ويخاطب النبي ﷺ صحابته بقوله: هذه لكم، أي في أمتكم"[4].

المثال التاسع: وأحيانا يذكر أثرا دون أن ينسبه لصاحبه، ففي تفسير قوله تعالى:﴿**وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾[5].يقول:"...أن تلووا في الشهادة واللَيّ هو التحريف، أي تحرفوا الشهادة وتغيروها" وهو قول مجاهد قال ابن جرير: "قال مجاهد وغير واحد من السلف تلووا أي تحرفوا الشهادة وتغيروها واللي هو التحريف"[6].

2-النقل عنهم في معرض الإشارة إلى القراءات:

1- سورة لقمان، الآية 4.

2- تفسير الشعراوي، ج 19 ص 11575.

3- سورة الأعراف، الآية 181.

4- تفسير الشعراوي، ج 7 ص 4490.

5- سورة النساء، الآية 135.

6- ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ج3 ص 322.

ففي تفسير قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[1].يقول: "...وعلى ذلك نقرأ قول الحق:﴿**إِنَّمَا ذلكم الشيطان يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾ ونفهم منها، أن ذلكم الشيطان يخوفكم أنتم من أوليائه، لأن حرف الجر في الآية الكريمة محذوف، ويعاضد هذا ويقويه قراءة ابن عباس وابن مسعود: يخوفكم أولياءه، وينبه الحق المؤمنين ألاّ يخافوا من أولياء الشيطان فيقول: ﴿**فَلاَ تَخَافُوهُمْ**﴾ ..."[2].

3-النقل عنهم في معرض ذكر أسباب النزول:

ومثال ذلك في تفسير قوله تعالى:﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [3].

يقول:"روى في سبب نزول هذه الآية الكريمة: قال سعيد بن جُبير عن ابن عباس – رضي الله عنهما- لما نزل قوله تعالى:﴿**مَّن ذَا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً**﴾ قالت اليهود: يا محمد افتقر ربك، فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الذين قالوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ**﴾ و"...قال ابن عباس: "إن الله وسع على اليهود في الدنيا حتى كانوا أكثر الناس مالا، فلما عصوا الله وكفروا بمحمد ﷺ وكذبوه ضيّق الله عليهم في زمنه ﷺ، فقال فنحاص بن عازوراء ومن معه من يهود: يد الله مغلولة فأنزل الله هذه الآية. إنهم قالوا: السماء بخلت علينا ويد الله مغلولة، فلم تعطنا رزقا. وهكذا كان اجترؤوا عليه بكلمة أو على أصحابه باستهزاء، فسبحانه يوضح لرسوله: أنهم لم يصنعوا ذلك معك ولا مع أتباعك، إن هذا هو موقفهم مني أنا، فإذا كان موقفهم وسوء أدبهم وصل بهم إلى أن يجترئوا على الذات المقدسية العلية، ويقولون:﴿**إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ**﴾ ويقولون:﴿**يَدُ الله مَغْلُولَةٌ**﴾. أفتحزن وتأسى على أن يقولوا لك أو لأتباعك أي شيء يسيء إليكم؟ إنها نعمة المواساة من الله لرسوله ونعمة التسلية "[4].

4-النقل عنهم في مسائل اجتهادية

1- سورة آل عمران، الآية 175.

2- تفسير الشعراوي، ج 3 ص 1892.

3- سورة آل عمران، الآية181.

4- تفسير الشعراوي، ج 3 ص 1917 و 1920.

أ- أقل مدة الحمل

وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

يقول: "وبعضنا يعرف قصة الحامل في ستة شهور، فقد جاءوا بامرأة لسيدنا عثمان ﷺ لأنها ولدت لستة أشهر، فأراد أن يقيم عليها حد الزنى، فتدخل الإمام علي ابن أبي طالب وقال: كيف تقيم عليها الحد لأنها ولدت لستة أشهر، ألم تقرأ قول الحق سبحانه وتعالى؟ قال عثمان: وماذا قال الحق في ذلك؟ فقرأ الإمام علي قول الله:﴿**والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾"[2].

ب- الإيلاء

في تفسير قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]

يقول: "فسن عمر سنة أصبحت دستورا فيما بعد، وهي ألا يبعد جندي من جنود المسلمين عن أهله أربعة أشهر. إذن فقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ**﴾ سبق حادثة عمر، ثم ترك الحق لواقع الحياة أن يبين لنا صدق ما قننه لنا، ويأتي عمر ليستنبط الحكم من واقع الحياة"[4].

رابعا
عنايته بالقراءات القرآنية .

1- سورة البقرة، الآية 228.
2- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 999.
3- سورة البقرة، الآية 226.
4- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 993.

القراءات جمع قراءة، وهي مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا غيره في النطق بألفاظ القرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.

وقد اختصر العلامة ابن الجزري هذا التعريف، فقال: "القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[1].

وهذه القراءات ثابتة بأسانيدها عن النبي ﷺ، فالالتزام بها حكم شرعي ثابت بالسنة النبوية، أي بالنقل لا بالعقل، فضابطها ثبوت صحتها سماعا وليس القواعد والمذاهب النحوية، وهذا العلم جليل له فوائد كثيرة، أهمها حفظ كتاب الله تعالى من التحريف والتبديل، باشتماله على الأوجه المتعددة للقراءات، والتيسير والتخفيف في حفظ القرآن وفقه معانيه.

ثم إن قراءة القرآن والتعبد بتلاوته كما أمر الله تعالى، لا تتحقق على الوجه الأكمل إلا بمعرفة كيفية النطق بالألفاظ، والوقوف على أداء الكلمات القرآنية، ليحفظ النص من اللحن والانحراف بالألفاظ عن مقتضياتها ومدلولاتها.

وإذا كانت هذه الأهمية لهذا العلم فلا عجب أن يكون عدة المفسر، لأنه به تتحقق أغراض ومقاصد كثيرة من التفسير، سواء ما تعلق منها بالمعاني أو الدلالات، أو الإعجاز أو الأحكام، أو ما إلى ذلك من أغراض التفسير"[2].

وقد تعامل الشعراوي في تفسيره مع مباحث القراءات القرآنية بشكل يسير ووجيز، حيث لم يتطرق الشعراوي كعادة المفسرين إلى مذاهب القراءات، واختلاف القراء، و أهم الأحكام التي تنبني على ذلك، بل اكتفى الشعراوي بذكر بعض القراءات والتي كان في الغالب لا ينسبها إلى أصحابها، ولا إلى رواتها ولا إلى طرقهم. ولعل تلك مؤاخذة تؤخذ عليه في تفسيره، غير أن طبيعة تفسيره الشفهي تعذر له صنيعه ذاك. وفيما يلي نماذج عن أهم المسائل التي أوردها الشعراوي في تفسيره.

مظاهر عناية الشعراوي بالقراءات

1-رده شبهة: أن اختلاف القراءات دليل اختلاف في القرآن

1- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1999م، ص09 .

2- مصطفى إبراهيم المشني، ابن العربي وتفسيره أحكام القرآن، ص225.

منذ نزول القرآن الكريم على سيد الخلق ومعلم البشرية محمد ﷺ، الذي بينه للناس فهدى به من الضلالة، وبصر به من الجهالة، وأوضح به المحجة وأقام الحجة، واتضح للناس سبيل الحق المبين فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه، وبقي أعداء الإسلام يمكرون ويحاربون هذا الدين بشتى الوسائل، ومن تلك التيارات التيار الاستشراقي الذي تأسس على هدف التقرب من عالم الشرق وعلومه، وإن كان الغرض شريفا والقصد في ظاهره نبيلا –كما نلمس ذلك في بعض إنجازاتهم- غير أن نهجهم تغير إلى محاولات التشكيك في كثير من أصول وأساسيات الإسلام، وقد كان عداء بعضهم خافيا غير جلي مما يصعب مهمة التنبه لخطرهم والاحتراز منه.

ولقد كانت جهود العلماء واضحة في التنبيه على خطورة هذا التيار ودعاته، ويعتبر الشيخ الشعراوي من أولئك الذين كشفوا عن أكاذيبهم وشبهاتهم، ولم يكن الشيخ رحمه الله يفوت فرصة يعرض فيها لشبههم إلا ويستثمرها في كشف أباطيلهم ودحض افتراءاتهم.

ويعتبر الاستشراق حركة علمية تعنى بالاطلاع على العلوم الشرقية ودراستها وترجمتها، والتعرف عليها. كما تركزت جهود الاستشراق في إنشاء مراكز خاصة بالدراسات الشرقية والإسلامية، في المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها، ومن خلال هذه المراكز تدرس علوم المسلمين وآدابهم وفنونهم، بالإضافة إلى دراسة وتحقيق المخطوطات الإسلامية، وتأليف المعاجم القيمة وإنشاء المكتبات والمتاحف العلمية والترجمات الواسعة لشتى الفنون والعلوم الإسلامية.

وأهداف الاستشراق ليست واحدة، وإن كان يغلب عليها الجانب التبشيري الاستعماري الذي يمجد النصرانية وينتقص من الإسلام، من خلال رميه بالشبهات والأباطيل التي يقصد من ورائها تشويه صورة الإسلام وتسفيه شريعته"[1]

لقد رد الشعراوي شبهة اختلاف القرآن بدعوى اختلاف القراءات القرآنية، وهي أحد أبرز الشبه التي تعلق بها المستشرقون في مطاعنهم تجاه النص القرآني، محاولة منهم التشكيك في صحته.

وترتكز شبههم على اعتبار القراءات القرآنية "اجتهادا فرديا، واختيارا شخصيا، وبالتالي فهي مبتوتة الصلة بالوحي، والذي تولى كبر هذه الفرية وروج لها كثيرا في الأوساط

1- ينظر: الاستشراق والإسلام، أنور الجندي، ص 180-181.

الاستشراقية، حتى غدت كأنها مسلمة غير قابلة للنقاش، المستشرق المجري جولد تسيهر في كتابه المشهور "مذاهب التفسير الإسلامي"[1].

وللوقوف على تلك الشبهة نسوق نص المستشرق الألماني جولد تسيهر الذي يقول: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصيلة، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالاتها، وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات في المحصول الموحد الغالب منه الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوطا أصلا أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه"[2].

يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[3]. "... بعض الناس يقولون: هناك اختلاف في القراءات. مثل قوله تعالى: ﴿**مالك يَوْمِ الدين**﴾[4]. ويقول: هناك من يقرؤها ﴿**ملك يَوْمِ الدين**﴾. لكن هناك ما يُسمى "تربيب الفائدة" لأن كلمة "مالك" وكلمة "مَلِك" معناهما واحد، والقرآن كيف يكون من عند غير الله؟ ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً**﴾ – أي القرآن– "من عند غير الله" أغير الله كان يأتي بقرآن؟ لا. إنما القرآن لا يأتي إلا من الله ﷻ، ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً**﴾.

إن قوله ﷻ:﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن**﴾ تكريم للإنسان، فكأن الإنسان قد خلقه الله ليستقبل الأشياء بفكر لو استعمله استعمالاً حقيقياً لانتهى إلى مطلوبات الحق، وهذه شهادة للإنسان، فكأن الإنسان مزود بآلة فكرية، هذه الآلة الفكرية لو استعملها لوصل إلى حقائق الأشياء، والحق لا يريد منا إلا أن نعمل هذه الآلة: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً**﴾ فالقرآن كلام الله، وكلام الله صفته، وصفة الكامل كاملة،

1– محمد دراجي، الاستشراق والدراسات القرآنية، دار البلاغ، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 85.

2– مذاهب التفسير الإسلامي، اجنتس جولد تسيهر، دار اقرأ، لبنان، د.ط، د.ت، ص08.

3– سورةالنساء، الآية 82.

4– سورة الفاتحة، الآية 04.

والاختلاف يناقض الكمال. فمعنى الاختلاف أنك تجد آية تختلف مع آية أخرى، فكأن الذي قال هذه نسي أنه قالها وبعد ذلك جاء بأمر يناقضها، ولو كان عنده كمال لعرف ما قال أولاً كي لا يخالفه ثانياً. إذن فلا تضارب ولا اختلاف في القرآن، لأنه من عند الله"[1].

2-نزول القرآن على سبعة أحرف وبيان أسباب الاختلاف في القراءة

يشير الشعراوي إلى نزول القرآن على سبعة أحرف، وكذلك إلى تعدد أوجه القراءات، لكنه يؤكد على أن الضابط الأساس في قبولها هو صحة نسبتها إلى النبيﷺ، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[2]. يقول "...وعلى ذكر ذلك قال لي أخ كريم: كنت أسمع إحدى الإذاعات وأخطأوا وقالوا (فتثبتوا) بدل من (فتبينوا) في قوله الحق: ﴿**إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فتبينوا**﴾[3]. وأقول: هذه قراءة من القراءات، والمعاني دائماً ملتقية، فـ "تبين" معناها "طلب البيان ليَتثبت". ونعرف أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف، وكتابة القرآن كانت بغير نقط وبغير شكل، وهذا حال غير حالنا، حيث نجد الحروف قد تم تشكيلها بالفتحة والضمة والكسرة. ونحن نعرف أن هناك حروفاً مشتبهة الصورة. فـ"الباء" تتشابه مع كل من "الياء"، وال "نون" وال "تاء" وال "ثاء"، ولم تكن هذه النقط موجودة، ولم تكن هذه العلامات موجودة قبل الحجاج الثقفي، وكانوا يقرءون من ملكة العربية ومن تلقين وإتباع للوحي، ولذلك: "فتبينوا" ممن تتكون؟ تتكون من: الـ "فاء" ولم يحدث فيها خلاف، وال "تاء" وبقية الحروف هي الـ "باء" والـ "ياء" والـ "نون".

وكل واحدة من هذه الأحرف تصلح أن تجعلها "تثبتوا" بوضع النقاط أو تجعلها "تبينوا"، إنه خلاف في النقط. ولو حذفنا النقط لقرأناها على أكثر من صورة، والذي نتبعه في ذلك هو ما ورد عن الوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ "[4].

1- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2488.

2- سورة النساء، الآية 94.

3- سورة الحجرات، الآية 6.

4 - تفسير الشعراوي، ج4 ص 2566.

ثم يتحدث الشعراوي في موضع آخر عن بعض أسباب اختلاف القراءة فيقول: "وقد جاء الاختلاف في بعض ألفاظ القرآن من قراءة لأخرى، لأن القرآن الكريم دُوّن أول ما دُوّن غير منقوط ولا مشكول، اعتمادا على مَلكة العربي وفصاحته التي تمكّنه من توجيه الحرف حسب المعنى المناسب للسياق، وظل كذلك إلى أن وضع له العلماء النقاط فوق الحروف في العصر الأموي. فمثلا النبرة في كلمة دون نقط يحتمل أن تُقرأ من أعلى: نون أو تاء أو ثاء. ومن أسفل تقرأ: باء أو ياء ..."[1].

3-بيان أركان القراءة الصحيحة

تحدث الشعراوي أثناء تعرضه لمسائل القراءات عن أركان القراءة الصحيحة، حيث ذهب إلى ما أقره علماء القراءات، فقد ذكر صاحب الإبانة عن معاني القراءات تلك الشروط فقال: "وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال، وهي: أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعا، ويكون موافقا لخط المصحف"[2].

وإلى هذا المعنى أشار الشعراوي بقوله: "...ولكن قراءة القرآن توقيفية، واتباع للوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند الله على رسوله ﷺ، ولا يصح لأحد أن يقرأ القرآن حسب ما يراه، وإن كانت صورة الكلمة تقبل ذلك وتتسع له ولا تمنعه، ولذا قالوا: أن للقراءة الصحيحة أركانا هي:

1- أن تكون موافقة لوجه من وجوه اللغة العربية.

2- أن تكون موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية.

3- أن يصح إسنادها إلى رسول الله ﷺ بطريق يقيني متواتر لا يحتمل الشك.

وهذه الضوابط نظمها صاحب طيبة النشر فقال:

وكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسنادا هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

1- المصدر نفسه، ج 15 ص 9166.

2- مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص 18.

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ عذابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ**﴾[1]. هذه هي قراءة "حفص" وقرأ الحسن: (قال عذابي أصيب به من أساء). صحيح أن كلمة "أساء" وهي من الإساءة فيها ملحظ آخر للمعنى، لكن القراءة الأخرى لم تبعد بالمعنى، وعلى ذلك فكلمة "فتبينوا" تُقرأ مرة "فتثبتوا" ومرة تقرأ "فتبينوا"، سواء في هذه الآية التي نحن بصددها، أو في الآية التي يقول فيها الحق:﴿**إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فتبينوا**﴾[2]. و "التبين" القصد منه التثبت، والتبين يقتضي الذكاء والفطنة، فيرى ملامح إيمان من ألقى إليه بالسلام: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ ألقى إِلَيْكُمُ السلام**﴾[3]. فالمسلم يجب أن يفطن كيلا يأخذ إنساناً بالشبهات." [4].

4-من أحكام الوقف

عرض الشعراوي لبعض أحكام الوقف، ولكن كعادته يتبع في ذلك أسلوبه البسيط السهل الخالي عن ذكر التفاصيل والخلافات، فيتحدث عن مواطن الوقف، وطريقة رسمه في المصحف، وغير ذلك ... فيقول في تفسير قوله تعالى﴿**الٓمٓ**﴾[5]: "هذه من الحروف المقطَّعة المبنية على الوقف، على خلاف آيات القرآن التي بنيت كما قلنا على الوصل من أول القرآن إلى آخره، بل على وصل آخره بأوله، لذلك لا ينبغي أن تقرأ القرآن على الوصل، ما دام نفَسُك يساعدك، ولا تقف إلا إذا انقطع النفَس، فتقف وتُسكِّن الحرف الذي وقفتَ عليه. وقد قال علماء القراءات: وليس في القرآن من وقف وجب، لأنه بني على الوصل، فلا تقف إلا إذا ضاق نفسك، لذلك جعلوا في القرآن مواضع للوقف، وتُرسم في المصحف (صِلى، قِلى، ج)، لكن الأصل الوصل.

وقلنا: إن أوضح مثال على الوصل في القرآن أن كلمة الناس في آخر سورة الناس، وهي آخر القرآن لم تأت ساكنة، إنما متحركة بالكسر (الناسِ)، لأن الله تعالى قدَّر حلَّك في الناس

1- سورة الأعراف، الآية 156.
2- سورة الحجرات، الآية، 6.
3- سورة النساء، الآية، 94.
4- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2567 و 2568.
5- سورة السجدة، الآية، 1

فجعلك ترحل إلى بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة، فلا تقطع الصلة بين آخر القرآن وأوله، وسمَّينا قارئ القرآن لذلك (الحالّ المرتحل).

وهنا تأتي ﴿ألم﴾ بعد مفاتح الغيب الخمسة التي سبقت في آخر سورة لقمان، وكأنها مُلحقة بها، فهي سرّ استأثر الله تعالى بعلمه."[1]

5-التوجيه النحوي للقراءات

وقد عني الشعراوي بهذا الجانب عناية خاصة، بالنظر إلى طبيعة تكوينه وثقافته التفسيرية، ومن نماذج ذلك تفسيره للآية: ﴿**وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[2]. يقول: "... إن هناك ثلاثة من أكابر القراء في صدر الإسلام هم: أبو عمرو[3]

وحمزة[4] و الكسائي[5]، وكان لكل منهم أسلوب متميز. وعندما نعلم أن "أنْ" تنصب الفعل لا بد أن يكون الفعل الذي يليها لا يدل على العلم واليقين والتبين، "فأن" بعد العلم لا تنصب، كقوله الحق: ﴿**عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مرضى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأرض**﴾[6].

وألفية ابن مالك تقول: (وبلن انصبه وكي كذا بِأَنْ لا بعد علم). أما "أن" التي من بعد ظن فمن الممكن أن تنصب ومن الممكن أن يُرفع الفعل بعدها، فالذي رجح وجود الفعل وأدركه إدراكاً راجحا يرفع، والذي لم يكن لديه هذا الإدراك الراجح ينصب، والرفع هو قراءة الكسائي وأبي عمرو وحمزة. فقد بنوا الأمر على أنّ الرجحان يقرب من اليقين. وما دام قد حدث ذلك تكون "أَنْ" هنا هي "أن" المؤكدة، لا "أن" الناصبة ويسموها أن المخففة من الثقيلة

1- تفسير الشعراوي، ج19 ص 11776 .

2- سورة المائدة، الآية 71.

3- هو أبو عمرو الزبان بن العلاء البصري، كان من أعلم الناس بالقراءة، مع صدق وأمانة وثقة في الدين، روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير، توفي سنة 154هـ، ينظر إبراز المعاني،ص06. و معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج1 ص180.

4- هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التميمي، كان ورعا مجودا لكتاب الله عارفا بالفرائض حافظا للحديث، توفي بحلوان 156هـ، معرفة القراء، ج1 ص 210.

5- هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي، قال الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم بالغريب، وكان أوحد الناس بالقرآن، فكانوا يكثرون عليه حتى يضطر أن يجلس على الكرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، توفي سنة 189هـ، ينظر معرفة القراء، ج1 ص181، و إبراز المعاني ص06.

6- سورة المزمل، الآية 20.

فأصلها أنّ ﴿**وحسبوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾. وتأتي "فتنة" بالرفع لأنها اسم تكون. و"تكون" من "كان".

و"كان" لها اسم مرفوع وخبر منصوب. وهي هنا ليس لها خبر، لأنها مِن "كان" التامة "فهناك" كان الناقصة "وهناك" كان التامة. ونقول ذلك حتى نتقن فهم القرآن..."[1].

وفي قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[2].

يقول:"ويمكن أن نقرأ كلمة "خالصة" منصوبة على أنها حال، ويمكن أن نقرأها في قراءة أخرى مرفوعة على أنها خبر بعد خبر، والمعنى: أنها غير خالصة للمؤمنين في الدنيا لمشاركة الكفار لهم فيها، وغير خالصة أيضاً من شوائب الأغيار، ولكنها وفي الآخرة خالصة للمؤمنين فلا يشاركهم الكفار ولا تأتي لهم فيها الأغيار"[3].

وفي قوله تعالى يقول: ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**﴾[4]. يقول الشعراوي: "توقف العلماء طويلاً حول هذه الآية، لأن فيها قراءتين (إنْ هذان) بسكون (إنْ) والأخرى (إنَّ هذان) بالتشديد. والقراءة التي نحن عليها قراءة حفص ﴿**إِنْ هذان لَسَاحِرَانِ**﴾ و(إنْ) شرطية إنْ دخلت على الفعل، كما نقول: إنْ زارني زيد أكرمته، وتأتي نافية بمعنى ما، كما في قوله تعالى: ﴿**الذين يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِّن نِّسَآئِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللائي وَلَدْنَهُمْ**﴾[5].

فالمعنى: ما أمهاتهم إلا اللائي وَلَدْنهم.كذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنْ هذان لَسَاحِرَانِ**﴾. فالمعنى: ما هذان إلا ساحران، فتكون اللام في ﴿**لَسَاحِرَانِ**﴾ بمعنى إلا. كأنك قُلْتَ: ما هذان إلا ساحران.

وتأتي اللام بمعنى إلا، إذا اختلفنا مثلا على شيء، كل واحد منا يدّعيه لنفسه، فيأتي الحكم يقول: لزيد أحق به، كأنه قال: ما هذا الشيء إلا لزيد. إذن: اللام تأتي بمعنى إلا. وعلى

1- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3311.
2- سورة الأعراف، الآية: 32
3- تفسير الشعراوي ج 7 ص 4117.
4- سورة طه، الآية 63.
5- سورة المجادلة، الآية 2.

القراءة الثانية بالتشديد (إنَّ هذان لساحران) فإنَّ حرف ناسخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، تقول: إنَّ زيداً مجتهدٌ، أما في الآية بهذه القراءة: (إنّ هذان لساحران) جاء اسم إنّ هذان بالرفع بالألف، لأنه مثنى، والقاعدة تقتضي أن نقول (هذين).فكيف يتم توجيه إنَّ المشددة الناسخة وبعدها الاسم مرفوع؟

قالوا: هذه لغة كنانة إحدى قبائل العرب، وكان لكل قبيلة لهجتها الخاصة ولغتها المشهورة فيقولون: جعجعة خزاعة، وطُمْطُمانيّة حِمْيَر، وتَلْتلة بَهْراء، وفحفحة هذيل.... الخ.

ولما نزل القرآن نزل على جمهرة اللغة القرشية، لأن لغات العرب جميعها كانت تصب في لغة قريش في مواسم الحج والشعر والتجارة وغيرها، فكانت لغة قريش هي السائدة بين لغات كل هذه القبائل، لذلك نزل بها القرآن، لكن الحق تبارك وتعالى أراد أن يكون للقبائل الأخرى نصيب، فجاءت بعض ألفاض القرآن على لهجات العرب المختلفة للدلالة على أن القرآن ليس لقريش وحدها، ليجعل لها السيادة على العرب، وإنما جاء للجميع.

ومن لهجات القبائل التي نزل بها القرآن لهجة كنانة، التي تلزم المثنى الألف في كل أحواله رفعا ونصبا وجرا. وشاهدهم في كتب النحو قول شاعرهم:

وَاهَاً لِسَلْمى ثُمَّ وَاهَا وَاهَا ... يَا لَيْتَ عَيْناهَا لَنَا وَفَــاهَا

هِيَ المُنَى لَوْ أَنَّنَا نِلْناهَـــــا ... ومَوْضِع الخُلْخال من قَدمَاهَا

إنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَـــــا ... قَدْ بلغَا في المَجْدِ غَايَتَاهَـــــا

فقال: إنَّ أباها. و لم يقل: إنَّ أبيها، لأنه يُلزم المثنى الألف.

إذن: لم يترل القرآن بلغة قريش على أنها لغة سيادة، وإنما لأنها تنطوي على زُبدة فصاحات لغات الجزيرة كلها، وكانت لغة قريش تصفَّى في مواسم الشعر والأدب في عكاظ وذى المجنّة وغيرها"[1].

6-الإشارة للقراءات دون نسبتها إلى أصحابها:

وهذا كثير عند الشعراوي وهو مما يؤخذ عليه، بيد أننا نلتمس له أعذارا لأن الشيخ لم يقصد بتفسيره الجري على طريقة الأوليين، بل حرص على التميز، وكانت له رؤيته الخاصة في الخروج بتفسير كلام الله تعالى من بطون الكتب إلى الخطاب التفاعلي المباشر. هذا ما جعل

1- تفسير الشعراوي، ج 15 ص 9307 و ما بعدها.

الشيخ الشعراوي يستنكف عن الولوج في كثير من التفاصيل والآراء، حتى لا يخرج عن هدفه الأسمى من تفسير كتاب الله وبيان معانيه، إلى الزج بالمستمعين في بحر من الخلافات والآراء والنقاشات، وللتدليل على ذلك نسوق بعض النماذج.

مثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1].

يقول: "ونقرأ "سبيل" في بعض القراءات مرفوعة، أي أن سبيل المجرمين يظهر ويستبين ويتضح، وتقرأ في بعض القراءات منصوبة، أي أنك يا محمد تستبين أنت السبيل الذي سيسلكه المجرمون."[2] وفي قوله تعالى:﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[3]. يقول: "و﴿الْوَلَايَةُ﴾ أن يكون لك ولي ينصرك، فالولي هو الذي يليك، ويدافع عنك وقت الشدة، وفي قراءة أخرى: ﴿هُنَالِكَ الْوِلايَةُ﴾ بكسر الواو يعني الملك."[4].

وهذا لم يمنعه من نسبة بعض القراءات لقرائها غير أن ذلك كان قليلا جدا، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير الآية: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[5].

يقول: "...وقيل المراد: هل تستطيع سؤال ربك من غير صارف ولا مانع يمنعك عن سؤاله؟ فقد قرأ الكسائي وغيره هل تستطيع ربَّك بنصب كلمة (ربَّك) وأصلها هل تستطيع سؤال ربَّك، فحذف المضاف (سؤال) وأقيم المضاف إليه وهو كلمة رب مقامه فنصب"[6].

تلك بعض المباحث التي تطرق لها الشيخ الشعراوي في تفسيره وهذا يدل على مدى مدى غزارة علمه وسعة ثقافته واطلاعه، كما نتبين من خلالها قدرة الشيخ على توصيل هذه المعارف إلى غالبية الناس ولأكبر شريحة من المجتمع بأسلوبه السهل البسيط.

خامس

عنايته بأسباب النزول

1- سورة الأنعام، الآية 55.
2- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3664.
3- سورة الكهف، الآية 44.
4 - تفسير الشعراوي، ج 14 ص 8921.
5- سورة المائدة، الآية 112.
6- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3465.

قبل الحديث عن مظاهر عناية الشيخ بأسباب النزول، لا بد من الإشارة إلى مسألة هامة، وهي أن القرآن الكريم من حيث النزول ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: ما نزل ابتداء من غير سبق سبب نزول، وهذا القسم غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، وإنما هو لمحض هداية الخلق وهو كثير في كتاب الله المجيد.

والقسم الثاني: هو ما نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة، أي نزل عقب واقعة أو سؤال، وهذا القسم قليل في القرآن الكريم إذا ما قورن بالقسم الأول. وقد ذكر الدكتور محمد حمد زغلول أنه قام بإحصاء الآيات التي لها سبب نزول حسب ما ورد في كتاب "أسباب النزول للواحدي" فوجد أن عددها (599) آية بالإضافة إلى سبب نزول سورة الفاتحة والمعوذتين، من بين آيات القرآن الكريم التي بلغ عددها (6236) آية على طريقة الكوفيين"[1].

وسبب النزول هو "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، كأن تقع حادثة أو يوجه إلى النبي ﷺ سؤال فتنزل الآية أو الآيات فيما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، فيقال بعد ذلك في هذه الآية أو الآيات سبب نزولها كذا..."[2].

ولا يخفى على الدارسين القيمة العلمية لمعرفة سبب النزول، فإن لها فوائد جمة قد ذكرت في كتب علوم القرآن والتفاسير وغيرها، فمن أراد التفصيل فليراجعها في مظانها[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[4]

ولمزيد من التوضيح سأقتصر على ما ذكره الدكتور فتحي الدريني بقوله: "اقتضاء صحة التفسير وعلميته "للمأثور" أمر تقتضيه ظروف تنزيله منجما على مدى ثلاث وعشرين عاما تقريبا، إذ احتفت ببعض آيه ظروف ومناسبات، يطلق عليها "أسباب النزول" مما لم يتح لغير من عاصر التنزيل مشاهدتها، والوقوف على دقائقها، كما يطلق عليها بعض من تخصص في علم أسباب النزول "القصة التشريعية" وهي عنصر بالغ الأهمية من عناصر ثقافة المفسر، إذ تسدد خطاه في تعيين المعنى المراد، فكانت القرائن الدالة عليه، دون أن يكون لها من أثر على تكييف

1- محمد حمد زغلول، التفسير بالرأي قواعده وضوابطه وأعلامه، مكتبة الفارابي، دمشق، ط1، 1420هـ/1999م، ص17.

2- ينظر: مناهل العرفان للزرقاني، ج 1 ص 95 .

3- ينظر: محمد حمد زغلول، التفسير بالرأي قواعده وضوابطه وأعلامه، ص من 19 إلى ص 25.

4- مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 13 ص181.

النص القرآني، في قصر شمول معناه، أو عموم حكمه، أو تقييد إطلاقه، وإنما هي مجرد قرائن، أو دوال للاستيضاح فحسب"[1].

ويضيف قائلا: "ومعلوم أن هذه المناسبات لا يمكن الوقوف عليها بالنسبة للأجيال الخالفة من العلماء، أو تصويرها إلا عن طريق "النقول المأثورة" فكان هذا العنصر الأثري إذن أساسيا في قوام تفسير المفسر، بالنسبة إلى الآي التي احتفت بها مثل تلك الظروف والمناسبات، لما تلقى من ضوء على المراد من معنى النص، ولا سيما إذا كان النص القرآني ذا وجوه من المعاني، أو يحتمل دلالات، فكان "سبب النزول" أنه قرينة على تعيين مراد الشارع منها، أو ترجيحه على الأقل"[2].

وقد عني الشعراوي كغيره من المفسرين بسبب النزول، إلا أنه يغلب عليه الاختصار في إيرادها، كما أنه لم يورد سبب نزول كثير من الآيات في تفسيره، بينما نجده في مواضع أخرى يشير إليها إشارات عابرة. وسأحاول فيما يلي عرض نماذج من تفسيره للوقوف على مدى عنايته بهذا الجانب.

1-ذكره السبب بروايته:

من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[3].

يقول "إنهم يريدون الحُكم السهل الهين اللين. وقال البعض: إن سبب نزول هذه الآية هي قصة القَوَد. والقود هو القصاص، وقصة القود في إيجاز هي -كما رواها الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن عباس ﷺ- أن طائفتين من اليهود هما بنو النضير وبنو قريظة كانتا قد تحاربتا في الجاهلية، فقهرت بنو النّضير بني قريظة، فكانت النّضير وهي العزيزة إذا قتلت أحدا من بني قريظة وهي الذليلة لم يُقِيدوهم أي لم يعطوهم القاتل ليقتلوه بقتيلهم. إنما يعطونهم

1- فتحي الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 127.

2- المرجع نفسه ، ص 128.

3- سورة المائدة، الآية 41.

الديَّة. وكانت قريظة إذا قتلت أحدا من بني النضير لم يرضوا منهم إلا بالقود. فلما قدم النبي ﷺ المدينة تحاكموا إليه في هذا الأمر فحكم بالتسوية بينهم، فساءهم ذلك و لم يقبلوا"[1].

وفي موضع آخر يقول: "...عن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت كثيرا أسمع رسول الله يقرؤها لم أجدها عند أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﷺ الذي جعل رسول الله شهادته شهادة رجلين ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا**﴾ثم يورد القصة من صحيح البخاري كاملة [2].

هذه الآية لم يوجد من يحفظها إلا خزيمة بن ثابت وعندما ثار الجدل حول تدوينها ذكر قول رسول الله ﷺ **{من شهد له خزيمة فحسبه}**"[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[4]. يقول: "...الحديث عن الكلالة: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً**﴾[5]. إلا أن الذي تقدم هناك كان عن الصلة من ناحية الأم، وسؤال جابر بن عبد الله كان عن الصلة من ناحية الأب فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: **{مرضت مرضا فأتاني النبيّ ﷺ وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي عليّ، فتوضأ النبيّ ﷺ ثم صبّ وَضوءه عليّ فأفقت فإذا النبيّ ﷺ فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث}**[6]...."[7].

2-الاقتصار على ذكر سبب النزول .

1- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 3147 .

2- ينظر: تفسير الشعراوي ،ج1 ص 12 .

3- المصدر نفسه، ج1 ص12، والحديث سبق تخريجه.

4- سورة النساء، الآية 176.

5- سورة النساء، الآية 12.

6- أخرجه البخاري في صحيحه، باب عيادة المغمى عليه، رقم: 5651، ص 1445.

7- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2885 .

يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾[1].

"...وعندما غفل الناس عن عبادة الله، ودخلت عبادة الأصنام في الجزيرة العربية أوجدوا على جبل الصفا صنما أسموه "إسافا" وعلى المروة صنما أسموه "نائلة". وكانوا يترددون بين إساف ونائلة، لا بين الصفا والمروة، لقد نقلوا العبادة من خالصية التوحيد إلى شائبية الوثنية.

فلما جاء الإسلام أراد الله ألا يوجه المسلمين في صلاتهم إلى البيت المحرم إلا بعد أن يطهر البيت ويجعله خالصا لله، فلما ذهب بعض المؤمنين إلى الكعبة تحرجوا أن يسعوا بين الصفا والمروة، لأن "إسافا" و "نائلة" فوق الجبلين، فكأنهم أرادوا أن يقطعوا كل صلتهم بعادات الجاهلية، واستكبر إيمانهم أن يترددوا بين "إساف" و "نائلة"، فأنزل الله قوله الحق: ﴿**إِنَّ الصفا والمروة مِن شَعَآئِرِ الله فَمَنْ حَجَّ البيت أَوِ اعتمر فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ الله شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾، أي لا تتحرجوا في هذا الأمر لأنكم ستسعون بين الصفا والمروة، لا بين إساف ونائلة كما كان يفعل المشركون الوثنيون، إذن فالعمل هنا كان بالنية "[2].

-ذكر السبب وربطه ببيان الحكم الشرعي:

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3].

يقول: "لقد أنزل الحق هذه الآية ليُطَمْئن المؤمنين السائلين عن الحكم في إخوانهم، الذين ماتوا أو استشهدوا وكانوا يشربون الخمر قبل نزول الحكم بتحريمها ﴿**لَيْسَ عَلَى الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جُنَاحٌ فِيمَا طعموا**﴾ و"طعموا" لا تخص الطعام فقط ولكن تشمل وتضم الشراب أيضاً، فالحق يقول: ﴿**إِنَّ الله مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مني**﴾[4].

1- سورة البقرة، الآية 158.

2- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 683.

3- سورة المائدة، الآية 93.

4- سورة البقرة، الآية 249.

وعلى ذلك فالماء طعام، بمعنى أن طعمه يكون في الفم. وهكذا عرف المسلمون السائلون عن إخوانهم الذين ماتوا أو استشهدوا أن إسلامهم كان مقصوراً على الأحكام التي نزلت في أثناء حياتهم، فقد نفذوا المطلوب منهم بعدم عبادة الأصنام. وقد يكون منهم من مات قبل أن تفرض الصلاة، أو مات قبل أن تنزل أحكام الزكاة أو الصوم، ولذلك لم يفعلوها. وعلى ذلك يكون عملهم الصالح هو تنفيذ التعاليم التي نزلت إليهم. لقد اتقوا الله فنفذوا مطلوب الإيمان على قدر ما طلب منهم الحق، آمنوا بالإله المكلِّف وجعلوا بينهم وبين الله وقاية بأن نفذوا مطلوبه سبحانه أمرا ونهياً"[1] .

ويقول في تفسير قول الحق:﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[2].

"...ولنا في الرسول ﷺ الأسوة الحسنة، فقد حدث أن "طعمة ابن أُبيرق" أحد بني ظُفر سرق درعا من جار له اسمه "قتادة بن النعمان"، في جراب دقيق والاثنان مسلمان، إلا أن منافذ الحق لمرتكب الجريمة ضيقة مهما ظن اتساعها، مثلما نقول: "الجريمة لا تفيد"، فوضع الدرع المسروقة في جراب كان فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب وهو يسير من بيت قتادة بن النعمان، وخبأ الدرع عند يهودي اسمه "زيد بن السمين"، فلما فطن قتادة بن النعمان لضياع الدرع قال: سرق الدرع. سرق الدرع. فتتبعوا الأثر فوجدوه إلى بيت طعمة ابن أبيرق، فحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه. فتتبعوا الأثر ثانية فوجدوا الدرع عند اليهودي "زيد بن السمين" فقال اليهودي دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود، ورفع الأمر إلى رسول الله ﷺ، وجاء بنو ظفر إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرىء اليهودي، فهم رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي فأنزل الله عليه حكمه الفصل: ﴿**إِنَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس بِمَآ أَرَاكَ الله وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً * واستغفر الله إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الذين يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً**﴾[3]. أي لا تكن يا محمد مدافعاً عن الخائنين، واستغفر الله إن كان هذا الخاطر قد جال برأسك بأن ترفع رأس مسلم على يهودي،

1- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3394.

2- سورة النساء، الآية 58.

3- سورة النساء، الآية 105-107.

لأن الحق أولى من المسلم، فما دام هو قبل أن يخون فلا تجادل عنه، ولماذا طلب بنو ظفر التغاضي عن جريمة مسلم وإلصاقها بيهودي؟ أيستخفون من الناس ولا يستخفون من الله؟ وافرض أن هذه برأتهم عند الناس. أتبرئهم عند الله؟ ويقول في آية أخرى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هؤلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحياة الدنيا فَمَن يُجَادِلُ الله عَنْهُمْ يَوْمَ القيامة**﴾[1]. "[2].

وفي قوله تعالى:﴿**يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيۤ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[3].

"...وسبب نزول آية سورة المائدة ﴿**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيۤ أَيْمَانِكُمْ**﴾ أن الصحابة الذين حرموا على أنفسهم طيبات المطاعم والملابس والمناكح، وحلفوا على ذلك فلما نزل قوله تعالى:﴿**يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيۤ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[4].

قالوا: كيف نصنع بأيماننا؟ فنزلت هذه الآية أي أن تحريم الحلال لغو لا كفارة فيه، ونعلم أن الإنسان لا يصح له أن يحلف على شيء ليس له دخل فيه، كقول إنسان ما: والله لن أصلي. إن مثل هذه اليمين لا تنعقد، ولذلك لا كفارة لها. لكن إن قال: والله لأشربن الخمر. هنا نقول له: امتثل إلى ما جاء في حديث رسول الله ﷺ: **{من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه}**[5]. والحق ﷻ يقول: ﴿**وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلأَيْمَانَ**﴾ إذن فهناك استدراك يتعلق باليمين المؤكدة وهي تستدعي المؤاخذة"[6].

4-إغفاله الحديث عن سبب النزول في بعض المواضع

وعلى الرغم من أن الشعراوي كان يورد أحيانا أسباب نزول الآيات غير أنه في بعض من المواضع لم يشر إليها إطلاقا من ذلك: تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ**

1- سورة النساء، الآية 109.

2- تفسير الشعراوي، ج 4 ص 2361.

3- سورة المائدة، الآية 87-88.

4- سورة المائدة، الآية 87-88 .

5- أخرجه مسلم في صحيحه، باب: ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير، رقم:1650، ص 674.

6- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3368 .

﴿بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]. لم يشر إلى سبب نزولها مع أن السبب أورده البخاري في صحيحه عن حذيفة قال: نزلت في النفقة"[2].

و في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[3].

فقد ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم- مواسم الحج- فنزلت الآية" [4].

ومع ذلك فإننا نخلص إلى أن الشيخ الشعراوي كان مقلا في هذا الجانب إذا ما قورن بكتب التفسير الأخرى، وحتى ما أورده في بعض الآيات ربما كان يحتاج إلى الدقة والتخريج الكافيين، زيادة على خلو تفسير الشيخ من الإحالات على مصادر ذكر تلك الأسباب. غير أن هذا لا يعني التقليل من جهد الشيخ ومن عطاءه المتميز.

الفصل الثالث

الأساس اللغوي و البلاغي في تفسير الشعراوي

أولا الأساس اللغوي:

تعتبر اللغة بشتى فروعها من أهم الأسس التي اعتمدها الشعراوي في تفسيره اعتمادا كبيرا، فالشيخ من الذين أوتوا ملكة قوية في اللغة ويكاد هذا الجانب يطغى على تفسيره، فلا يكاد يفسر آية قرآنية حتى يشرح ألفاظها و يذلل معانيها. خاصة وأن تفسيره كان تفسيرا شفهيا موجها لعامة الناس، مما جعله في كثير من الأحيان يحرص على تبسيط الأفكار وتذليل المعاني، فمنهجه في التفسير" أول ما يقوم على التحليل اللغوي للكلمة وتأصيلها وبيان مشتقاتها ومعانيها، وبيان المعنى المراد منها في سياق الآيات القرآنية الكريمة"[5].

1- سورة البقرة، الآية 195.

2- صحيح البخاري، كتاب التفسير رقم: 4516، ص 1104.

3- سورة البقرة، الآية 198.

4- صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم: 4519، ص 1104.

5 – الإمام الشعراوي مفسرا و داعية، أحمد عمر هاشه. ص 51

وتظهر أهمية هذا الجانب في تفسير الشعراوي من حيث اشتراط العلماء معرفة العربية، والإحاطة بعلوم اللغة أساسا للخائض غمار تفسير كتاب الله ﷻ، وليس ذلك ببعيد عن شخصية الشيخ الشعراوي الذي طاوعته اللغة العربية ودانت له، وكانت وسيلته الأنجع في تبسيط معاني القرآن، وتقديمها بشكل سلس يفهمه العامة والخاصة.

وقد نبه العلماء إلى ذلك فقد روي عن الإمام مالك بن أنس ﷺ قوله:" لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بالعربية إلا جعلته نكالا"[1].

وروى عكرمة[2] عن ابن عباس قال: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه"[3].

وقال السيوطي:" قال العلماء : يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة. ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات"[4].

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور:" أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم، وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم،كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها.

1 – أنظر البيهقي في شعب الايمان: ج 1 ص 292

2 – هو عكرمة بن عبد الله البربري (– 105 هـ) تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير و المغازي، انظر ترجمته: الأعلام ج4 ص 244، و وفيات الأعيان ج 3 ص 265، 266

3 – البرهان للزركشي، ج 1 ص 293

4 – الاتفاق للسيوطي ج 2 ص: 488

إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم"[1].

إن من أبرز ما يتميز به الشعراوي في هذا المجال بيان معاني المفردات القرآنية وأساليب استعمالها، وهو يتفنن في ذلك ويتوسع فيه توسعا كبيرا، يدل على مدى تمكنه من اللغة العربية وتبحره في علومها، ودقته في الاستدلال على المعنى المراد، وصحة حمل الألفاظ على الاستعمال.

أهمية التفسير اللغوي

إن من البديهي والمتعارف عليه "في تاريخ الدراسات القرآنية، أن من القضايا المنهجية المسلم بها في علم التفسير،- التي اعتمدها جميع المفسرين بكل اتجاهاتهم بدرجات متفاوتة- هو أن الدليل اللغوي يعتبر الطريق الأول إلى فهم آي القرآن الكريم، وبتعبير آخر فإنه لا يمكن أن يقوم أي تفسير-أيا كان نوعه وطبيعته-إلا باعتماد اللغة أولا".

فمكانة اللغة من التفسير مكانة عظيمة، منذ نشأة هذا العلم واهتمام السلف به، وقد ظل الناس يعلمون للغة قدرها في علم التفسير بين العلوم الشرعية كلها " وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية بين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع".

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى تعلم اللغة العربية بغية فهم القرآن وتدبر معانيه، ومعرفة أحكامه وتشريعاته، إذ هي وسيلة فهم المراد من خطاب الله تعالى لعباده. وليس لأحد أن يدخل هذا الباب من غير مؤهل، لأن الانحراف عن الحق والصواب في مثل هذه المسائل يكون تقولا على الله بغير علم ولا هدى. ومن هنا كان لابد من تعلم اللغة العربية، كشرط يجب توفره في المفسر بجانب الشروط الأخرى المعروفة مثل معرفة علوم القرآن، الناسخ والمنسوخ، والقراءات وعلوم الحديث والأصول والعقيدة وغيرها، يقول مجاهد: "[2] لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[3].

---

1 - التحرير و التنوير لابن عاشور ج1 ص: 18

2 - هو مجاهد بن حبر المكي (- 104 هـ) أبو الحجاج تابعي مفسر من أهل شيخ القراء و المفسرين.

3 - البرهان الزركشي ج 1 ص: 292.

وبالرغم من أهمية اللغة العربية في التفسير، إلا أن التفسير اللغوي له ضوابط على المفسر التقيد بها إذ " لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل، -ويفسر- بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأم مراد القرآن غيره"[1].

وعلى المفسر أن يحذر" أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية، كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي"[2].

المفردة القرآنية في تفسير الشعراوي:

إن الاهتمام بالمفردة القرآنية ليس أمرا حديثا عند المفسرين المتأخرين، فقد كان للدراسة المعجمية للمفردة القرآنية، عناية كبرى في تاريخ الثقافة اللغوية الإسلامية. بدءا من عهد النبي ﷺ، الذي علم أصحابه مكانة الكلمة، وأصالتها ودقتها في إصابة المفهوم المقصود، حينما قال لأصحابه ﷺ: **{لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِى وَلْيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِى}**[3].

وليس الشعراوي بدعا في الاحتفاء بالمفردة القرآنية، وإيلائها المكانة المستحقة في عمله التفسيري، بل سبقه إلى ذلك مفسرون كثر ممن ينتمون إلى هذا الاتجاه، غير أنه مما يجدر التنويه به هو أن الشعراوي أثناء تطرقه لشرح المفردات، كان يبتعد عن طريقة أصحاب المعاجم اللغوية، ويعطي رؤية خاصة في تعامله مع المفردة القرآنية، حيث كان يرمي من وراء ذلك " الاهتمام بدراسة البنية الشكلية للوحدات المعجمية من حيث صيغتها، أو أصلها الاشتقاقي، أو عناصرها المكونة لها من ناحية، ويهتم من ناحية أخرى بالجانب الدلالي، فيدرس هذه الوحدات من حيث دلالتها المعجمية العامة، ودلالتها الخاصة التي تكتسبها بالتطور أو بالاستخدام في

1 – التفسير القيم لابن القيم دار الهلال ص: 1 بيروت 1990، ص: 277

2 – مقدمة نفسير القرطبي ج 1 ص: 34.

3 – رواه مسلم، حديث رقم 2251، ص:888.

المجالات والحقول المختلفة، ويهتم على الخصوص بدراسة اللفظ في علاقته بغيره من الألفاظ، كعلاقة الترادف أو التضاد أو الاشتراك، وغير ذلك من الموضوعات الشبيهة بما ذكر"[1].

لقد تعامل الشيخ الشعراوي مع اللفظ القرآني وكأنه كائن حي يتأمل قسماته، ويجس نبضه، ويستمع إلى خلجاته، لذلك تجده في كثير من الألفاظ، يأتي منها بما لا نعلم، لمناسبة يلحظها في السياق، أو في التراكيب. واللغة العربية لغة معطاءة، تجيء بكثير من المعاني متى وقف الدارس أمامها وقفة المتفرس، وكان ذا شفافية يصل بها إلى المستكن الدفين.

من أولويات المفسر دراسة المفردة القرآنية

لم يجد المفسرون قديما ولا حديثا بدا من التعامل مع النص القرآني انطلاقا من وحداته المفردة، وأعني بذلك شرح المفردات، لأنها مفتاح فهم النص" فإن النظر في مفردات النص القرآني من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه، لأنها مفتاح النص، وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات، وكلما أحس الدارس هذه الوقفات، واستشف من المفردات، كلما تعطيه وتلوح به من معنى روحي ورمزي،كان أقدر على الاندماج والمشاركة، وبهذا يصل نفسه بنفس منشئه، ويحلق في آفاقه وخطراته، ويملك تجربته كاملة، وحينما يصل المفسر إلى هذه الدرجة فقد وصل إلى ما ينبغي أن يصل إليه"[2].

فلا يحق لمن لم يتعمّق في دراسة لغة القرآن أن يتصدى لتفسيره، وفي هذا قال الإمام الزركشي: " واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفى فى حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر"[3].

وقال الراغب الأصفهاني في مقدمة المفردات: " إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من

1 – قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، د/عبد العلي الودغيري ص: 04.

2 – البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري –محمد حسين أبو موسي، دار الفكر العربي القاهرة، ص: 261.

3 – البرهان في علوم للقرآن للزركشي، ج1 ص: 295.

علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكام وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة "[1].

طريقة الشعراوي في شرح المفردات.

لقد كانت عناية الشيخ الشعراوي بالمفردة القرآنية عناية خاصة، سار فيها على نهج سابقيه من علماء التفسير، ولقد تعددت مظاهر هذه العناية وتجلت ملامحها في موسوعته التفسيرية، وهو ما سأحاول أن أورد نماذج وأمثلة عنه فيما يلي:

1- ذكر ه الخلاف في المفردة ثم ترجيح المعنى الأقرب في تفسيراللآية

فمثلا في تفسير قوله تعالى:﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**[2]﴾ يقول الشعراوي:"... وأخذت كلمة "مُقيتاً" من العلماء أبحاثاً مستفيضة. فعالم قال في معناها: إن الحق شهيد، وقال آخر: "إن الحق حسيب"، وقال ثالث: إن "مقيتاً" معناها "مانح القوت" ورابع قال: "إنه حفيظ" وخامس قال:" إنه رقيب". ونقول لهم جميعاً: لا داعي للخلاف في هذه المسألة، فهناك فرق بين تفسير اللفظ بلازم من لوازمه وقد تتعدد اللوازم، فكل معنى من هذه المعاني قد يكون صحيحاً، ولكن المعنى الجامع هو الذي يكون من مادة الكلمة ذاتها. و "مُقيت" من "قاته" أي أعطاه القوت، ولماذا يعطيهم القوت؟ ليحافظ على حياتهم، فهو مقيت بمعنى أنه يعطيهم ما يحفظ حياتهم، ومعناها أيضاً: المحافظ عليهم فهو الحفيظ... إذن كل هذه المعاني متداخلة ومتلازمة، لذلك لا نقول اختلف العلماء في هذا المعنى، ولكن لنقل إن كل عالم لاحظ ملحظاً في الكلمة "[3].

1 – المفردات للراغب الصبهاني طبعة دار القلم، دمشق ط في 1998 ج1 ص: 53.

2 – سورة النساء، الآية 85.

3 – تفسير الشعراوي ج 4 ص: 2502

2- ضرب الأمثلة لتبسيط معنى المفردة القرآنية :

من ذلك شرحه لكلمة"يدعون" في تفسير قوله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[1] يقول:" ولذلك نجد التعبير القرآني: ﴿ **يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا**﴾[2] هناك من يدفعهم إلى النار دفعا، وفي حياتنا-وله المثل الأعلى- نجد الشرطي يمسك بالمجرم من ملابسة ويدفعه إلى السجن، ذلك هو الدع وهكذا يكون قول الحق: ﴿**وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ**﴾ بضم التاء وفتح الجيم، أي أنه مدفوع بقوة قاهرة إلى النهاية، أما المؤمن الواثق فهو يهرول إلى آخرته مشتاقا لوجه ربه"[3].

3- توظيف المعاني الدلالية في شرح المفردة القرآنية:

يتجه الشعراوي أحيانا إلى الربط بين المفردة القرآنية ومعناها الدلالي، ثم بعد ذلك يسقط هذا المعنى في إطار السياق على المعنى المراد، بطريقة سلسة تشد الانتباه. مثال ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـــذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾[4] يقول :"وسوس" مأخوذة من الصوت المغري، لأن الوسوسة هي صوت رنين الذهب والحلي، إذن فما قاله الشيطان لآدم وزوجه هو كلام مغر ليلفتهما عن أوامر رب حكيم"[5] .

ويربط الشعراوي المفردة القرآنية من جانب آخر بمعناها الدلالي الأول، ذلك أن كثيرا من المفردات اكتسبت معان جديدة في ظل التطور الدلالي" هذا التطور الذي يحصل في المعجم هو ما يستدعي كثرة الشروح وتراكمها، وتعددها خلال دراسة المادة المعجمية الواحدة، كما أن من سمات هذا التطور الدلالي أنه يسير ببطء وتدرج، فتغيير مدلول الكلمة مثلا لا يتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتا طويلا ويحدث عادة في صور تدريجية، فينتقل إلى معنى قريب منه، وهكذا إلى ثالث متصل به...وهكذا دواليك حتى تصل الكلمة أحيانا إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول".

---

1 - سورة آل عمران، الآية 109.

2 - سور الطور، الآية 109.

3 - تفسير الشعراوي ج03 ص: 1684.

4 - سورة الأعراف، الآية 20.

5 - تفسير الشعراوي ج7 ص: 4084.

و مثال ذلك كلمة "تعالوا" في قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [1] يقول الشعراوي: " وساعة يطلب الحق منا أن ننصت لإنزال حكم يقول لنا ﷻ: ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [2] و معنى "تعالوا" أي ارتفعوا، لأننا نعيش على الأرض، وإياكم أن تشرع الأرض لكم، لأن تشريع الأرض إذا لم يكن في ضوء منهج الله فهو حضيض. والله يريد تشريعا عاليا، ولا بد لكم من أن تتلقوا من السماء أحكامكم، حتى لا تتيهوا ولا تضلوا في باطل تشريعات لا تدور في إطار منهج الله" . فانظر إلى هذا التخريج الدلالي لتلك المفردة القرآنية.

4- **التوسع في شرح المفردات القرآنية:** وتلك ميزة ظاهرة في تفسيره، حيث يغلب عليه التوسع في شرح المفردات توسعا ملحوظا يظهر بشكل واضح وجلي، ومثال ذلك شرحه للمفردة"عرض" من قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**[3]﴾ .

وكلمة "عرض" إذا ما سمعناها، فلنعلم أنها في المعنى اللغوي: كل ما يعرض ويزول وليس له دوام أو استقرار أو ثبات... وكل شيء يمكن أن يذهب في الإنسان ويجيء هو عرض بالنسبة للإنسان، ويكون الإنسان جوهراً بالنسبة له. فإذا قسنا الإنسان بالنسبة إلى ثابت عنه، فالإنسان عرض، فهذا أمر نسبي، وإلاّ فكل شيء عرض، وكل شيء زائل ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ ألقى إِلَيْكُمُ السلام لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحياة الدنيا**﴾ وعرض الحياة الدنيا هنا هو أن يطمع القاتل فيما يملكه الذي يلقي السلام، وقد يكون عرض الحياة الدنيا –هنا– هو كبرياء نفس الإنسان عندما ينتقم من إنسان بينه وبينه إحن أو بغضاء .

1 – سورة الأنعام، الآية 92.

2 – سورة الأنعام، الآية 151.

3 – سورة النساء، الآية 94.

وعندما نجد كلمة "عرض" وهذا العرض في "الحياة الدنيا" نفهم –إذن– أنه عرض فيما لا قيمة له، ولذلك نجد الشاعر يعبر عن مشاعر الإنسان حينما يحزن لفقدان شيء كان عنده، وينسى الإنسان أنه هو شخصياً معرض للموت، أي للذهاب عن الدنيا فيقول:

نفسي التي تملك الأشياء ذاهبة ..... فكيف آسي على شيء لها ذهبا

وكذلك عرض الحياة الدنيا ونفهم كلمة "دنيا" على أساس الاشتقاق، فهي من "الدنو" ومقابله "العلو" ومقابل "الدنيا" هو" العليا". ومن يُقوِّم عرض الحياة الدنيا التقويم الصحيح فهو يملك الذكاء والحكمة والفطنة، لذلك لا يأخذ هذا العرض ممن سيقتله عندما يلقي إليه بالسلام، لأنه يستخدم البصيرة الإيمانية ويأخذ الحياة الدنيا ممن خلقها." [1]

من مظاهر التوسع في شرح المفردات الإشارة إلى الفروق بينها.

ومثال ذلك في تفسيره قوله تعالى :﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [2] يقول: "...ونلاحظ أن كلمة" يرقبون" غير "ينظرون"، وغير "يبصرون"، وهي أيضا غير "يلمحون" وغير "يرمقون"، مع أنها كلها تؤدي معنى الرؤية بالعين، ولكن يرقب تعني يتأمل ويتفحص باهتمام حتى لا تفوته حركة، لذلك إذا قلنا : إن فلانا يراقب فلانا، أي لا تفوته حركة من حركاته وهو ينظر لكل حركة تصدر منه. أما كلمة "نظر" فتعني رأى بجميع عينيه، وكلمة "لمح" تعني رأى بمؤخر عينيه،"رمق" أي رأى من أعلى .وقوله سبحانه وتعالى:﴿**لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾ يعني لا يراعون فيكم عهداً ..."." [3]

5- التركيز على المعنى الاشتقاقي للمفردة

يهتم الشيخ الشعراوي بإبراز المعنى الاشتقاقي للمفردة القرآنية، وعادة ما يربطه بالسياق حتى يدلل على دقة الأسلوب القرآني في توظيف تلك المفردة، ومدى انسجامها مع أخواتها في الآية الواحدة، فمثلا في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا**

1 – تفسير الشعراوي ج4 ص: 2570.

2 – سورة التوبة، الآية 08.

3 – تفسير الشعراوي ص: 4901.

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ[1]﴾ يقول:" وكلمة "القسط" تأتي منها اشتقاقات كثيرة، وهي من الألفاظ التي قد تدل على العدل وقد تدل على الجور،...وهذا من محاسن اللغة، ويتطلب ذلك أن يمحص السامع الكلمة ويتعرف على معناها بما يتطلبه السياق .

"وقَسَطَ" معناها "عدل"، والفعل المضارع لها هو يقسط، والمصدر "قِسطا"، ومرة يكون المصدر "قُسوطا". والمصدر هو الذي قد يحول المعنى من العدل إلى الجور. فالقِسط بمعنى العدل .وقَسَطَ يَقْسِطُ قُسُوطاً ،أي جار وظلم. هنا نجد الفعل يأتي بالمعنى وضده، حتى يمتلك السامع اليقظة والفطنة التي تجعله يعرف التمييز بين معنى العدل ومعنى الجور.

وحين نقول"أقسط" فإنها بمعنى عدل، وهنا ننتبه إلى ما يلي: أن هناك فرقاً بين عَدْلٍ يأتي من أول الأمر وذلك هو القِسط، وهناك حكم ظالم يحتاج إلى حكمٍ آخر يزيل الظلم. وذلك الذي نستعمل له"أقسط" أي أزال الظلم، فكأن جوراً كان موجوداً وأزاله الحكم. فالقِسط -إذن- هو العدل الابتدائي، ولذلك نسمع قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ **وَأَمَّا القاسطون فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً**﴾. والقاسطون هنا هم الظالمون، فالقسط هنا من قسط يقسط قُسوطا. وفي الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها يقول الحق:﴿ **شُهَدَآءَ بالقسط**﴾ أي شهداء بالعدل. واللباقة في السامع هي التي توجه اللفظ إلى معناه المراد من خلال السياق، فالسامع للقرآن يفترض فيه الأريحية اللغوية بحيث يستطيع أن يفرق بين الشيء والمشابه له من شيء آخر.

إذن فهناك قسط وأقسط، قسط بمعنى عدل، وأقسط بمعنى أقام القسط بإزالة الجور. والقسوط معناه الجور. والحق يقول:﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المقسطين**﴾ و "المقسطين" هي جمع" مُقسط "، من: أقسط أي أزال الظلم والجور إذن فالذي يرجح المعنى هنا سياق الكلمة ومصدرها. وقد يراد بالكلمة المعنى المصدري. والمعنى المصدري لا يختلف باختلاف منطوقه، فيقال:"رجل عدل" ويقال: "امرأة عدل" ويقال: "رجلان عدل"، ويقال: "امرأتان عدل"، و"رجال عدل" ،و"نساء عدل".[2]

1 - سورة المائدة الآية 08

2 - تفسير الشعراوي ص: 2978.

6- تطرقه إلى اللغات: لا يفوت الشعراوي أثناء تفسيره للآيات أن يتعرض للغات العرب في نطق بعض المفردات، مع تعليل ذلك ونسبة تلك اللغة إلى الناطقين بها، ولكن هذا ليس بالكثير في تفسيره.

-ومثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**[1]﴾. "والله سبحانه وتعالى ساعة يستعمل كلمة "يشري" يجب أن نلاحظ أنها من الأفعال التي تستخدم في الشيء ومقابله، فـــ"شرى" يعني أيضا "باع" إذن كلمة "شرى" لها معنيان، واقرأ إن شئت في سورة يوسف قوله تعالى:﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ**﴾ [2] أي باعوه بثمن رخيص. وتأتي أيضا بمعنى اشترى، فالشاعر العربي القديم عنترة ابن شداد يقول:

فخاض غمارها وشرى وباعا ...

إذن "شرى" لغة، تُستعمل في معنيين : إما أن تكون بمعنى "باع"، وإما أن تكون بمعنى "اشترى" ،والسياق والقرينة هما اللذان يحددان المعنى المقصود منهم فقول عنترة : "شرى وباع" نفهم أن المقصود من "شري" هنا هو "اشترى" ،لأنها مقابل "باع" .

وقوله تعالى:﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ**﴾ يوضحه سياق الآية بأنهم باعوه. وهذا من عظمة اللغة العربية، إنها لغة تريد أناسا يستقبلون اللفظ بعقل، ويجعلون السياق يتحكم في فهمهم للمعاني" .

- ومن ذلك أيضا ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**[3]﴾ بعد عرضه للقراءات فيها يقول:"....وعلى القراءة الثانية بالتشديد﴿**إنَّ هذان لساحران**﴾ فإنَّ حرف ناسخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، تقول : إنَّ زيداً مجتهدٌ، أما في الآية بهذه القراءة ﴿**إنّ هذان لساحران**﴾ جاء اسم إنَّ هذان بالرفع بالألف؛ لأنه مثنى، والقاعدة تقتضي أن نقول (هذين). فكيف يتم توجيه إنَّ المشددة الناسخة وبعدها الاسم مرفوع؟ .

قالوا : هذه لغة كنانة إحدى قبائل العرب، وكان لكل قبيلة لهجتها الخاصة ولغتها المشهورة فيقولون: جعجعة خزاعة، وطُمْطُمانيّة حِمْيَر، وتَلْتلة بَهْراء، وفحفحة هذيل....إلخ .

1 - سورة البقرة الآية 207.

2 - سورة يوسف الآية 20.

3 - سورة طه الآية 63.

ولما نزل القرآن نزل على جمهرة اللغة القرشية، لأن لغات العرب جميعها كانت تصبُّ في لغة قريش في مواسم الحج والشعر والتجارة وغيرها، فكانت لغة قريش هي السائدة بين لغات كل هذه القبائل، لذلك نزل بها القرآن، لكن الحق تبارك وتعالى أراد أن يكون للقبائل الأخرى نصيب، فجاءت بعض ألفاظ القرآن على لهجات العرب المختلفة للدلالة على أن القرآن ليس لقريش وحدها، ليجعل لها السيادة على العرب، وإنما جاء للجميع .

ومن لهجات القبائل التي نزل بها القرآن لهجة كنانة التي تلزم المثنى الألف في كل أحواله رَفْعاً ونَصْباً وجراً. وشاهدهم في كتب النحو قول شاعرهم :

وَاهَاً لِسَلْمى ثُمَّ وَاهَا وَاهَا يَا لَيْتَ عَيْناهَا لَنَا وَفَاهَـــــا

هِيَ المُنَى لَوْ أَنَّنَا نِلْناهَـــا ومَوْضِع الخُلْخال من قَدمَاهَا

إنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَـــــــا قَدْ بلغَا في المَجْدِ غَايتَاهَـــــا

فقال : إنَّ أباها. و لم يقل: إنَّ أبيها، لأنه يُلزِم المثنى الألف .

إذن : لم يترل القرآن بلغة قريش على أنها لغة سيادة، وإنما لأنها تنطوي على زُبْدة فصاحات لغات الجزيرة كلها، وكانت لغة قريش تصفَّى في مواسم الشعر والأدب في عكاظ وذى المجنّة وغيرها"

7- البحث في أصل المفردة

ومن القضايا اللغوية التي تعرض لها الشيخ في تفسيره بيانه لأصل المفردة؟ وهل في القرآن غير العربي؟ وهو خلاف قديم جديد بين العلماء.

لكن الشعراوي لم يتطرق إلى مذاهب العلماء في المسألة، إنما اكتفى بالتنبيه على عربية القرآن، وأن ما ورد من مفردات غير عربية عرّبت عن طريق الاستعمال. ولتوضيح ذلك أكثر نجده في تفسير قوله تعالى:﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾[1] يقول: "وكلمة آمين اختلف العلماء فيها،...-يقصد في عربيتها- نقول أن ورود كلمة ليست من أصل عربي في القرآن الكريم. لا ينفي أن القرآن كله عربي. بمعنى أنه إذا خوطب به العرب فهموه، وهناك ألفاظ دخلت في لغة العرب قبل أن يترل القرآن. ولكنها دارت على الألسن بحيث أصبحت عربية وألفتها الأذان العربية[2].

1 - سورة الفاتحة الآية 07.

2 - تفسير الشعراوي ج1 ص 89.

فليس المراد بالعربي هو أصل اللغة العربية وحدها، وإنما المراد أن القرآن نزل باللغة التي لها شيوع على ألسنة العرب. وما دام اللفظ قد شاع على اللسان قولا وفي الآذان سمعا. فإن الأجيال التي تستقبله لا تفرق بينه وبين غيره من الكلمات التي هي من أصل عربي. فاللفظ الجديد أصبح عربيا بالاستعمال، وعند نزول القرآن كانت الكلمة شائعة شيوع الكلمة العربية".

8- المشترك اللفظي في تفسير الشعراوي :

يعرف الشعراوي اللفظ المشترك ثم يمثل له فيقول:" المشترك: "اللفظ يكون واحدا ومعانيه تختلف حسب السياق" فمثلا كلمة قضى لها معان متعددة، ولها معنى يجمع كل معانيها. مرة يأتي بها الحق بمعنى فرغ أو انتهى. ففي قوله تعالى:﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فاذكروا الله كَذِكْرِكُمْ آبَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً**[1]﴾. ومعناها إذا انتهيتم من مناسك الحج. ومرة يقول سبحانه:﴿**فاقض مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هذه الحياة الدنيآ**[2]﴾. والمعنى افعل ما تريد. وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخيرة مِنْ أَمْرِهِمْ**[3]﴾. والمعنى هنا أنه إذا قال الله شيئا لا يترك للمؤمنين حق الاختيار. ومرة يصور الله جل جلاله الكفار في الآخرة وهم في النار يريدون أن يستريحوا من العذاب بالموت. واقرأ قوله سبحانه: ﴿**وَنَادَوْاْ يامالك لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ**[4]﴾. لِيَقْضِ علينا هنا معناها يميتنا، ومعنى آخر في قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ الشيطان لَمَّا قُضِيَ الأمر**﴾ [5]أي لما انتهى الأمر ووقع الجزاء .وفي موقع آخر قوله سبحانه: ﴿**فَلَمَّا قضى مُوسَى الأجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ**[6]﴾. قضى الأجل هنا بمعنى أتم الأجل وفي قوله تعالى:﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقسط وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**[7]﴾. أي حكم وفصل بينهم، وقوله جل جلاله:﴿**وَقَضَيْنَآ إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكتاب لَتُفْسِدُنَّ فِي**

1 – سورة البقرة الآية 200.
2 – سورة طه الآية 72.
3 – سورة الأحزاب الآية 36.
4 – سورة الاحزاب الآية 77.
5 – سورة إبراج الآية 22.
6 – سورة القصص الآية 29.
7 – سورة يونس الآية 54.

الأرض مَرَّتَيْنِ[1]﴾. بمعنى أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم. إذن "قضى" لها معان متعددة يحددها السياق. ولكن هناك معنى تلتقي فيه كل المعاني .. وهو قضى أي حكم وهذا هو المعنى الأم .إذن معنى قوله تعالى:﴿**وإِذَا قضى أَمْراً**[2]﴾ أي إذا حكم بحكم فإنه يكون. على أننا يجب أن نلاحظ قول الحق: ﴿**وَإِذَا قضى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ**﴾ [3]. معنى يقول له أن الأمر موجود عنده .موجود في علمه، ولكنه لم يصل إلى علمنا. أي أنه ليس أمرا جديدا، لأنه مادام الله سبحانه وتعالى قال: "يقول له" كأنه جل جلاله يخاطب موجودا، ولكن هذا الموجود ليس في علمنا ولا نعلم عنه شيئا. وإنما هو موجود في علم الله سبحانه وتعالى، ولذلك قيل أن لله أموراً يبديها ولا يبتديها. إنها موجودة عنده لأن الأقلام رُفِعَت، والصحف جفت، ولكنه يبديها لنا نحن الذين لا نعلمها لنعلمها".

9- بيان المعاني الشرعية والعرفية إلى جانب المعاني اللغوية

أ/ الإشارة إلى المعنى الشرعي(الحقيقة الشرعية) :

ومثال ذلك كلمة الصدقة في قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [4]يقول:"....وقول الحق سبحانه وتعالى:﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ**﴾ معناها:أن الصدقات محصورة في هؤلاء ولا تتعداهم. فمن هم هؤلاء الذين حصر الحق سبحانه وتعالى فيهم الصدقة؟ وما المراد هنا بالصدقة؟ هل هي صدقة التطوع أو الزكاة ؟ نقول: ما دام الحق سبحانه وتعالى قد حدد لها مصارف فهي الزكاة، ولسائل أن يسأل: لماذا لم يَقُل الحق سبحانه وتعالى الزكاة وقال الصدقة؟ ونقول: ألا ترى –في المجتمعات غير الإيمانية الملحدة – أن من الناس من يفكرون في إنشاء مؤسسات اجتماعية لرعاية الفقراء؟ إن عطف الإنسان على أخيه الإنسان هو أمر غريزي خلقه الله فينا جميعاً، ولذلك كان يجب أن نفهم أن الزكاة صدقة، ولو لم يشرعها الله لكان يجب أن يقدمها الإنسان لأخيه الإنسان. وحوادث الكون كلها تدل على صدق وصف الحق سبحانه وتعالى للزكاة بأنها صدقة، لأنها تأتي تطوعاً من غير المؤمن وغير الملتزم بالتشريع،

1 – سورة الإسراء الآية 04.

2 – سورة البقرة 117.

3 – سورة البقرة 117.

4 – سورة التوبة الآية 60.

ويحس القادر بالسعادة وهو يعطي لغير القادر، وعي غريزة وضعها الله في خلقه ليخفف من الشقاء في الكون.".

ب / استخدام المفردة في العرف السائد (الحقيقة العرفية)

يقول الشعراوي: "إن للعرف في تحديد ألفاظ الشارع مدخلاً، فإذا حلفت ألا تأكل لحماً وأكلت سمكا فهل تحنث؟ لا تحنث، ويمينك صادقة، رغم أن الله وصف السمك بأنه لحم طري، إلا أن العرف ساعة يُطلق اللحم لم يدخل فيه السمك. إذن فالعرف له اعتبار، لذلك فالزمخشري صاحب الكشاف يقول في هذه المسألة: "لوحلفت ألا تأكل اللحم وأكلت السمك، فإجماع العلماء على أنك لم تحنث في يمينك". وضرب مثلا آخر فقال: لو حلفت بأن تركب دابة، والكافر قد أسماه الله دابة فقال:﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [1]فهل يجوز ركوب الكافر؟ لا يجوز، فكان مقتضى الآية أنه يصح لك أن تركبه وعلق على ذلك قائلا : صحيح أن الدابة هي كل ما يدب على الأرض، إلا أن العرف خصها بذوات الأربع. لهذا كان للعرف مدخل في مسائل التحليل والتحريم. فإذا قال قائل: إن الله حرم الميتة، والسمك والجراد ميتة فلماذا نأكلها؟. نرد عليه: إن العرف جرى على أن السمك والجراد ليسا لحماً".

توظيف النحو والإعراب في تفسيره

يعتمد الشيخ الشعراوي في تفسيره للآيات القرآنية وشرحه لمفرداتها، على ثقافته النحوية العالية، إذ يعد ذلك أحد الأسس التي بنى عليها تفسيره، فالإعراب أحد دعائم الشعراوي في تفسيره، فإنك لا تكاد تمر بآية من آيات القرآن إلا وتلحظ مدى عناية الشيخ بذكر أوجه الإعراب والنحو فيها.

ولقد كان اهتمام العلماء القدامى بالإعراب واضحا وجليا، فقد عدوه ضمن الأدوات التي يتسلح بها من ينبري لتفسير الكتاب العزيز، حتى" إن بعض العلماء كان يجعل من إعراب القرآن علما، ويعده من فروع التفسير لا النحو..."[2].

ويقول عبد القاهر الجرجاني: "[3]إن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وإن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا

1 – سورة الأنفال الآية 55.

2 – كشف الظنون ج1 ص 127.

3 – هو أبو بكر عبد القادر بن عبد الحمن بن محمد الجرجاني، نسبته إلى جرجان مدينة فارسية (– 474 هـ) ينظر للاعلام للزركجي، ونعية الوعاة للسيوطي.

يتبين نقصان كلام ورجحانه، حتى يعرض عليه، والمقياس الذي يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه"[1].

بيد أن اعتماد النحو والإعراب لابد أن يكون بمقدار، وأن لا يطغى جانب النحو على جانب البيان والتفسير، والكشف عن مراد الله، لدرجة أن يصبح النص القرآني مجرد تمارين ونماذج تطبيقية للقواعد النحوية، فيفقد التفسير بذلك معناه ومقصده.

وسأحاول تقديم نماذج تترجم مدى حرص الشعراوي على هذا الجانب في تفسيره، ولعل من أبرز تلك المظاهر ما يلي:

1-إعراب الآيات القرآنية مما يدل على تحكمه في علم النحو

من ذلك تفسير قوله تعالى:﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً**﴾ [2]يقول الشعراوي:" وقد يأتي لفظ من المحتمل أن يكون أداة شرط، ويحتمل أن يكون اسما موصولا مثل قولنا: من يذاكرُ ينجحُ. بالضم فيهما، و"من" هنا هي اسم موصول، فالذي يذاكر هو من ينجح. وقد نقول: من يذاكر ينجح. بالسكون وهنا "مَن" شرطية. وفي الاسم الموصول نجد الجملة تسير على ما هي، أما إذا كانت شرطية، فهناك الجزم الذي يقتضي سكون الفعل، ويقتضي -أيضا- جوابا للشرط. و "من" تصلح أن تكون اسما موصولا، وتصلح أن تكون أداة شرط، ونتعرف -عادة- على وضعها مما يأتي بعدها. مثال ذلك قوله الحق:﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ**﴾ ونجد "يتبع" هنا عليها سكون الجزم، وهذا يدل على أن "من" شرطية.

وتختلف القراءة لو اعتبرنا "من" اسم موصول، لأن هذا يستدعي ترك الفعل "يشاقق" في وضعه كفعل مضارع مرفوع بالضمة، وكذلك يكون "يتبع" فعلا مضارعا مرفوعا بالضمة، عند ذلك نقول: "**نوليه ما تولى ونصليه**". ولكن إن اعتبرنا من " أداة شرط - وهي في هذه الآية شرطية -فلا بد من جزم الفعل فنقرأها "**ومن يشاققْ الرسول من بعد ما تبين له الهدى**". وكذلك نجزم الفعل المعطوف وهو قوله: (ويتبع) ويجزم جواب الشرط وما عطف عليه وهو قوله: (نولّه) (ونصله) والجواب وما عطف عليه مجزومان بحذف حرف العلة وهي الياء من آخره﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً**﴾ ومعنى " تَولّى"

1 - دلائل الإعجاز، ص: 87.

2 - سورة النساء الآية 115.

أي قرب، ويقال: فلان وَلِي فلان، أي صار قريباً له. ومن يتبع غير سبيل المؤمنين، فالحق لا يريده بل ويقربه من غير المؤمنين ويكله إلى أصحاب الكفر"..

2-توظيف الإعراب في بيان روعة ودقة الأسلوب القرآني في تلاؤم الألفاظ. ومثال ذلك تفسيره قول الحق سبحانه ﴿**سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [1]. يقول : "وسبحانه حين يورد كلمة في القرآن بموقعها البياني الإعرابي، فهي تؤدي المعنى الذي أراده سبحانه .والمثل هو كلمة "سلام"، فضيف إبراهيم من الملائكة:﴿**قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ**﴾ [2]وكان القياس يقتضي أن يقول هو "سلاماً" ولكنها قضية إيمانية، لذلك قال:﴿**سَلاَمٌ**﴾ فالسلام هنا لم يأْت منصوبا، بل جاء مرفوعا، لأن السلام للملائكة أمر ثابت لهم، وبذلك حياهم إبراهيم بتحية هي أحسن من التحية التي حيّوه بها. فنحن نسلّم سلاما، وهو يعني أن نتمنى حدوث الفعل، ولكن إبراهيم عليه السلام فطن إلى أن السلام أمر ثابت لهم. وهكذا الحال هنا حين تدخل الملائكة على العباد المكرمين بدخول الجنة، فهُم يقولون:﴿**سَلاَمٌ**﴾ وهي مرفوعة إعرابيا، لأن السلام أمر ثابت مستقر في الجنة، وهم قالوا ذلك، لأنهم يعلمون أن السلام أمر ثابت هناك، لا يتغير بتغير الأغيار، كما في أمر الدنيا"[3].

3-توظيف الإعراب في بيان الأحكام الفقهية:

ففي تفسير قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلاَةِ فٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَينِ...﴾ [4]يقول الشيخ الشعراوي: "لماذا إذن اختار الحق هنا هذا الأسلوب ﴿**ٱمْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ مع أن في الآية أساليب كثيرة، منها أسلوب مجرد عن الغاية، وأسلوب موجود به الغاية، وهذا الأسلوب لا هو مجرد ولا هو موجود به الغاية؟ وقال الحق:﴿**ٱمْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ ولنا أن نبحث عن كيفية استعمال حرف (الباء) التي تسبق "رءوسكم" إن "الباء" في اللغة تأتي بمعان كثيرة. قال ابن مالك في الألفية:

1 - سورة الرعد الآية 24.

2 - سورة هود الآية 69.

3 - تفسير الشعراوي ج12 ص 7300.

4 - سورة المائدة 06.

بالباء استعن وعد عوض الصق ... ومثل "مع" و "من" و "عن" بها انطق

ومقصود بها أن تعطي الحرية للمشرع، لأن الباء تأتي لمعان كثيرة، للاستعانة مثل :كتبت بالقلم، ولتعدية الفعل اللازم نحو: ذهبت بالمريض إلى الطبيب، وللتعويض مثل: اشتريت القلم بعشرين جنيها، والالتصاق نحو: مررت بخالد، وتأتي بمعنى"مع" مثل: بعتك البيت بأثاثه أي مع أثاثه، وبمعنى "من" مثل: شرب بماء النيل أي من ماء النيل، وبمعنى "عن" مثل قوله تعالى﴿**سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ وتأتي أيضا للظرفية نحو: ذهبت إلى فلان بالليل أي في الليل، وتكون السببية نحو: باجتهاد محمد منح الجائزة أي بسبب اجتهاده، إلى غير ذلك من المصاحبة نحو: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ أي سبح مصاحبا حمد ربك. إن الذي يقول: امسحوا بعض رءوسكم ولو شعرة، فهذا أمر يصلح ويكفي وتسعفه الباء لغة، والمسح يقتضي الإلصاق، والآلة الماسحة هي اليد. وهناك من يقول: نأخذ على قدر الأداة الماسحة وهي اليد أي مسح مقدار ربع الرأس"[1].

إذن كل حكم من هذه الأحكام يصلح لتمام تنفيذ حكم مسح الرأس، ولو أن الله يريدها على لون واحد لأوضح ما أراد، فإن أراد كل الرأس لقال: "امسحوا رءوسكم" كما قال﴿**فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ** ﴾ وإن كان يريد غاية محددة، لحدد كما حدد غسل اليدين إلى المرفقين"[2].

"...ويقول الحق من بعد الأمر بمسح الرأس: "وأرجلكم". وكان سياق النص يقتضي كسر اللام في "أرجلكم" ولكن الحق جاء بالأرجل معطوفة على غسل الوجه واليدين. وغير معطوفة على "برءوسكم" وهذا يعني أن الرجلين لا تدخلان في حيز المسح، إنما تدخلان في حيز الغسل. ونبه الحق بالحركة الإعرابية على أنها ليست معطوفة على الجزء المصرح بمسحه، ولكنها معطوفة على الأعضاء المطلوب غسلها. ولم يأت الحق بالممسوح في جانب والمغسول في جانب، ليدل على أن الترتيب في هذه الأركان أمر تعبدي، وإلا لجاء بالمغسول معا والممسوح معا، ويحدد الحق أيضا غسل الرجلين إلى الكعبين﴿**أَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ**﴾ والرجل تطلق على القدم، وتطلق على القدم والساق إلى أصل الفخذ. ويريد سبحانه غسل الرجلين محدودا إلى الكعبين".

1 – تفسير الشعراوي ج5 ص:2958.

2 – المصدر نفسه ج5 ص: 2960.

مباحث نحوية وصرفية في تفسير الشعراوي

- اسم الإشارة :

ومثال ذلك في تفسيره قوله تعالى:﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**[1]﴾.يقول: "...إن الحق سبحانه وتعالى يشير إلى الرسل بقوله: "تلك الرسل" و "الرسل" هي جمع لمفرد هو "رسول"، والرسول هو المكلف بالرسالة. والرسالة هي الجملة من الكلام التي تحمل معنى إلى هدف. ومادام الرسل جماعة فلماذا لم يقل الحق "هؤلاء الرسل" وقال " تلك الرسل"؟. ذلك ليدلك القرآن الكريم على أن الرسل مهما اختلفوا فهم مرسلون من قبل إله واحد وبمنهج واحد. وكما عرفنا من قبل أن الإشارة بـــ"تلك" هي إشارة لأمر بعيد. فعندما نشير إلى شيء قريب فإننا نقول: "ذا" وعندما نستخدم صيغة الإشارة مع الخطاب نقول: "ذاك" وعندما نشير إلى مؤنث فنقول: "ت" وعندما نشير إلى خطاب مؤنث: "تيك"و"اللام" كما عرفنا هنا للبعد أو للمنزلة العالية .

إذا، فقوله الحق:"تلك الرسل" هو إشارة إلى الرسل الذين يعلمهم سيدنا محمد ﷺ، أو الرسل الذين تقدموا في السياق القرآني. والسياق القرآني الذي تقدم تحدث عن موسى عليه السلام، وعن عيسى عليه السلام، وتكلم السياق عن أولي العزم من الرسل".

-صيغة المبالغة:

وهنا يقول الحق سبحانه:﴿**وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ [2]وكأن القميص كان معهم، ووضعوا عليه دماً مكذوبا، لأن الدم لا يكذب، إنما كذب من جاء بدم الشاة ووضعه على القميص. وشاء الحق سبحانه هنا أن يعطي الوصف المصدري للمبالغة، وكأن الدم نفسه هو الذي كذب، مثلما تقول"فلان عادل"، ويمكنك أن تصف إنساناً بقولك "فلان عدل" أي:كأن العدل تجسّد فيه، أو قد تقول "فلان ذو شر"، فيرد عليك آخر "بل هو الشر بعينه"، وهذه مبالغة في الحديث"[3].

-النكرة والمعرفة:

1 - سورة البقرة الآية 253.

2 - المصدر نفسه ج5 ص: 2551

3 - تفسير الشعراوي ج11 ص: 6887.

ومثاله في قوله تعالى:﴿**رَبِّ اجعَلْ هَذا بَلدًا آمِناً**[1]﴾. وتكررت في آية أخرى﴿**اجعل هذا البلد ءامنا**[2]﴾. فمرة جاءت نكرة ومرة جاء بها معرفة، إن إبراهيم حين قال:﴿**رب اجعل هذا بلدا آمنا**﴾ طلب من الله شيئين: أن يجعل هذا المكان بلدا، وأن يجعله آمنا "[3].

ثم يتساءل الشعراوي: "ما معنى أن يجعله بلدا؟...كلمة بلد حين تسمعها تنصرف إلى المدينة، والبلد هو البقعة تنشأ في الجلد فتميزه عن باقي الجلد،كأن تكون هناك بقعة بيضاء في الوجه أو الذراعين، فتكون البقعة التي ظهرت مميزة ببياض اللون والمكان، إذالم يكن فيه مباني جعلت فيه علامة تميزه عن باقي الأرض المحيطة به"[4].

-النداء

ومثال ذلك في تفسيره قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[5]يقول:"نأتي في النداء بحرف الإقبال وهو "يا" وندخله على "المُنادى" أي أنك تطلب إقباله. فهل نطلب إقباله لمجرد الإقبال أو لشيء آخر؟ مثال ذلك قول الحق:﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [6] إذن النّداء هنا لتلاوة التكليف عليهم وحين ينادي الحق سبحانه وتعالى أشرف من ناداهم وهم رسله، ونجد أنه نادى كل الرسل بمُشخَّصاتِهم العَلَمِيّة (يا آدم) والمُشَخّص العلمي هو الاسم، وهو لا يعطي وصفا إلا تشخيص الذات بدون صفاتها. وكذلك نادى الحق إبراهيم عليه السلام:﴿**يا إبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ**﴾ [7] وكذلك نادى الحق نوحاً:﴿**يانوح اهبط بِسَلَامٍ**[8]﴾. وكذلك نادى الحق موسى عليه السلام:﴿**ياموسى إني أَنَا الله**[9]﴾. وكذلك نادى الحق عيسى ابن مريم عليه السلام:﴿**ياعيسى ابن مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ**[10]﴾.كل الرسل ناداهم الحق بالمشَخّص العلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص،

1 – سورة البقرة الآية 126.
2 – سورة ابراهيم الآية 35.
3 – تفسير الشعراوي ج1 ص: 600.
4 – تفسير الشعراوي ج1 ص:600.
5 – سورة المائدة الآية 41.
6 – سورة الأنعام الآية 151.
7 – سورة الصافات الآية 104-105.
8 – سورة هود الآية 48.
9 – سورة القصص الآية 30.
10 – سورة المائدة 116.

ولكن رسول الله ﷺخاتم الرسل ما ناداه الله باسمه أبدا، إنما ناداه الله بالوصف الزائد عن مشخّصات الذات فيقول: "يا أيها الرسول"، ويقول: "يا أيها النبي" .حقًّا إنّ الجميع رُسل، ولكنه سبحانه يريد أن يبلغنا أن محمداً ﷺ هو الرسول الذي جاء ناسخاً ومؤمناً بالكُلّ، هو الذي يستحق النداء بالوصف الزائد عن مُشَخصات الذات: "يا أيها الرسول". وهو الرسول الذي تقوم عليه الساعة. ولذلك نجد خطاب الحق لرسوله دائما: "يا أيها الرسول"أو: "يا أيها النبي"، وهذا نوع من التكريم " [1].

- العطف

ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [2]"وهنا يسمى الحق ما لم يذكر اسم الله عليه بـــ"الفسق" وهو ما تشرحه الآية الأخرى وتبرزه باسم مخصوص: ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَآ أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**[3]﴾. إذن فـــ"فسقاً" معطوفة على الميتة والدم المسفوح ولحم خنزير، لكنه سبحانه فصل بين المعطوف وهو "فسقاً"، والمعطوف عليه بحكم يختص بالمعطوف عليه، وهذا الحكم هو الرجس وهكذا أخذت الثلاثة المحرمات حكم الرجس. وعطف عليها ما ذبح عليه اسم غير الله كالأصنام وهو قد جمع بين الرجس والفسق"[4].

- مباحث صرفية في تفسير الشعراوي

وفي هذا الباب يعرض الشعراوي لبعض القضايا الصرفية، مثل حديثه عن أوزان المفردات القرآنية، ومثال ذلك وزن" تَفْعُله" في تفسير قوله تعالى:

1-﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**[5]﴾ يقول:"وهذه الآية جاءت بعد آيات القتال، ومعناها: أعدوا أنفسكم للقتال في سبيل الله. وقوله الحق:﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة**﴾ تقتضي منا أن نعرف أن كلمة "تهلكة" على وزن

1 - تفسير الشعراوي ج5 ص:3139.

2 - سورة هود الآية 48.

3 - سورة الأنعام الآية 145.

4 - تفسير الشعراوي ج7 ص: 3911.

5 - سورة البقرة الآية 195.

"تَفْعُلة" ولا نظير لها في اللغة العربية إلا هذا اللفظ، لا يوجد على وزن تَفْعُلة في اللغة العربية سوى كلمة" تَهْلُكة"، والتهلكة هي الهلاك، والهلاك هو خروج الشيء عن حال إصلاحه بحيث لا يُدرى أين يذهب، ومثال ذلك هلاك الإنسان يكون بخروج روحه. والحق يقول:﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ويحيى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾ [1]فالهلاك ضد الحياة"[2].

2- في قوله تعالى:﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**﴾ [3]، "الفعل كَبْكب يعني:كبّوا مرة بعد أخرى على وجوههم، فهي تعني تكرار الكبِّ، فكلما قام كُبَّ على وجهه مرة أخرى، وهي على وزن "فعللة" الدال على التكرار كما تقول: زقزقة العصافير، ونقنقة الضفادع. والمراد هنا الأصنام تكبّ على وجوهها، وتسبق من عبدها إلى النار،كما قال تعالى:﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾ [4]وقال :"هم والغاوون" فالغاوون يسبقون من أغوَوْهم وأضلوهم، ليقطع أمل التابعين لهم في النجاة، فلو دخل التابعون أولا لقالوا: سيأتي من عبدناهم لينقذونا، لكن يجدونهم أمامهم قد سبقوهم، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القيامة فَأَوْرَدَهُمُ النار**﴾ "[5] [6].

المبحث الثاني

الاتجاه البلاغي في تفسير الشعراوي

البلاغة وعلم التفسير

تعد البلاغة القرآنية من أهم الأبحاث التي عني بها الشيخ الشعراوي أثناء تفسيره لآيات الذكر الحكيم، يظهر ذلك من خلال أسلوبه المتميز في عرض ومناقشة قضايا الإعجاز القرآني، مع تركيزه على بيان جماليات الخطاب القرآني، وأسراره البيانية ونكاته البلاغية، وذلك إيمانا منه "بأن التفسير ليس معرفة معاني القرآن فحسب، بل هو أيضا بيان لأسرار إعجازه، بل إن نفس

1 – سورة الأنفال الآية 42.

2 – تفسير الشعراوي ج2 ص: 844.

3 – سورة الشعراء الآية 94.

4 – سورة الأنبياء الآية 98.

5 سورة هود الآية 98.

6 – تفسير الشعراوي ج17 ص 10609.

معرفة معانيه لا تتم إلا لمن تمت له آلة البلاغة، وعرف وجوه الأساليب وخصائصها المعنوية، وحذق الأسباب المعينة على تميز صور الكلام البيانية "[1].

فعلم البلاغة من بين أبرز العلوم التي نبه العلماء على وظيفته في بيان معاني القرآن، قال الزركشي: "النوع الحادي والعشرون (من علوم القرآن): معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع. وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز و تأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك...و اعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة..."[2].

ولقد أكد الزمخشري على مكانة علوم البلاغة في التفسير بقوله:"علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، فالفقيه وإن بز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي إن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن ملك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة..."[3].

وقد ألمح إلى ذلك صاحب المفتاح مشددا على عواقب المتعاطي لعلم التفسير مع افتقاره إلى العلم بهما فيقول:" وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم –تعالى وتقدس– من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين –المعاني والبيان– كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل..."[4].

1 – البلاغة تطور و تاريخ شوقي ضيفن ص: 220.

2 – البرهان للزمركشي ج1 ص 312، و منهج ابن جزي في التفسير ج2 ص 666.

3 – الكشاف للزمخشري ج1 ص 7.

4 – مفتاح العلوم للسكاكشي، مطبعة اليمنية، مصر د ط 1360 هـ، ص 70.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور:"...ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير، لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار الإعجاز، ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القدم "علم دلائل الإعجاز"[1].

إن المتأمل في تفسير الشعراوي يجده قد أولى عناية خاصة بالبحث عن أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، عن طريق التنبيه إلى الأساليب البلاغية التي جاء القرآن بها، والتي لا تخرج عن عادة العرب وسننها في الكلام، وهذا ما يؤكد حقيقة أن دراسة الإعجاز في القرآن الكريم كانت العامل الأساس في ظهور علوم البلاغة العربية ونشأتها.

لقد تطرق الشعراوي في تفسيره إلى جملة من المباحث البلاغية، والتي جاءت مبثوثة في ثنايا تفسيره، وسأحاول عرض نماذج من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، حتى أبرز مدى اهتمام الشيخ الشعراوي بهذا الجانب وعنايته به.

أولا : علم البيان

1- التشبيه :

التشبيه إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر، بأداة من أدواة التشبيه ملحوظة، أو ملفوظة، وهو عند عبد القاهر الجرجاني "أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكما من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما تفصل بالنور بين الأشياء"[2].

وقد نظر البلاغيون إلى معنى كلمة (شبه) أي مثل، تقول فلان شبه فلان أي مثله، وشبهته به أي مثلته به، فالمعنيان اللغوي والاصطلاحي للتشبيه قريـــب من قريب" [3].

"وأما فائدة التشبيه من الكلام، فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في

1 – التحرير و التنوير ابن عاشور ج1 ص 19.

2 – أسرار البلاغة، الجرجاني ص 78-79.

3 – أساس البلاغة، الزمخشري ج1 ص 793.

النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه".

والتشبيه من بين الأساليب البيانية التي عني بها الشيخ الشعراوي في تفسيره، وقد أشار إليه في مواضع عدة نذكر من بينها:

-تفسيره قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** [1]﴾.

يشير إليه موضحا أن ذلك جاء على وفق عادة العرب في كلامها من ضرب الأمثال فيقول: "والأمثال جمع مثل، وهو الشبيه الذي يقرب لنا المعنى ويعطينا الحكمة، والأمثال باب من الأبواب العريقة في الأدب العربي. فالمثل أن تأتي بالشيء الذي حدث وقيل فيه قولة موجزة ومعبرة، رأى الناس أن يأخذوا هذه المقولة لكل حالة مشابهة"[2].

ثم تحدث عن الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم بقوله: "ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن الكريم في أكثر من موضع.. ليقترب من أذهاننا معنى الغيبيات التي لا نعرفها ولا نشاهدها.. ولذلك ضرب لنا الأمثال في قمة الإيمان.. وحدانية الله سبحانه وتعالى.. وضرب لنا المثل بنوره جل جلاله.. الذي لا نشهده وهو غيب عنا.. وضرب لنا الأمثال بالنسبة للكفار والمنافقين، لنعرف فساد عقيدتهم ونتنبه لها. وضرب لنا الأمثال فيما يمكن أن يفعله الكفر بالنعمة، والطغيان في الحق..." [3].

وبعد أن يعطي أمثلة مستفيضة للأمثال القرآنية، يشرع في شرح هذا المثل مبرزا حالة المنافق المتخبط في ظلمات الكفر وعدم توفقه لطريق الهداية، وأن هذا من الأمور التي غيبت عنا ولكن الله سبحانه أراد أن يشبه غير المحسوس بالمحسوس بقوله:"... فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا صورة عما في داخل قلوب المنافقين، من اضطراب وذبذبة وتردد في استقبال منهج الله، وفي الوقت نفسه ما يجري في القلوب غيب عنا. وأراد الله أن يقرب هذا المعنى إلينا فقال:﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً**﴾ أي حاول أن يوقد نارا، والذي يحاول أن يوقد نارا

1 – سورة البقرة الآية 17.

2 – تفسير الشعراوي ج1 ص 164.

3 – المصدر نفسه ج1 ص 164.

لابد أن له هدفا، والهدف قد يكون الدفء وقد يكون الطهي وقد يكون الضوء وقد يكون غير ذلك. المهم أن يكون هناك هدف لإيقاد النار.....

يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿**فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾ إن الحق سبحانه وتعالى يعطينا هذه الصورة، إنهم أوقدوا هذه النار لتعطيهم نورا يريهم طريق الإيمان، وعندما جاء هذا النور بدلا من أن يأخذوا نور الإيمان انصرفوا عنه، وعندما حدث ذلك ذهب الله بنورهم، فلم يبق في قلوبهم شيء من نور الإيمان. فهم الذين طلبوا نور الإيمان أولا، فلما استجاب الله لهم انصرفوا عنه، فكأن الفساد في ذاتهم، وكأنهم هم الذين بدأوا بالفساد، وساعة فعلوا ذلك ذهب الله بنور الإيمان من قلوبهم..."[1].

ثم يواصل كعادته في استنطاق الأسلوب القرآني واستخراج روائعه بقوله:" ونلاحظ هنا دقة التعبير القرآني في قوله تعالى:﴿**ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ ولم يقل ذهب الله بضوئهم، مع أنهم أوقدوا النار ليحصلوا على الضوء، ما هو الفرق بين الضوء والنور؟. إذا قرأنا قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ **هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً**[2]﴾. نجد أن الضوء أقوى من النور، والضوء لا يأتي إلا من إشعاع ذاتي فالشمس ذاتية الإضاءة، ولكن القمر يستقبل الضوء ويعكس النور، وقبل أن تشرق الشمس تجد في الكون نورا ولكن الضوء يأتي بعد شروق الشمس، فلو أن الحق تبارك وتعالى قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى أنه سبحانه ذهب بما يعكس النور، ولكنه أبقى لهم النور ولكن قوله تعالى:﴿**ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ معناها أنه لم يبق لهم ضوءا ولا نورا. فكأن قلوبهم يملؤها الظلام، ولذلك قال الله بعدها:﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾ لنعلم أنه لا يوجد في قلوبهم أي نور ولا ضوء إيماني. كل هذا حدث بظلمهم هم وانصرافهم عن نور الله. ونلاحظ هنا أن الحق سبحانه وتعالى لم يقل وتركهم في ظلام بل قال:"في ظلمات" أي أنها ظلمات متراكمة. ظلمات مركبة لا يستطيعون الخروج منها أبدا، فحين يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾ نفى النور عنهم. والنور لا علاقة له بالسمع ولا بالشم ولا باللمس، ولكنه قانون البصر، وانظر إلى دقة التعبير القرآني. إذا امتنع

1 – تفسير الشعراوي ج1 ص 170.

2 – سورة يونس الآية 05.

النور امتنع البصر، أي أن العين لا تبصر بذاتها، ولكنها تبصر بانعكاس النور على الأشياء ثم انعكاسه على العين"[1].

2-التشبيه التمثيلي:

"يعرف البلاغيون هذا التشبيه بأنه ما كان وجه الشبه فيه مركبا، أي وصفا منتزعا من أمرين أو عدة أمور، امتزج أحدهما بالآخر حتى يستخرج من مجموعهما صورة جديدة غير التي كانت عليه في حال الإفراد"[2]. وهذا النوع كثير في القرآن وقد عرض له الشيخ الشعراوي كثيرا من ذلك تفسير قوله تعالى:﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾ [3]

يقول: "...الحق تبارك وتعالى في هذه الآية يوضح المجهول لنا بما علم لدينا. وأهل البلاغة يقولون: في هذه الآية تشبيه تمثيل، لأنه سبحانه شبّه حال الدنيا في قصرها وسرعة زوالها بالماء الذي نزل من السماء، فارتوت به الأرض، وأنبتت ألوانا من الزروع والثمار، ولكن سرعان ما يذبل هذا النبات ويصير هشيما متفتتا تذهب به الريح. وهذه صورة كما يقولون منتزعة من متعدّد. أي: أن وجه الشبه فيها ليس شيئا واحدا، بل عدّة أشياء، فإن كان التشبيه مركّبا من أشياء متعددة فهو مثل، وإن كان تشبيه شيء مفرد بشيء مفرد يسمّونه مثل، نقول: هذا مثل هذا، لذلك قال تعالى: ﴿**فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الأمثال**[4]﴾. لأن لله تعالى المثل الأعلى "[5].

-وفي تفسير قوله تعالى﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**[6]﴾.

يقول الشعراوي: في الآية"...تشبيه تمثيلي أي أن حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر،كحال الذي استوقد نارا ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئا... "[7].

---

1 - تفسير الشعراوي ج1 ص 173/171.

2 - البلاغة عند المفسرين، رابح دوب، دار الفجر للنشور و التوزيع، القاهرة مصر ط 2، 1999 م، ص 364.

3 - سورة البقرة الآية 45.

4 - سورة النحل الآية 74.

5 - تفسير الشعراوي ج14 ص 8922.

6 - سورة البقرة الآية 17.

7 - تفسير الشعراوي ج1 ص 170.

-وفي تفسير قول الحق تبارك وتعالى:﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [1].

يقول ابن القيم: " فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك باللّه. وتعلق بغيره. ويجوز لك في هذا التشبيه أمران.

أحدهما : أن تجعله تشبيها مركبا. ويكون قد شبه من أشرك باللّه وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه نجاة. فصور حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير في الهواء، فتفرق مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة. وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

الثاني : أن يكون من التشبيه المفرق، فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به.

وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه. فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها.

وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة. والطير التي تتخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها سبحانه وتعالى عليه تؤزه أزّا، وتزعجه وتدفعه إلى مظان هلاكه. فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوى به في مكان سحيق : هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء"[2].

وغير بعيد عن هذه المعاني يفسرها الشعراوي بقوله : "...وعلى العاقل أن يتأمل مغزى هذا التصوير القرآني فيحذر هذا المصير، فهذه حال من أشرك بالله، فإن أخذت الصورة على أنها تشبيه حالة بحالة، فها هي الصورة أمامك واضحة، وإن أردت تفسيراً آخر يوضّح أجزاءها : فالسماء هي الإسلام، والطير هي الشهوات، والريح هي ريح الشيطان، يتلاعب به هنا وهناك. فأيُّ ضياع بعد هذا؟ ومن ذا الذي ينقذه من هذا المصير؟"[3].

3- التشبيه المفرد والمتعدد:

1 - سورة الحج الآية 31.

2 - تفسير القيم لابن القيم ص 384.

3 - تفسير الشعراوي ج16 ص 9807.

أشار إليه في تفسيره للآية ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [1]يقول الشعراوي: "...كلمة (مَثَلُ) وردت بمشتقاتها في القرآن الكريم مرات عدة، ومادة الميم والثاء واللام جاءت لتعبر عن معنى يجب أن نعرفه، فإذا قيل (مِثْل) بسكون الثاء، فمعناها التشبيه، لكن تشبيه مفرد بمفرد. كما في قوله تعالى:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [2]، وقوله تعالى:﴿**وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**[3]﴾.

أما (مَثَل) بالفتح، فتعني تشبيه قصة أو متعدّد بمتعدّد،كما في قوله تعالى:﴿**واضرب لَهُم مَّثَلَ الحياة الدنيا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السماء**[4]﴾. فالحق -سبحانه وتعالى- لا يشبّه شيئا بشيء، إنما يشبه صورة متكاملة بصورة أخرى، فالحياة الدنيا في وجودها وزهرتها وزخرفها وخضرتها ومتاعها، ثم انتهائها بعد ذلك إلى زوال، مثل الماء حين يترل من السماء فيختلط بتربة الأرض، فينبت النبات المزهر الجميل، والذي سرعان ما يتحول إلى حطام .

لذلك اعترض بعض المتمحكين على أسلوب القرآن في قول الحق سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام:﴿**إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ ءَادَمَ**[5]﴾. ووجه اعتراضه أن (مَثَل) جاءت تُشبه مفرداً بمفرد، وهو عيسى بآدم عليه السلام، ونحن نقول: إنها تشبه صورة متكاملة بأخرى ونقول: هذا الاعتراض ناتج عن عدم فهم المعنى المراد من الآية، فالحق سبحانه لا يُشبّه عيسى بآدم كأشخاص، إنما يُشبّه قصة خلق آدم بقصة خلق عيسى، فآدم خُلق من غير أب، وكذلك عيسى خُلق من غير أب. والمعنى: إنْ كنتم قد عجبتم من أن عيسى خُلق بدون أب، فكان ينبغي عليكم أنْ تعجبوا أكثر من خلق آدم، لأنه جاء بلا أب وبلا أم، وإذا كنتم اتخذتم عيسى إلها، لأنه جاء بلا أب ،فالقياس إذن يقتضي أن تكون الفتنة في آدم لا في عيسى"[6].

4- الاستعارة

أشار إليها في معرض تفسيره قوله تعالى:﴿ **هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ** [7]﴾ يقول الشيخ الشعراوي:

1 - سورة العنكبوت الآية 41.

2 - سورة الشوري الآية 11.

3 - سورة الشوري الآية40

4 - سورة الكهف الآية.

5 - سورة آل عمران الآية 59.

6 - تفسير الشعراوي ج18 ص 1174.

7 - سورة الحج الآية 19.

"...كأن النار تفصيل على قدر جسومهم إحكاما للعذاب، ومبالغة فيه، فليس فيها اتساع يمكن أنْ يُقلّل من شِدّتها، وليست فضفاضة عليهم. ثم﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ والحميم: الماء الذي بلغ منتهى الحرارة، حتى صار هو نفسه مُحرقا من شدّة حرّه، ولك أن تتصور ماء يغليه ربنا ﷻ! وهكذا يجمع الله عليهم ألوان العذاب، لأن الثياب يرتديها الإنسان لتستر عورته، وتقيه الحر والبرد، ففيها شمول لمنفعة الجسم، يقول تعالى:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ[1]﴾.فالإذاقة ليست في اللباس، إنما بشيء آخر، واللباس يعطي الإحاطة والشمول، لتعم الإذاقة كل أطراف البدن، وتحكم عليه مبالغة في العذاب"[2].

5-الاستعارة التصريحية :

كثيرا ما نجد الشعراوي يتطرق إليها في ثنايا تفسيره، ولكن دون أن يصرح بهذا اللفظ ففي تفسير قوله تعالى:﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ يقول: "والحق سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا عملية التحام الرجل والمرأة بكلمة الله، و"اللباس" هو الذي يوضع على الجسم للستر، فكأن المرأة لباس للرجل والرجل لباس للمرأة، واللباس أول مدلولاته ستر العورة. فكأن الرجل لباس للمرأة أي ستر عورتها" [3]واللباس أصله في الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمرأة وامتزاجهما وتلازمهما بذلك.

-وكذلك في تفسير قوله تعالى:﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ[4]﴾. يقول الشعراوي: "...يعطينا الحق سبحانه وتعالى صفة أخرى من صفات المنافقين، فيصفهم بأنهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى. ومادام هناك شراء، فهناك صفقة، تتطلب مشتريا وبائعا، وقد كانت السلعة في الماضي تشترى بسلعة أخرى، أما الآن فإن كل شيء يشترى بالمال، ماذا اشتروا؟. إن هؤلاء المنافقين اشتروا الضلالة، واشتروها بأي ثمن؟ اشتروها بالهدى، الباء في اللغة تدخل على المتروك، عندما تشتري شيئا تترك ثمنه، إذن كأن هؤلاء قد تركوا الهدى واشتروا الضلالة، ولكن هل كان معهم هدى ساعة الصفقة؟. إن الحال

1 - سورة النحل الآية 112.

2 - تفسير الشعراوي ج16 ص 9761.

3 - تفسير الشعراوي ج2 ص 805.

4 - سورة البقرة الآية 16.

يقتضي أن يكون معهم هدى،كأن يهتدي إنسان ثم يجد أن الهدى لا يحقق له النفع الدنيوي الذي يطلبه فيتركه ليشتري به الضلال ليحقق به ما يريد، والهدى الذي كان معهم قد يكون هدى الفطرة، فكأن هؤلاء كان يمكنهم أن يختاروا الهدى فاختاروا الضلالة"[1].

فهم قد اختاروا الضلالة على الهدى، ولكن القرآن الكريم عبر بلفظ البيع يقول الزمخشري:" معنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه، واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر"[2].

6-الاستعارة المكنية :

وقد مثل لها في تفسير قول الحق ﷻ ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**[3]﴾.في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ جاءت على سبيل الاستعارة المكنية التبعية، وذلك تشبيها لحال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بما هو ماثل أمامها، ناطق بلسان الحال، بالحجارة النابية التي من خصائصها القسوة والصلابة.

يقول الشعراوي:"...ويشبه الحق تبارك وتعالى قسوة قلوبهم فيقول:﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ الحجارة هي الشيء القاسي الذي تدركه حواسنا، ومألوف لنا ومألوف لبني إسرائيل أيضا. لأن لهم مع الحجارة شوطا كبيرا عندما تاهوا في الصحراء. وعندما عطشوا وكان موسى يضرب لهم الحجر بعصاه. الله تبارك وتعالى لفتهم إلى أن المفروض أن تكون قلوبهم لينة ورفيقة حتى ولو كانت في قسوة الحجارة .

ولكن قلوبهم تجاوزت هذه القسوة فلم تصبح في شدة الحجارة وقسوتها بل هي أشد. ...وحين تفسد القلوب وتخرج عن مهمتها تكون أقسى من الحجارة. وتكون على العكس تماما من مهمتها.."[4].

7-الكناية:

وقد أشار إليها في تفسير الآية﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [5]يقول الشيخ الشعراوي في تفسيرها: "..."واخفض" الخفض ضد الرفع" جناح

1 – تفسير الشعراوي ج1 ص 161.

2 – الكشاف للزمخشري ج1 ص 76.

3 – سورة البقرة الآية 74.

4 – تفسير الشعراوي ج1 ص 411.

5 – سورة الإسراء الآية 24.

الذل" الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويرفرف به، إن أراد أن يطير، ويخفضه إن أراد أن يحنو على صغاره، ويحتضنهم ويغذيهم .

وهذه صورة مُحسّة لنا، يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي بها، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح،كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، ....إذن: قوله تعالى:﴿**جَنَاحَ الذل**﴾ كناية عن الخضوع والتواضع، والذُّل قد يأتي بمعنى القهر والغلبة، وقد يأتي بمعنى العطف والرحمة "[1].

وفي قوله تعالى:﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ [2] يقول الشعراوي: "وهل للغضب سكوت؟ هل للغضب مشاعر حتى يسكت؟ نعم، لأن الغضب هيجان النفس لتعمل عملا نزوعيا أمام من أذنب، فكأن الغضب يلح عليه، ويقول للغاضب: اضرب، اشتم، اقتل.كأن الغضب قد مُثّل وصُوّر في صورة شخص له قدرة إصدار الأوامر، فشبه الله الغضب بصورة إنسان يلح على موسى في أن يفعل كذا ،ويفعل كذا، فلما قال الله ذلك كأن الغضب قد سكت عنه...أو تكون كلمة (سكت) كناية عن أن الغضب زال وانتهى"[3].

ثانيا : علم المعاني

1- أسلوب القصر:

وقد مثل له بقول الحق﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً**[4]﴾ يقول الشعراوي:"...والحق يقول:﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً**﴾ والأسلوب هنا أسلوب قطع. أي ما يدعون إلا إناثاً، تماماً مثلما نقول"ما أكرم إلا زيداً" وهذا نفي الإكرام لغير زيد، وإثبات للإكرام لزيد. فساعة يقول الحق:﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً**﴾ فغير الإناث لا يدعونهم، ولذلك يعطف عليها الحق:﴿**وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً**﴾ واستخدم الحق في صدر الآية أسلوب القصر، وأسلوب القصر معناه أن يقصر الفعل على المقصور عليه لا يتعداه إلى غيره، فهم يعبدون الإناث، هذا قصر أول، ثم قصر ثانٍ هو قوله الحق:﴿**وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً**﴾"[5].

---

1 – تفسير الشعراوي ج1 ص 8464.

2 – سورة الأعراف الآية 154.

3 – تفسير الشعراوي ج7 ص 117.

4 – سورة النساء الآية 117.

5 – تفسير الشعراوي ج 1 ص 26445.

2- الأمر وخروجه عن المعنى الحقيقي:

ومثاله في قوله تعالى:﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**[1]﴾. يقول الشعراوي: "...ثم يقول تعالى:﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ أي: ادخلوا على هذا الأساس: أن كل حقّ يترل من الله، لا أن آخذ الحق منكم، ثم أردّه إليكم، بل الحق الذي أرسلني الله به إليكم، وعلى هذا من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

والأمر في هذه الآية سبق أن أوضحناه فقلنا: إذا وجدنا أمراً بغير مطلوب فلنفهم أن الأمر استُعمل في غير موضعه، كما يقول الوالد لولده المهمل: العب كما تريد، فهو لا يقصد أمر ولده باللعب بالطبع، بل يريد تهديده وتأنيبه. وهكذا في:﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ وإلا لو أخذتَ الآية على إطلاقها لكان من آمن مطيعاً للأمر:﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن**﴾ والعاصي أيضا مطيع للأمر:﴿**وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ فكلاهما -إذن- مطيع، فكيف تعذّب واحداً دون الآخر؟.

فالأمر هنا ليس على حقيقته، وإنما هو للتسوية والتهديد، أي: سواء عليكم آمنتم أم لم تؤمنوا، فأنتم أحرار في هذه المسألة، لأن الإيمان حصيلته عائدة إليكم، فالله سبحانه غنيّ عنكم وعن إيمانكم."[2].

3- الاستفهام ومعانيه:

ومثاله في تفسير قوله تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [3]"والاستفهام هنا للتعجُّب وللإنكار، يعني:كيف لا يكفيهم القرآن ولا يقنعهم وهو أعظم الآيات، وقد أعجزهم أن يأتوا ولو بآية من آياته، وجاءهم بالكثير من العبر والعجائب؟ إذن: هم يريدون أن يتمحّكوا، وألا يؤمنوا، وإلا لو أنهم طلاب حقّ باحثون عن الهداية لكفاهم من القرآن آية واحدة ليؤمنوا به"[4].

1 - سورة الكهف الآية 29.

2 - تفسير الشعراوي ج14 ص 8883.

3 - سورة العنكبوت الآية 51.

4 - تفسير الشعراوي ج 18 ص 11226.

- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [1] يقول الشعراوي:"والاستفهام هنا ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ ليس استفهاماً على حقيقته، إنما يراد به الاستهزاء والسخرية، وجواب الله على هذا الاستفهام يحدد نيتهم منه، فهم يستبعدون هذا النصر وهذه الغلبة التي وعد الله بها عباده المؤمنين، لكنهم يستبعدون قريباً، ويستعجلون أمراً آتياً لا ريب فيه "[2].

4 -التقديم والتأخير:

تخضع الجمل في اللغة إلى ترتيبات خاصة، غير أنه قد يطرأ على ذلك الترتيب بعض التغييرات التي تنقل بعض المفردات عن مواضعها، فتقدم كلمة وتؤخر أخرى، وهو ما يصطلح عليه لدى البلاغيين بمباحث التقديم والتأخير، والتقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام مسحة جمالية، ويجعل له موقعا وأثرا في النفوس، وهو من المباحث التي وقف عندها الشعراوي ملمحا إلى أسراره.

من ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**[3]﴾ يقول:"...تلك هي العناصر الأساسية في فتنة الناس في الدنيا: المال والبنون، لكن لماذا قدَّم المال؟ أهو أغلى عند الناس من البنين؟. نقول: قدَّم الحق سبحانه المال على البنين، ليس لأنه أعزّ أو أغلى، إنما لأن المال عام في المخاطب على خلاف البنين، فكلّ إنسان لديه المال وإن قلّ، أما البنون فهذه خصوصية، ومن الناس من حرِم منها.

كما أن البنين لا تأتي إلا بالمال، لأنه يحتاج إلى الزواج والنفقة لكي يتناسل ويُنجب، إذن: كل واحد له مال، وليس لكل واحد بنون، والحكم هنا قضية عامة، وهي:﴿**المال والبنون زِينَةُ الحياة الدنيا**﴾ كلمة ﴿**زِينَةُ**﴾ أي: ليست من ضروريات الحياة ،فهو مجرد شكل وزخرف..."[4].

5-الإيجاز والإطناب:

1 - سورة السجدة الآية 28.

2 - تفسير الشعراوي ج19 ص 11873.

3 - سورة الكهف الآية 46.

4 - تفسير الشعراوي ج 14 ص 8924.

لقد بين الجاحظ[1] القيمة البلاغية للإيجاز بقوله:" إنه-أي القرآن-قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معان متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن الكريم، لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول وأقل دلالة، وهو يتعرض لبعض الآيات التي جاءت مثلا للإيجاز المعجز، وقد لا ينص على ما فيها من إيجاز ولكن شرحه لمعانيها، وبيانه لما تحتوي من معان، وتفصيله دال على اعتقاده في إيجازها المعجز. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا**[2]﴾. قالت الحكماء: إنما تبنى المدائن على الماء والكلأ والمحتطبة فجمع بقوله:﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا**﴾ النجم والشجر والملح واليقطين والبقل والعشب، فذكر ما يقوم على ساق، وما يتفنن وما يتسطح وكل ذلك مرعى، ثم قال على النسق: ﴿**مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ [3]فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله، لأن الملح لا يكون إلا بالماء ولا تكون النار إلا من الشجر"[4].

ولقد أسهب الشعراوي في حديثه عن الإيجاز، غير أنه توسع كثيرا في الإيجاز بالحذف الذي نبه الجرجاني إلى قيمته البلاغية فقال: "الحذف هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر،شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر"[5].

-و من أمثلة ذلك في تفسير الشعراوي قوله تعالى:﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**[6]﴾. يقول:"...كان من المفروض لاستكمال المعنى أن يقال وإذا استسقى موسى ربه لقومه فقال يا رب اسقهم. ولكن هذه لم تأت حذفت وجاء

1 – هو عمرو بن بحر الكناني (255،163 هـ) أبو عثمان الجاحظ: كبير الأئمة الأدب و رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة مولده و وفاته بالبصرة أصيب بالقالج في أخر عمره و كان مشوه الخلقة مات و الكتاب على صدره قتلته المجلدات من الكتب وقعت عليه تصانيف كثيرة: "البيان و التبيين" و "سحر البيان" و "مسائل القرآن" ينظر الاعلام ج5 ص 74 و معجم الأدباء ج4 ص 498/473 و وفيات الأعيان ج 3 ص 475/470 و بغية الوعاة ج2 ص 228.

2 – سورة النازعات الآية 30-31.

3 – سورة النازعات الآية 33.

4 –الجاحظ البيان و التبيين ج2 ص 1 و البلاغة عند المفسرين رابح دوب ص 512.

5 – الجرجاني و لائل الاعجاز ص 177.

6 – سورة البقرة الآية 60.

بعدها الإجابة:﴿**وَإِذِ استسقى موسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضرب بِّعَصَاكَ الحجر**﴾ إذن قوله يا رب اسق قومي واستجابة الله له محذوفة لأنها مفهومة. ولذلك جاء القرآن باللفتات الأساسية وترك اللفتات المفهومة لذكاء الناس. تماما كما جاء في سورة النمل: الهدهد ذهب ورأى ملكة بلقيس وعرشها، وعاد إلى سليمان وأخبره. فطلب سليمان من الهدهد أن يلقي إلى ملكة سبأ وقومها كتابا وقال:﴿**اذهب بِّكِتَابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ ياأيها الملأ إِنِي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾. فسليمان أمر الهدهد أن يلقي كتابا إلى بلقيس وقومها. والآية التي بعدها جاءت بقوله تعالى: قالت ﴿**يا أيها الملأ إِنِي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾ [1]كل التفاصيل حذفت من أن الهدهد أخذ الكتاب وطار إلى مملكة سبأ وألقى الكتاب أمام عرشها، والتقطت بلقيس ملكة سبأ الكتاب وقرأته. ودعت قومها وبدأت تروي إليهم قصة الكتاب،كل هذا حُذف لأنه مفهوم .قال موسى يا رب اسق قومي. والله سبحانه وتعالى قال له: إن أردت الماء لقومك كل هذا محذوف..."[2].

وقد نبه الشعراوي إلى أن أسلوب الحذف يعمل ذهن السامع وخياله حتى يذهب مذاهب شتى، ويمثل لذلك بقوله تعالى:﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [3]فيقول:"...عندما ننظر إلى قول الحق:﴿**وَلَوْ ترى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النار**﴾ هنا لا نجد جواباً، مثل ما تجده في قولك: لو رأيت فلاناً لرحبت به أو لو رأيت فلاناً لعاقبته. إن في كلّ من هاتين الجملتين جوابا، لكن في هذا القول الكريم لا نجد جوابا، وهذا من عظمة الأداء القرآني، فهناك أحداث لا تقوى العبارات على أدائها، ولذلك يحذفها الحق سبحانه وتعالى ليذهب كل سامع في المعنى مذاهبه التي يراها... هم -إذن- قد خافوا وارتبكوا وطلبوا العودة للحياة الدنيا، لأن ما شاهدوه هول كبير، فما بالك إذا وقفوا على الله؟ إنه موقف مرعب. وإذا كان الحق قد حذف من قبل الجواب عندما أوقفهم على النار، فالأولى هنا أن يحذف الجواب، حتى يترك للخيال أن يذهب مذاهب شتى، إنه ارتقاء في الهول"[4].

1 - سورة النمل الآية 28-29.

2 - تفسير الشعراوي ج1 ص 368.

3 - سورة الأنعام الآية 27.

4 - تفسير الشعراوي ج6 ص 3581.

- حذف الاحتباك:

يعرفه الشعراوي ويمثل له وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**﴾ [1]يقول الشيخ الشعراوي: "وحين ندقق النظر في النص القرآني، نجد أن الحق لم يورد لنا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله و لم يذكر أنها فئة مؤمنة، وأوضح أن الفئة الأخرى كافرة، وهذا يعني أنّ الفئة التي تقاتل في سبيل الله لابد أن تكون فئة مؤمنة، و لم يورد الحق أن الفئة الكافرة تقاتل في سبيل الشيطان اكتفاء بأن كفرها لابد أن يقودها إلى أن تقاتل في سبيل الشيطان. لقد حذف الحق من وصف الفئة الأولى ما يدل عليه في وصف الفئة الثانية.

وعرفنا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله من مقابلها في الآية وهي الفئة الأخرى. فمقابل الكافرة مؤمنة، وعرفنا -أيضاً- أن الفئة الكافرة إنما تقاتل في سبيل الشيطان لمجرد معرفتنا أن الفئة الأولى المؤمنة تقاتل في سبيل الله. ويسمون ذلك في اللغة "**احتباك**"، وهو أن تحذف من الأول نظير ما أثبت في الثاني، وتحذف من الثاني نظير ما أثبت في الأول، وذلك حتى لا تكرر القول، وحتى توضح الالتحام بين القتال في سبيل الله والإيمان، والقتال في سبيل الشيطان والكفر .

إذن فالآية على هذا المعنى توضح لنا الآتي: لقد كان لكم آية، أي أمر عجيب جدا لا يسير ولا يتفق مع منطق الأسباب الواقعية في فئتين، فعندما التقت الفئة المؤمنة في قتال مع الفئة الكافرة، استطاعت الجماعة المؤمنة المحددة بالغاية التي تقاتل من أجلها -وهي القتال في سبيل الله- أن تنتصر على الفئة الكافرة التي تقاتل في سبيل الشيطان"[2].

- الإطناب:

وقد ألمح إليه الشعراوي في مواضع عديدة، ويذهب في ذلك إلى تعليلات بديعة تنم عن حسه التفسيري الراقي، من ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ**[3]﴾. يقول:" ما: استفهامية. والتاء بعدها إشارة لشيء مؤنَّث، هو الذي يمسكه موسى في يده، والكاف للخطاب، كأنه قال له: ما هذا الشيء الذي معك؟ والجواب عن هذا السؤال يتم بكلمة

1 - سورة آل عمران الآية 13.

2 - تفسير الشعراوي ج2 ص 1312.

3 - سورة طه الآية 17.

واحدة: عصا. أمّا موسى عليه السلام فهو يعرف أن الله تعالى هو الذي يسأل، ولا يخفى عليه ما في يده، ولكنه كلام الإيناس، لأن الموقف صعب عليه، ويريد ربه أن يُطمئنه ويُؤنسه. وإذا كان الإيناس من الله، فعلى العبد أن يستغلّ هذه الفرصة ويُطيل أمد الائتناس بالله عز وجل، ولا يقطع مجال الكلام هكذا بكلمة واحدة، لذلك رد موسى عليه السلام:﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا**[1]﴾ قال موسى:﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ**﴾ ، ثم يفتح لنفسه مجالاً آخر للكلام:﴿**أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي**﴾ [2] وهنا يرى موسى أنه تمادى وزاد، فيحاول الاختصار:﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ**﴾ [3]وكان موسى ينتظر سؤالا يقول: وما هذه المآرب؟ ليُطيل أنْسه بربه، وإذا كان الخطاب مع الله فلا يُنهيه إلا زاهد في الله... وبعض العلماء يقولون: لقد كان موسى عليه السلام ينتظر أن يسأله ربه عن هذه المآرب ليطيل الحديث معه، لكن الحق سبحانه لم يسأله عن ذلك، لأنه سينقله إلى شيء أهم من مسألة العصا، فما ذكرته يا موسى مهمة العصا معك، أمّا أنا فأريد أن أخبرك بمهمتها معي"[4].

ثالثا : علم البديع

1-أسلوب الالتفات:

الالتفات من الأساليب العريقة في اللغة العربية، وهو أحد الألوان البلاغية والمسالك التعبيرية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم، بل لعله أكثر هذه الألوان انتشاراً، وأوسعها تردداً " وقد توارد في مورثنا البلاغي مع طائفة من المصطلحات في الدلالة على التحول الأسلوبي، ومن بين هذه المصطلحات (الصرف) و(العدول) و(الانصراف) و(التلون) و(مخالفة مقتضى الظاهر) و(شجاعة العربية) وما إلى ذلك"[5].

ويدخل الالتفات تحت أضربٍ ثلاثة ، وتتفرّع عن كلّ ضرب أقسام عدّة:

- الضرب الأوّل : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة.

1 - سورة طه الآية 18.

2 - سورة طه الآية نفسها

3 - سورة طه الآية نفسها

4 - تفسير الشعراوي ج15 ص 9248 و 9252.

5 - بنظر: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، أحمد مطلوب مطبعة المجمع العلمي العراقي: 1983م ص 296.

– الضرب الثاني : الرجوع من فعل المضارع إلى فعل الأمر[1].

– الضرب الثالث : الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد أو من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**[2]﴾ "وفي الآية مَلحظ آخر يجب تأمّله، وهو أن الكلام هنا في حالة الغيبة:﴿**إِنَّمَا هُوَ إله وَاحِدٌ**﴾ فكان القياس في اللغة هنا أن يقول:" فإياه فارهبوه". ولكن وراء تحويل السياق من الغيبة إلى المجابهة للمتكلم قال: ﴿**فَإِيَّايَ فارهبون**﴾. وهذا وراءه حكمة، ومَلحظ بلاغي، فبعد أن أكّد الألوهية بقوله تعالى:﴿**إِنَّمَا هُوَ إله وَاحِدٌ**﴾ صحّ أن يجابِههم بذاته، لأن المسألة ما دامت مسألة رَهبة، فالرهبة من المتكلم خير من الرهبة من الغائب، وكأن السياق يقول: ها هو سبحانه أمامك، وهذا أَدعى للرهبة. وكذلك في فاتحة الكتاب نقرأ:﴿**الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يَوْمِ الدين**[3]﴾ .و لم يَقل: إياه نعبد، متابعة للغيبة، بل تحوّل إلى ضمير الخطاب فقال:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**[4]﴾.ذلك لأن العبد بعد أن استحضر صفة الجلال والعظمة أصبح أَهلاً للمواجهة والخطاب المباشر مع الله ﷻ.فقوله:﴿**فَإِيَّايَ فارهبون**﴾ بعد ما استحضر العبد عظمة ربه، وأقرّ له بالوحدانية وعَلم أنه إله واحد، وليس إلهين. واحد يقول: نُعذّبه. والآخر يقول: لا ليس الأمر كذلك، بل إله واحد بيده أن يُعذّب، وبيده أن يعفو، فناسب السياق هنا أن يُواجههم فيقول:﴿ **فَإِيَّايَ فارهبون**﴾ "[5].

–وفي قوله تعالى﴿**ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [6] يقول الشعراوي:" قوله ﴿**هَلْ يَسْتَوُونَ**﴾ فالحديث عن مُثنى، وكان القياس أن يقول: هل يستويان، فلماذا عدل عن المثنى إلى الجمع؟.

---

1 – من العلماء من يدرج هدا النوع ضمن باب "الخروج عن مقتضي الظاهر" و لا يعده من أنواع الالتفات، بنظر: عروس الأفراح ج1 ص 386، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم خليل، دار الكتب العلمية، لبنان ص 1، 1422 هـ/2001 م.

2 – سورة النحل الآية 51.

3 – سورة الفاتحة الآية 2–4.

4 – سورة الفاتحة الآية 05.

5 – تفسير الشعراوي ج 13 ص 7993.

6 – سورة النحل الآية 75.

نقول : لأن المثل وإن ضُرِب بمفرد مقابل مفرد إلا أنه ينطبق على عديدين، مفرد شائع في عديد مملوكين، وفي عديد من السادة أصحاب الرزق الحسن، ذلك ليعمّم ضَرب المثل .

إذن : ليس في اختلاف الضمير هنا ما يتعارض وبلاغة القرآن الكريم، بل هي دقّة أداء، لأن المتكلّم هو الحق سبحانه وتعالى. وكذلك في قوله تعالى:﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا**[1]﴾. بعضهم يرى في الآية مَأخذا، حيث تتحدث عن المثنى، ثم بضمير الجمع في (**اقْتَتَلُوا**)، ثم تعود للمثنى في (**بَيْنَهُمَا**).نقول لهؤلاء: لو تدبرتُم المعنى لعرفتم أن ما تتخذونه مأخذاً ،وتعتبرونه اختلافاً في الأسلوب هو منتهى الدقة في التعبير القرآني. ذلك أن الحديث عن طائفتين: مُثنّى، نعم فلو تقاتلا، هل ستمسك كل طائفة سيفا لتقاتل الأخرى؟ لا، بل سيمسك كلّ جندي منها سَيفاً. فالقتال هناك بالمجموع .مجموع كل طائفة لمجموع الطائفة الأخرى، فناسب أن يقول: اقتتلوا، لأن القتال حركة ذاتية من كلّ فرد في الطائفتين .فإذا ما جاء وقت الصُلّح ،هل نصالح كل جندي من هذه على كل جندي من هذه؟ لا ،بل الصُّلح شأْن السادة والزعماء والقادة لكل طائفة، ففي الصُّلح نعود للمثنى، حيث ينوب هؤلاء عن طائفة، وهؤلاء عن طائفة، ويتم الصُّلح بينهما. إذن: اختلاف الضمير هنا آية من آيات الإعجاز البياني، لأن المتكلم هو الحق سبحانه وتعالى"[2].

2-المدح في سياق الذم

وقد مثل له بقوله تعالى:﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**[3]﴾. يقول الشعراوي:"...ويسمون ذلك من أساليب الأداء الأدبي عند العرب وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، فيقول قائل: لا عيب في فلان إلا كذا. وساعة يسمع السامع هذا يظن أن العيب الذي سيورده هو صفة قبيحة فيفاجأ بأنها خصلة جميلة. وبذلك يؤكد القائل المدح بما يشبه الذم: ﴿**قُلْ ياأهل الكتاب هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بالله وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾ أنتم تقولون: إنكم أهل كتاب وعندكم التوراة، وكان يجب أن تعلموا كيف يشذب الإيمان النفوس ويدفع عنها الشر، لأن لكم سابقة في الإيمان، فقد آمنتم بالله وبالرسل السابقين على موسى وآمنتم بموسى،

1 – سورة الحجرات الآية 09.

2 – تفسير الشعراوي ج13 ص 8098.

3 – سورة المائدة الآية 59.

والمسلمون آمنوا بالله وآمنوا بما أنزل إليهم وآمنوا بالرسل ومنهم موسى وعيسى ومحمد ﷺ فكيف يكره ذلك؟ وإن كان هذا مما يكره فعلينا كمؤمنين أن نسألكم: لماذا تنكرون علينا ذلك؟ لا شك أنكم تنكرون علينا إيماننا بالله لأنها قضية غير واضحة في أذهانكم"[1].

3- اللف والنشر:

وقد مثل لذلك في تفسيره قوله تعالى:﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**[2]﴾. يقول الشيخ الشعراوي:"بعد أن جاء الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ أراد سبحانه أنْ يبيّن حكم كلّ من الاختيارين : الإيمان، والكفر على طريقة اللّفِّ والنشر، وهو أسلوب معروف في العربية، وهو أن تذكر عدة أشياء، ثم تُورد أحكامها حسب ترتيبها الأول، أو تذكرها مُشوّشة دون ترتيب.

ومن النوع الأول الذي يأتي فيه اللّفّ والنشر على الترتيب قوله تعالى:﴿**وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الليل والنهار لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**[3]﴾.أي: لتسكنوا في الليل، وتبتغوا من فضل الله في النهار"[4].

ومن ذلك أيضا تفسير قوله تعالى:﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**[5]﴾ يقول الشعراوي:"بعد أنْ فصّل الله تعالى القول في الليل والنهار كلّ على حدة جمعهما، لأنهما معا مظهر من مظاهر رحمة الله، وفي الآية ملمح بلاغي يسمونه "**اللف والنشر**"، فبعد أن جمع الله تعالى الليل والنهار أخبر عنهما بقوله: ﴿**لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**﴾ ثقة منه تعالى بفطنة السامع، وأنه سيردُّ كلاً منهما إلى ما يناسبه، فالليل يقابل﴿**لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**﴾ والنهار يقابل﴿**وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**﴾ فاللفّ أي: جمع المحكوم عليه معا في جانب والحكم في جانب آخر، والنشر: ردّ كلّ حكم إلى صاحبه، وضربنا لذلك مثلا بقول التيمورية :

قَلبي وجفني واللسَان وخَالِقي ... رَاضٍ وبَاكٍ شَاكِرٌ وغَفُور

1 – تفسير الشعراوي ج6 ص 3852.

2 – سورة الكهف الآية 29.

3 – سورة القصص الآية 73

4 – تفسير الشعراوي ج14 ص 8888.

5 – سورة القصص الآية 73

فجمعت المحكوم عليه في الشطر الأول والحكم في الشطر الثاني، وعليك أن تعيد كلّ حكم إلى صاحبه "[1].

4- المشاكلة:

وهي:"ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا"[2]. ومثالها ما ذكره الشيخ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ**﴾ [3]يقول: "وساعة تجد صفة تستبعد أن يوصف بها الله فاعلم أنما جاءت للمشاكلة فقط وليست من أسماء الله الحسنى، إن المؤمنين بإمكانهم أن يقولوا للكافرين: إنكم إن أردتم أن تبيتوا لنا، فإن الله قادر على أن يقلب المكر عليكم، أما أسماء الله وصفاته فهي توقيفية، نزل بها جبريل على رسول الله ﷺ، لكن إذا وجد فعل لله لا يصح أن نشتق نحن منه وصفا ونجعله اسما لله ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ**﴾، فليس من أسماء الله مخادع، أو ماكر، إياك أن تقول ذلك، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، وجاء القول هنا بمكر الله كمقابل لفعل من البشر، ليدلهم على أنهم لا يستطيعون أن يخدعوا الله، ولا يستطيعون أن يمكروا بالله، لأن الله إذا أراد أن يمكر بهم، فهم لا يستطيعون مواجهة ذلك"[4].

5- الطباق:

وقد مثل له في تفسير قوله تعالى:﴿**وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلاَ ٱلظُّلُمَاتُ وَلاَ ٱلنُّورُ * وَلاَ ٱلظِّلُّ وَلاَ ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَحْيَآءُ وَلاَ ٱلأَمْوَاتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ**﴾ [5]يقول الشعراوي:"...هذه حقائق يقررها الحق سبحانه، فالمتناقضان لا يستويان... فالشمس هي النور الحسي، والقرآن هو النور المعنوي، لذلك قلنا في قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ**[6]﴾ أي: منوّرهما بالنّورين، الحق سبحانه سبق أن ذكر لنا التقابل بين الماءينِ العذب والمالح، فقال سبحانه:﴿**وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ**

1 - تفسير الشعراوي ج18 ص 11003.
2 - الاتقان للسيوطي ج2 ص 252.
3 - سورة آل عمران الآية 54.
4 - تفسير الشعراوي ج3 ص 1505.
5 - سورة فطر الآية 19-22.
6 - سورة النور الآية 35.

﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ[1]﴾ نعم،لا يستويان، لكن العلاقة بينهما علاقة تقابل كالليل والنهار، لا علاقة تضادّ كالأعمى والبصير، بدليل أن الله جمعهما معا، فقال:﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا[2]﴾، فإن اختلف المتقابلان، فلكل منهما مهمة يؤديها، فهما متساندان لا متعاندان...ثم يقول سبحانه:﴿وَلاَ ٱلظِّلُّ وَلاَ ٱلْحَرُورُ﴾ وهما أيضاً متقابلان لا يجتمعان، كذلك ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَحْيَآءُ وَلاَ ٱلأَمْوَاتُ﴾ وتلحظ هنا أن الحق سبحانه أعاد ذكر الفعل المنفي ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾ لتأكيد عدم الاستواء بين الحي والميت"[3].

6- الجناس

وقد تحدث عنه مطولا في تفسيره ومثل له كثيرا، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى:﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [4]يقول:"...أولا: نقف عند جمال التعبير في سبأ ونبأ، فبينهما جناس ناقص، وهو من المحسّنات البديعية في لغتنا، ويعطي للعبارة نغمة جميلة تتوافق مع المعنى المراد، والجناس أن تتفق الكلمتان في الحروف، وتختلفا في المعنى، كما في قول الشاعر :

رَحَلْتُ عَنِ الدِّيَارِ لكُم أَسِيرُ ... وَقَلْبي في محبتكُمْ أَسير

وقَوْل الآخر :

لَمْ يَقْضِ مِنْ حقِّكم عَليَّ ... بَعْضَ الذي يَجـــــبُ

قَلْبٌ متَى مَا جَـــــرَت ... ذِكْرَاكُمُ يَجـــــبُ

ومن الجناس التام في القرآن الكريم:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يُقْسِمُ المجرمون مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ [5]﴾ فالتعبير القرآني﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ[6]﴾. تعبير جميل لفظاً، دقيق مَعنىً، أَلاَ تراه لو قال (وجئتك من سبأ بخبر) لا ختلّ اللفظ والمعنى معا، لأن الخبر يُراد به مطلق الخبر، أمّا النبأ فلا تقال إلا للخبر العجيب الهام الملفت للنظر،كما في قوله تعالى:﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ النبإ العظيم﴾.[7]

1 – سورة فاطر الآية 12.

2 – سورة فاطر الآية نفسها.

3 – تفسير الشعراوي ج20 ص 12479.

4 – سورة النمل الآية 22.

5 – سورة الروم الآية 55.

6 – سورة النمل الآية 22.

7 – سورة النبأ الآية 12.

والجناس لا يكون جميلاً مؤثراً إلا إذا جاء طبيعياً غير مُتكلّف، ومثال ذلك هذا الجناس الناقص في قوله تعالى:﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**[1]﴾. فقد ورد اللفظ المناسب مُعبّراً عن المعنى المراد دون تكلّف، فالهُمزة هو الذي يعيب بالقول. واللمزة : الذي يعيب بالفعل، فالقرآن لا يتصيّد لفظاً ليُحدث جناساً، إنما يأتي الجناس فيه طبيعيا يقتضيه المعنى .

ومن ذلك في الحديث الشريف:{**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ**} [2]فبيْن الخيل والخير جناس ناقص، مُحسّناً للفظ، مؤدّياً للمعنى .وقد يأتي المحسّن البديعي مُضطربا مُتكلّفاً، يتصيده صاحبه، كقول أحدهم ينحت الكلام نحتا فيأتي بسجع ركيك: في أثناء ما كنا نسير نزل المطر كأفواه القِرب، فوقع رجل كان يحمل العنب"[3].

قضايا الإعجاز في تفسير الشعراوي

الإعجاز وعلوم التفسير

لقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، مفرقا على مدار ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع والأحداث، كما صرح بذلك القرآن الكريم قال تعالى:﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**[4]﴾. وذلك في معرض الرد على المشركين الذين طلبوا نزوله جملة واحدة فقالوا:﴿**لَولاَ نُزِّل عَلَيْه القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**[5]﴾.وكان في ذلك حكم عظيمة وجليلة لعل من أهمها، تحقيق إعجازه على أبين وجه وأكمله، فإن المعارضة للكلام المفرق نجوما أيسر من المعارضة للكتاب جملة واحدة .والتحدي بإعجازه بدأ مع نزوله، فكأنه تحداهم بكل نجم منه قل أو كثر فعجزوا وتحيروا، ولم يأتوا بشيء.

وفي المقابل تلقاه أصحاب رسول الله ﷺ من فيه مشافهة، فعنوا به أشد العناية، وحفظوه في صدورهم، وكان اهتمامهم بالعمل بما يحفظون جليا، حتى أنه نقل عنهم أنه كان

1 – سورة الهمزة الآية 01.

2 – أخرجه مسلم في صحيحه، باب: الخيل في نواصها الخير إلى يوم القيامة، رقم 1872، ص 749.

3 – تفسير الشعراوي ج17 ص 10769.

4 – سورة الإسراء الآية 106.

5 – سورة الفرقان الآية 32.

إذا حفظ أحدهم عشر آيات وقف عندها، يتفقه فيها ويتعلم معانيها ويعمل بما علم. وهم على ذلك متفاوتون في الحفظ والعلم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات.

وعلى الرغم من هذا الاهتمام بالقرآن الكريم من قبل الصحابة ﷺ وإقبالهم عليه – على تفاوت درجاتهم كما سبق بيانه– إلا أنه لم ينقل عنهم شيء مما له علاقة بقضية الإعجاز، والكشف عن مواطنه، وبيان وجوهه، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها:

عمق مثل هذه الدراسات وارتفاع مستواها من جهة، ثم إجلالا وتهيبا لعظمة المعجزة الإلهية التي خص الله بها رسوله من جهة أخرى. ثم لأن برهانه قائم في نفوسهم لصحة طباعهم وسلامة ألسنتهم وفطرهم.

ومن هنا تهيب كثير من الصحابة والسلف ممن كانوا علماء باللغة فقهاء في الدين، تفسير القرآن وتركوا القول فيه خوف الزلل والقول فيه بالرأي والتألي على الله في الكشف عن مراده، الذي لا يعلم تأويله إلا الله تبارك وتعالى[1].

ولكن الحال لم يبق على ما كان عليه من تذوق للقرآن بالفطر السليمة خاصة" بعد أن تقدم الزمن، وانتشر المسلمون في أرجاء الأرض بانتشار الإسلام في الأمصار، وابتعدوا عن البيئة العربية السليمة واختلطوا بغيرهم من أبناء البلدان المفتوحة، لم يعد إعجاز القرآن يدرك بالفطرة، وإنما صار إدراكه يتطلب دراسة واعية، ومستفيضة للغة العربية وإحاطة بغريبها ومعرفة تامة بأساليب التعبير فيها، لتنمو لدى من يريد التصدي لمعرفة الإعجاز ملكة تمكنه من إدراك هذه الناحية في القرآن العظيم. فانتقل الإعجاز من مرحلة التذوق الفطري إلى مرحلة التذوق العلمي الذي يجب أن تسبقه دراسة واسعة لأساليب اللغة العربية، تؤهل صاحبها لإدراك ناحية الإعجاز في القرآن العظيم. وهذا يعني أن الإعجاز الذي كانت تدركه أكثر العرب من الذين عاصروا نزول القرآن الكريم أصبح من اختصاص طائفة قليلة من المسلمين هي التي بيدها وسائل التذوق الفني"[2].

1 – نظرية الإعجاز القرآني، أحمد سيد عمار، ص 25.

2 – الإعجاز في نظم القرآن، سيد شيخون، ص 13.

لأجل ذلك أصبح النظر في القرآن للتدليل على إعجازه، وبيان وجوه الإعجاز فيه واجبا علميا ودينيا، وأصبح تقليب وجوه الرأي فيه أمرا لا مناص منه بين العلماء وأصحاب الرأي وأهل الفكر من مختلف الطوائف والمذاهب.

ومن جملة أولئك المفسرين الذين كان لهم دور لا يستهان به في الكشف عن روعة الأساليب البيانية في القرآن الكريم، وبيان أنه خارج عن مقدور وطاقة البشر. كما كان لهم دور واضح في التصدي للطاعنين في القرآن الكريم، وتفنيد أباطيلهم، ورد شبههم. وذلك انطلاقا من معرفتهم بالأساليب العربية وفنونها، ذلك أنه لا يعرف فضل القرآن إلا من عرف الأسلوب العربي وفنونه.

يقول ابن قتيبة:" [1]وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره فيه، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب"[2].

إن دراسة الإعجاز في القرآن على صلة وثيقة بتفسير القرآن، فالإعجاز تابع للتفسير فهو يعتبر دائما خلاصة العمل التفسيري الدائر حول النص القرآني. بمعنى أن النص يفسر ويشرح ثم يشار بعدها إلى خصائصه الخارقة، وهذا دليل على أن الإعجاز لا يكون إلا تابعا للتفسير يتلون بلونه، ويأخذ طابعه وسماته في كل عصر. وبما أن الطابع اللغوي هو من أهم مميزات التفسير البياني، فقد جاء أقوى وجوه الإعجاز وأظهرها على الإطلاق من جنسه. وذلك يظهر جليا من خلال تطبيقات المفسرين في كتبهم، وسعيهم إلى بيان بلاغة القرآن وفصاحته، وتقدمه وسبقه لكل كلام وتفرده عنه.

إن المتأمل في كتب المفسرين يجد كثيرا منهم قد تطرق إلى قضية الإعجاز، في سياق وقوفهم على آيات التحدي المختلفة، التي جاءت في القرآن الكريم. ومن أولئك المفسرين ابن جرير الطبري، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، وابن عطية، وفخر الدين الرازي، وبدر الدين

1 – هو ابو بكر محمد عبدالله بن مسلم بن قتبة الرنيوري، و قيل المروز الدحوري اللغوي كان فاضلا ثقة و تصانيف كلها مفيدة ولد ببغداد 213 هـــ و سكن الكوفة ولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها كان يظهر في كتبه استماتيه في دفاعة عن النظم القرآني و عن مذهب اهل السنة و لقد أبلي بلاء حسنا و وقف موقفا عظيما بدود فيه عن القرآن الكريم و عن إعجازه وعن بلاغته، و كان عمله هدا سبب في إتجاه علماء اللغة المسلمين إلى دراسة القرآن للوقوف على وجوه الإعجاز فيه توفي رحمه الله ببغداد سنة 270 هـــ، بنظر وفيات الأعيان، ج3 ص 42 و الإعلام ج4 ص 137 و تاريخ بغداد، ج10 ص 168 و بغية الوعاة ج2 ص 64/63.

2 – تأويل مشكل القرآن لا بن قتيبة ص 07.

الزركشي، وجلال الدين السيوطي، وأبو السعود[1]، والآلوسي، و الشعراوي، وغيرهم كثير سواء من الأقدمين أم من المحدثين.

لقد كان للحديث عن الإعجاز قسط كبير في تفسير الشعراوي، وسأحاول أن أعرض لأبرز قضايا الإعجاز التي أثارها الشيخ الشعراوي في خواطره حول القرآن الكريم ومن ذلك:

1-تعريف المعجزة وبيان أنها من جنس ما نبغ فيه العرب

يعرف الشعراوي المعجزة القرآنية، ملمحا إلى أن جميع المعجزات جاءت متوافقة مع عناصر التألق والتفوق السائدة في العصر الذي بعث فيه النبي أو الرسول، وهذه القاعدة عامة في جميع الرسالات وعند كافة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومما تميز به العرب قبيل مبعث سيد البشرية محمد ﷺ الكلمة فقد كانت جوهر حياتهم بها يحيون ولها يعيشون، وكانت لغتهم الحاضن لتاريخهم، والحافظ لأمجادهم، ومستودع أسرارهم، وملهمة إبداعاتهم وأشعارهم، لأجل هذا نزل القرآن بلغتهم التي يجيدونها وبها تحداهم فأخرسهم.

وفي ذلك يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**[2]﴾ "وهو قرآن عربي، لأن الرسول ﷺ سيجاهر بالدعوة في أمة عربية، وكان لابد من وجود معجزة تدل على صدق بلاغه عن الله، وأن تكون ممّا نبغ فيه العرب، لأن المعجزة مشروطة بالتحدي، ولا يمكن أن يتحداهم في أمر لا ريادة لهم فيه ولا لهم به صلة، حتى لا يقولن أحد: نحن لم نتعلم هذا، ولو تعلمناه لجئنا بأفضل منه. وكان العرب أهل بيان وأدب ونبوغ في الفصاحة والشعر، وكانوا يجتمعون في الأسواق، وتتفاخر كل قبيلة بشعرائها وخطبائها المفوّهين، وكانت المباريات الآدائية تُقَام، وكانت التحديات تجرى في هذا المجال، ويُنصَب لها الحكام. أي : أن الدّربة على اللغة كانت صناعة متواترة ومتواردة، محكوم عليها من الناس في الأسواق، فهم أمة بيان وبلاغة وفصاحة.

---

1 – هو محمد بن محمد العمادي (898- 982 هـ) النولى أبو السعود مفسر شاعر من علماء الترك المستعمرين ولد القرب من القسطنطنية درس و تولى القضاء في مدن مختلفة كان حاضر الدهن يتقن التركية و الفارسية و العربية له شعر جيد أشهر نؤلفاته التفسير المعروف باسمه و قد سماه "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" ينظر الاعلام ج 7 ص 59 و طبقات المفسرين ص 399/398.

2 – سورة يوسف الآية 02.

لذلك شاء الحق سبحانه أن يكون القرآن معجزة من جنس ما نبغ فيه العرب، وهم أول قوم نزل فيهم القرآن، وحين يؤمن هؤلاء لن يكون التحدي بفصاحة الألفاظ ونسق الكلام، بل بالمبادئ التي تطغى على مبادئ الفرس والروم. وهي مبادئ قد نزلت في أمة مبتدِّية–نسبة إلى البادية– ليس لها قانون يجمعها، ولا وطن يضمهم يكون الولاء له بل كل قبيلة لها قانون، وكلهم بَدْو يرحلون من مكان إلى مكان"[1].

2- الفرق بين معجزة القرآن والمعجزات الأخرى

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن تتنوع وتتعدد المعجزات، حيث جاءت كل معجزة على وفق ما برع فيه القوم وحازوا فيه قصب السبق والبرهان: "إن اختلاف المعجزات في أجيال الناس هو ما اقتضته دواعي الحكمة التي جاءت المعجزات من أجلها، ذلك أن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، وإذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، فكان لا بد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكير من تلقاهم وتتحداهم آخذة بعقولهم وقلوبهم، فيما يدور في هذه العقول وما يختلج تلك القلوب، وبهذا تستولي المعجزة على كيان الناس وتخرس ألسنتهم، وتقوم عليهم الحجة كاملة فإما أن يؤمنوا، وإما أن ينتظروا الهلاك الماحق الذي لا يبقي ولا يذر ...

ومن هنا كانت المهلكات التي وقعت بهؤلاء الأقوام الذين كذبوا رسل الله ،الذين جاءوهم بتلك المعجزات المادية الواقعة في مرأى العين، والتي لا يختلف عليها اثنان في حين أنه لم يعجل الله تعالى بهلاك من ووجهوا بالمعجزة العقلية –وهي القرآن الكريم–لأن هذه المعجزة تحتاج إلى تدبر وتأمل وطول نظر، ولهذا كانت في صحبة دائمة للناس ينظرون فيها بعقولهم، ويرددون النظر فيها حالا بعد حال حتى تنكشف لهم وجوه الإعجاز منها"[2]

لقد حاول الشعراوي أن يعقد مقارنة بين معجزة النبي ﷺ والمعجزات الأخرى وذلك في معرض تفسيره قوله تعالى:﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [3]يقول:"...لكن الفرق بين القرآن والكتب السابقة أنها كانت تأتي بمنهج الرسول فقط، ثم تكون له معجزة في أمر آخر تثبت

1 – تفسير الشعراوي ج11 ص 2821-2822.

2 – تفسير الشعراوي ج11 ص 2821-2822.

3 – سورة الشعراء الآية 192.

صدقه في البلاغ عن الله. فموسى عليه السلام كان كتابه التوراة، ومعجزته العصا، وعيسى عليه السلام كان كتابه الإنجيل، ومعجزته إبراء الأكمة والأبرص بإذن الله، أما محمد ﷺ فكان كتابه ومنهجه القرآن ومعجزته أيضا، فالمعجزة هي عين المنهج. فلماذا؟. قالوا:لأن القرآن جاء منهجا للناس كافّة في الزمان وفي المكان، فلا بد إذن أن يكون المنهج هو عين المعجزة، والمعجزة هي عين المنهج، وما دام الأمركذلك فلا يصنع هذه المعجزة إلا الله، فهو تتزيل رب العالمين. أما الكتب السابقة فقد كانت لأمة بعينها في فترة محددة من الزمن، وقد نزلت هذه الكتب بمعناها لا بنصِّها، لذلك عيسى عليه السلام يقول: "سأجعل كلامي في فمه" أي: أن كلام الله سيكون في فم الرسول بنصّه ومعناه من عند الله، ما دام بنصّه من عند الله فهو تتزيل رب العالمين"[1].

إن معجزة النبي ﷺ –القرآن الكريم– هي أعظم معجزاته ﷺكلها، وهي متصفة بالبقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، في حين أن معجزات غيره من الأنبياء هي معجزات محدودة العدد، قصيرة الأمد، ذهبت بذهاب زمانهم وماتت بموتهم، ومن يطلبها الآن لا يجدها إلا في خبر كان ولا يسلم له شاهد بها إلا هذا القرآن، ولكنه قد يتبادر إلى أذهاننا تساؤل عن الحكمة الإلهية المتوخاة من جعل معجزة الإسلام معجزة عقلية، تبقى خالدة وشاهدة على صدق نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته، وقد كفانا مؤنة الإجابة عن هذا التساؤل الإمام عبد العظيم الزرقاني حين أشار إلى" أن حكمة الله البالغة قضت أن تكون معجزة الإسلام باقية بجانبه تؤيده وتعززه إلى قيام الساعة، حتى لا يكون لأحد عذر في ترك هذا الدين الأخير الذي هو خاتمة الأديان والشرائع، لذلك اختار سبحانه أن تكون معجزة الإسلام شيئا يصلح للبقاء ،فكانت دون سواها كلاما يتلى في أذن الدهر، وحديثا يقرأ على سمع الزمان "[2].

ولذلك يمكننا أن نقول بأن المعجزة القرآنية قد تميزت بجملة من المميزات جعلتها تختلف عن باقي معجزات الأنبياء السابقين.

1- المعجزات السابقة حسية تخاطب الإدراك الحسي بينما المعجزة القرآنية عقلية تخاطب الإدراك العقلي "وهو مرحلة أرقى من الإدراك الحسي، وجاءت مناسبة لختم الرسالات بعد أن وصلت البشرية إلى أرقى مراحل نضجها العقلي."[3]

1 – تفسير الشعراوي ج17 ص 10683 و ما بعدها.

2 – مناهل العرفان في علوم القرآن عبد العظيم الزرقاني ج2 ص 282.

3 – المعجزة القرآنية، بغدادي بلقاسم ص 11.

2- المعجزات السابقة كانت تأتي من جنس الأشياء التي نبغ فيها قوم النبي المرسل فيهم فجاءت عصا موسى عليه السلام لتبطل السحر المتفشي في ذلك العصر، ومعجزة سيدنا عيسى عليه السلام التي جاءت في فترة تطور فيها الطب، وجاءت المعجزة القرآنية من جنس ما برع فيه العرب وهو البلاغة، والفصاحة والبيان[1].

3- المعجزات السابقة كانت منفصلة عما أوحى الله به على الأنبياء المؤيدين بها، أما المعجزة القرآنية فهي من جنس الوحي المترل فكان ظاهرها وحي وباطنها معجزة.

4- المعجزات السابقة يقتصر تأثيرها على من شاهدوا معجزة هذا النبي، حتى إنه ينقضي تأثيرها بانقضاء ذلك النبي ومن عاصروه، بينما معجزة النبي ﷺ لا تقتصر على من شهدوا التنزيل، بل يستمر تأثيرها حتى يوم القيامة.

5- المعجزات السابقة لما كان تأثيرها مقصورا على من عاصرها-أي أنه كان محدود الزمان والمكان- فهي لا تغني عن إرسال الرسل، بينما المعجزة القرآنية فما دامت باقية خالدة فلا حاجة لبعث الرسل بل إن كثيرا من الناس دخل الإسلام و لم ير النبي ﷺ والفضل في ذلك – بعد الله عز وجل- إلى تأثير القرآن.

6- تأثير المعجزات الحسية ضعيف على مستوى العقائد والأخلاق، بعكس المعجزة القرآنية العقلية التي لها أبلغ الأثر على العقائد والأخلاق، فبنو إسرائيل وإن بهرتهم معجزة شق البحر ومرورهم وسطه على أرض يابسة، ولكن مع ذلك لم يلبثوا أن يطلبوا من سيدنا موسى أن يجعل لهم إلها﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُم قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**[2]﴾.

أما تأثير القرآن فكان بليغا وقويا، دلت عليه مواقف أصحاب النبي ﷺ في أحلك وأصعب الظروف، وهذه المواقف أكثر من أن تحصى. من ذلك موقف الصحابة في غزوة بدر، وفي غزوة تبوك لما خرجوا في شدة الحر لمقابلة الروم. فالقرآن كان روحهم التي تسري في أجسادهم وقوتهم كانت مستمدة منه، فالجيش بلا روح تدفعه كالسلاح بلا يد تحمله، فكذلك كان شأنهم مع القرآن[3].

---

1 – المرجع نفسه ص 12 بتصرف.

2 – سورة الأعراف الآية 158.

3 – معجزة القرآنية، بغدادي بلقاسم ص 11 و ما بعدها.

3- عجز العرب عن معارضة القرآن مع تحديه لهم

يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [1]يقول:"عجيب أن يقابل العرب كلام الله بهذا الاتهام، وهم أمة فصاحة وبلاغة وبيان، وقد بلغوا في هذا شأنا عظيما، حتى جعلوا للكلام معارض وأسواقا،كما نقيم الآن المعارض لمنتجاتنا، ولا يعرض في المعارض هذه إلا السلع الجيدة محلّ الفخر، فقبل الإسلام كان في عكاظ وذي المجاز مضمار للقول وللأداء البياني بين الأدباء والشعراء .

فعجيبٌ منهم ألاّ يميزوا كلام الله عن كلام البشر، خاصة وقد تحدّاهم وتحدّى فصاحتهم وبلاغتهم أن تأتي بآية واحدة من مثله، ومعلوم أن التحدي يكون للقوي لا للضعيف، فتحدّى القرآن للعرب يحسب لهم، وهو اعتراف بمكانتهم ومكانة لغتهم، فهو -إذن- شهادة لهم، ويكفيهم أن الله تعالى أدخلهم معه في مجال التحدي .

ولما عجزوا عن الإتيان بمثله راحوا يتهمونه ويتهمون رسول الله، فمرة يقولون: شاعر، ومرة: ساحر، وأخرى يقولون: مجنون، ومرة يقولون: بل يعلّمه ذلك أحد الأعاجم...إلخ، وهذا كله إفلاس في الحجة، فهم يريدون أن يكذّبوا رسول الله ﷺ، أما القرآن في حدّ ذاته، فلا يخفى عليهم أنه كلام الله، وأن البشر لا يقولون مثل هذا الكلام، بدليل أن الوليد بن المغيرة لما سمعه قال:"والله، إن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدِق، وأنه يعلو ولا يُعلى عليه". لذلك لما لم يجدوا في القرآن مطعناً اعترفوا بأنه من عند الله، لكن كان اعتراضهم أن يترل على هذا الرجل بالذات:﴿**وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هذا القرآن على رَجُلٍ مِّنَ القريتين عَظِيمٍ**[2]﴾ فكانوا ينتظرون أن يُترّل القرآن على عظيم من عظمائهم أو ملك من الملوك، لكن أن يترل على محمد هذا اليتيم الفقير، فهذا لا يرضيهم، وقد ردّ القرآن عليهم:﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحياة الدنيا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ [3]يعني: إذا كنا قد قسمنا بينهم أمور الدنيا وما يتفاضلون به من عرضها، فهل نترك لهم أمور الآخرة يقسمونها على هواهم

1 - سورة السجدة الآية 03.

2 - سورة الزخرف الآية 31.

3 - سورة الزخرف الآية 32.

وأمزجتهم؟ والرسالة رحمة من الله يختصّ بها من يشاء من عباده ﴿**وَاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [1]وهذا يعني أنهم انتهوا إلى أن القرآن مُعجِز، وأنه من عند الله لا غبار عليه، والذي قرأه منهم، وأيقن أنه حق قال:﴿**اللهم إِن كَانَ هذا هُوَ الحق مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السمآء أَوِ ائتنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [2]وهذا كلام لا يقول به عاقل، وقد دلّ على غبائهم وحمقهم، وكان الأوْلى بهم أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه. وقد ردّ القرآن على كل افتراءاتهم على رسول الله، وفنّدها جميعا، وأظهر بطلانها "[3].

ولم يكونوا يقصدون من كل هذه الحملات على الرسول ﷺ والقرآن، إلا إنكار الرسالة، ومناهضة النبّي، فلمّا لفتهم إلى مواطن الخير الذي يدعوا إليه القرآن، وإلى تذوق روعته التي لم يستطيعوا إخفاء أثرها فيهم، قالوا: نحن قادرون على مثله. وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**[4]﴾ وأمام هذا التحدّي منهم كان لا بد للقرآن من أن يتحداهم علانية وبقوة، ليبيِّن أنّه معجزة النبي إليهم"[5].

لقد تحداهم القرآن والكلام كلامهم، وهو سيد عملهم، قد فاق بيانهم، وجاشت به صدورهم، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم، حتى قالوا في الحيات والعقارب والذئاب والكلاب والخنافس والجعلان والحمير والحمام وكل ما دّب ودرج ولاح لعين، وخطر على قلب. ولهم بعد أصناف النظم، وضروب التأليف كالقصيد والرجز والمزدوج والمجانس والأسجاع والمنثور وبعد فقد هجوه من كل جانب، وهاجى أصحابه شعراءهم، ونازعوا خطباءهم، وحاجوه في المواقف، وخاصموه في المواسم، وبادروه العداوة وناصبوه الحرب، فقتل منهم وقتلوا منه وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا وأذكرهم لخير أو لشر، وأنفاهم له، وأهجاهم بالعجز وأمدحهم بالقوة، ثم لا يعارضه معارض، ولم يتكلف ذلك خطيب ولا

1 – سورة الأنعام الآية 124.

2 – سورة الأنفال الآية 32.

3 – تفسير الشعراء ج 19 ص 11780.

4 – سورة الأنفال الآية 31

5 – فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص 19.

شاعر، ومحال في التعارف ومستنكر في التصادف أن يكون الكلام أخصر عندهم، وأيسر مؤونة عليهم وهم أبلغ في تكذيبهم، وأنقض لقوله، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه، فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء به، وهم يبذلون مهجهم وأموالهم، ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره، وفي توهين ما جاء به، ولا يقولون بل لا يقول واحد من جماعتهم: لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم وتخرجون من دياركم، والحيلة في أمره يسيرة، والمآخذ في أمره قريبة، ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما في نظم كلامه، كأقصر سورة يخذلكم بها وكأصغر آية دعاكم إلى معارضتها"[1].

4- أوجه الإعجاز

إن إعجاز القرآن تناوله العلماء بالدراسة والبحث، ومع ذلك فما زالت وجوه إعجاز القرآن بكرا لم تفض، فكلما ظهرت معان تجددت معان أخرى، وهكذا فمعاني القرآن مع المتدبرين ولادة لا تنتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فما دام القرآن الكريم يتلى في ظلال التدبر والتفكير، فإن المعاني تتشقق، والأفكار تتولد، والدلالات تتتابع، والإمتاع بالقراءة والتلاوة يملأ النفس خشية، والقلب خشوعا، والفكر نورا، والعقل هداية"[2].

لقد عرف الدكتور ضياء الدين عتر، وجه الإعجاز بقوله:" هو كل مزية في نظم القرآن أو معانيه خارجة عن طاقة المخلوق" ثم يقول: " ونريد بذلك كل وصف امتاز به القرآن عن غيره حتى أعجز المخلوقات عن معارضته فيكون كل وجه معجز شاملا عددا من المعجزات الكثيرة المنبثة من غضون القرآن والتي تتسم جميعا بوصف واحد مشترك أعني أنها تندرج في موضوع واحد[3].

إذن فوجه الإعجاز هو كل أمر حصل به تفرد القرآن عن غيره من النظم وخروجه عليها سواء تعلق ذلك بجانب الألفاظ أو بجانب المعاني.

لقد كان الحديث عن وجوه الإعجاز غاية كل من تطرق إلى قضية الإعجاز القرآني، حيث إنها لب الموضوع، وأن قضية الإعجاز في القرآن الكريم لا يمكن تناولها بمعزل أو بعيد عن بيان وجوه الإعجاز في القرآن، ولذلك يقول الشيخ الطّاهر بن عاشور: "لم أر غرضا تناضلت

1 – سائل الجاحظ. نقلا عن الباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري ص 20.

2 – قضايا القرآنية ص 06.

3 – بينات المعجزة الخالدة، ضياء الدين ص 233.

له سهام الإفهام، ولا غاية تسابقت إلى جياد الهمم فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن، فإنه كان ولم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، وموردها للمعلول والناهل...وإذ قد كان تفصيل وجوه الإعجاز لا يحصره المتأمل.كان علينا أن نضبط معاقدها التي هي ملاكها. فنحدد أن ملاك وجوه الإعجاز –عند العلماء– راجعا إلى أربع جهات أساسية:

الجهة الأولى: بلوغ الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مقدرة معاني دقيقة، ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب، مما لا يفيده أصل وضع اللغة بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام، لما لم يكن معهودا في أساليب العرب ولكنه غير خارج عمّا تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكيمة، والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية ممّا لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن، وفي عصور بعده متفاوتة.

والجهة الرابعة: هي ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيبات، مما دلّ على أنه متزل من علاّم الغيوب"[1].

لقد أشار الشعراوي في تفسيره إلى بعض وجوه الإعجاز، غير أنه ذكرها مفرقة في ثنايا تفسيره، ولم ينهج طريقة المفسرين في بيان أوجه الإعجاز جملة أو بيانها في سياق آيات التحدي، وسأحاول عرض تلك الأوجه التي تحدث عنها الشعراوي في تفسيره ومن بينها:

عطاء القرآن المتجدد:

كثيرا ما يستخدم الشعراوي مصطلح العطاء، وهو الذي تميز به في تفسيره من خلال" لفتات بديعة مأخوذة من ظلال النص وليس من المعنى الحرفي للنص. فهو كثيرا ما يستكشف معاني بديعة اصطادها من تجليات النص وظلاله وإيحاءاته وفيوضاته " [2].

وحتى يقرب المعنى أكثر نجد الشعراوي يتحدث عن سر القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، وأن الرسول ﷺ لم يفسر كل القرآن، ويرى في ذلك ملمحا إعجازيا ،إذ لو فسر النبي ﷺ القرآن كله ما استطاع كائنا من كان أن يتجرأ على حضرته الشريفة فيفسر بعد تفسيره.

1 – مقدمة تفسيره التحرير للطاهر بن عاشور ج1 ص 105/104 الدار التونسية للنشر 1984 م

2 – عبد القادر محمد صالح، التفسير و المفسرون في العصر الحديث، دار المعرفة بيروت، ط 1 2003/1424 م، ص 235.

ولذلك يقول الشعراوي:" لو أن رسول الله ﷺ فسر كونيات القرآن وقت نزوله لجمد القرآن، لأنه لا أحد منا يستطيع أن يفسر القرآن بعد تفسير رسول الله ﷺ، وبذلك يكون عطاء القرآن قد جمد، ولكن ترك رسول الله ﷺ للتفسير أتاح لعطاءات متجددة للقرآن الكريم إلى قيام الساعة، وهكذا كان المنع هو عين العطاء، وهذه معجزة أخرى من إعجاز القرآن الكريم"[1].

أ / الإعجاز العلمي:

يقول الشعراوي: "جاء القرآن يعطي إعجازا لكل جيل فيما نبغوا فيه، وإذا أخذنا العلوم الحديثة التي اكتشفت في القرن العشرين وأصبحت حقائق علمية نجد أن القرآن الكريم قد أشار إليها بإعجاز مذهل، بحيث إن اللفظ لا يتصادم مع العقول وقت نزول القرآن، ولا يتصادم معها بعد تقدم العلم واكتشاف آيات الله في الأرض ولا يقدر على هذا الإعجاز المذهل إلا الله سبحانه وتعالى"[2]. ثم نجد الشعراوي كثيرا ما يدلل على هذا الجانب من خلال ما يعرضه من نماذج ومن ذلك:

1- الإعجاز في الآفاق وفي النفس البشرية :

يقول في قوله تعالى:﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [3]أي أن القرآن له عطاءان في الإعجاز العطاء الأول"آيات الآفاق" وهذه هي الآيات الكونية، والعطاء الثاني"آيات في أنفسهم"، وهذه هي الآيات التي تتعلق بأسرار الجسد البشري. وقوله وقول الحق"**حتى يتبين لهم أنه الحق**" أي أن القرآن هو الحق، ولذلك يمكن أن نقول إن آيات الكون ستأتي موافقة لآيات القرآن الكريم، أي أن الله سبحانه وتعالى وضع في القرآن الكريم من آيات الكون وأسراره، وعن الجسد البشري وتكوينه، آيات يمكن أن يعطيها المؤمنين ولغير المؤمنين"[4].

2- عدم التعارض بين القرآن والعلم : وفي هذا الصدد يقول: "لا تناقض مطلقا بين القرآن والعلم. فإذا جاءت نظرية علمية تناقض القرآن الكريم فالقرآن على حق والنظرية باطلة، وهناك نظريات أخفاها الله سبحانه وتعالى عنا ولكن إخفاءه لها لا يضرنا بشيء"[5].

---

1 - تفسير الشعراوي ج1 ص 11 بتصرف.

2 - المصدر السابق ج1 ص 9.

3 - سورة فصلت الآية 53.

4 - تفسير الشعراوي ج1 ص 15.

5 - المصدر نفسه ج1 ص 22.

ويضيف متحدثا عن هذا الأمر فيقول: " هذا الإعجاز يتفق مع قدرات العقول وقت نزول القرآن الكريم، فإذا تقدم العلم وصل إلى حقيقة ما كان يعتقدها الناس، تجد أن آيات القرآن تتفق

مع الحقيقة العلمية اتفاقا مذهلا، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى"[1].

ب/ الإعجاز الغيبي:

أشار إليه محاولا تقريب معناه عن طريق ضرب أمثلة من واقع الناس حيث يقول: "نزل القرآن متحديا لغير العرب وقت نزوله، فقد حدثت حرب بين الروم والفرس وقت نزول القرآن، وكانت الروم والفرس كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي في عصرنا،كانتا أعظم وأقوى دولتين في ذلك العصر، وحدثت الحرب بينهما وانهزم الروم. وإذ بالقرآن يترل﴿**أَلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**[2]﴾. "ولو أن هذا القرآن من عند رسول الله ﷺ فما الذي يجعله يدخل في قضية كهذه؟. وكيف يغامر الرسول ﷺ في كلام متعبد بتلاوته إلى يوم القيامة لا يتغير ولا يتبدل بإعلان نتيجة معركة ستحدث بعد سنين"[3].

ج / الإعجاز البلاغي: وقد تطرق الشعراوي إلى هذا الوجه الإعجازي في قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**[4]﴾ يقول:"بعد أن بين الحق سبحانه وتعالى لنا أن هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أنداداً، لا يعتمدون على منطق ولا عقل، ولكنهم يعتمدون على شهوات دنيوية عاجلة، أراد أن يأتي بالتحدي بالنسبة للقرآن الكريم المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ، حتى يثبت لهم أن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد جعل خلق الكون إعجازاً محسا، فإن القرآن منهج معجز إعجازا قيماً. قال الله جل جلاله:﴿**وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ**﴾ الخطاب هنا لكل كافر ومنافق غير مؤمن، لأن

1 – تفسير الشعراوي ج1 ص 10.

2 – سورة الروم الآية 03.

3 – تفسير الشعراوي ج1 ص 09-10.

4 – سورة البقرة الآية 23.

الذين آمنوا بالله ورسوله ليس في قلوبهم ريب، بل هم يؤمنون بأن القرآن موحى به من الله، مبلغ إلى محمد ﷺ بالوحي المترل من السماء .

والريب: هو الشك. وقوله تعالى:﴿**إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ**﴾ أي إن كنتم في شك. من أين يأتي هذا الشك والمعجزة تحيط بالقرآن وبرسوله ﷺ؟. ما هي مبررات الشك، ورسول الله ﷺ لا يقرأ ولا يكتب، و لم يعرف بالبلاغة والشعر بين قومه، حتى يستطيع أن يأتي من عنده بهذا الكلام المعجز الذي لم يستطع فطاحل شعراء العرب الذين تمرسوا في البلاغة واللغة أن يأتوا بآيةٍ من مثله. هذه واحدة.

والثانية أن رسول الله ﷺ لا يكذب أبداً، و لم يعرف عنه كذب قبل تكليفه بالرسالة بل كانوا يلقبونه ﷺبالصادق الأمين، والذين كانوا يلقبون رسول الله ﷺ هم الذين اتهموه بأن هذا القرآن ليس من عند الله، أيصدق رسول الله ﷺ مع الناس. ويكذب على الله؟ هذا مستحيل .

الكلام الذي جاء به رسول الله ﷺ وهو القرآن لم يكن أحد ليستطيع أن يأتي به من فطاحل علماء البلاغة العرب. والعلم الذي نزل في القرآن الكريم.لم يكن يعرفه بشر في ذلك الوقت. فكيف جاء النبي الأمي بهذا الكلام المعجز. وبهذا العلم الذي لا يعلمه البشر؟ لو جلس إلى معلم أو قرأ كتب الحضارات القديمة. لقالوا ربما استنبط منها، ولكنه لم يفعل ذلك. فمن أين دخل الريب إلى قلوبهم؟. لاشك أنه دخل من باب الباطل، والباطل لا حجة له."[1]

من مظاهر الإعجاز البياني في تفسير الشعراوي:

-**بيان تفرد أسلوب القرآن وربانية مصدره:** يشير الشعراوي إلى أن النبي ﷺ كان مبلغا عن ربه وما كان ليفتري هذا القرآن من عنده، ويستل على ذلك بمقارنة بين الأساليب الثلاثة، وأنها لا يعقل أن تجتمع في شخص واحد يقول الشعراوي :"رسول الله ﷺ لم يقرأ و لم يكتب، هل يمكن أن تكون له ثلاثة أساليب متميزة تختلف بعضها عن بعض تماما...وهي أسلوب القرآن الكريم، وأسلوب الأحاديث القدسية، وأسلوب الأحاديث النبوية، لا توجد عبقرية في الدنيا من يوم أن خلقت إلى يومنا هذا لها ثلاثة أساليب، لكل منها طابع مميز لا يتشابه مع الآخر، كيف يمكن أن يفرق رسول الله ﷺ وهو يتكلم بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي، بحيث يعطي كلا منها طابعا وأسلوبا مختلفا عن الآخر"[2].

1 – تفسير الشعراوي ج1 ص 190.

2 – تفسير و مفسرون في العصر الحديث عرض و دردشة لأهم كتب التفسير المعصر، عبدالقادر محمد صالح ص 221.

-**مراعاته مقتضى الحال:** لقد حرص الشعراوي في أكثر من موضع على التدليل لتميز الأسلوب القرآني بإرضاء العامة والخاصة، ومراعاته مقتضى الحال، فهو يرى أن:" بلاغة القرآن لها عناصر لا بد أن تتوافر فيها، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولكن العجيب أن القرآن في هذه الناحية، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيه معجزة كبرى...وإعجاز القرآن يأتي في أنه يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا الغني منهم والفقير، التعيس منهم والسعيد، الخادم منهم والسيد إنه يخاطبهم جميعا ويخاطبهم في حالاتهم النفسية كلها...ومن هنا كان الإعجاز الأول في بلاغة القرآن، أنه يحيط علما بحالات أفراد متعددين من أجناس مختلفة، وشعوب مختلفة، وثقافات مختلفة، ولغات مختلفة..."[1]

-**القرآن جاء بلغة العرب التي يجيدونها تعجيزا لهم:** وقد نبه إلى ذلك الشعراوي بقوله :" القرآن الذي بيّن الحق سبحانه وتعالى أنه معجزة ﷺ هو من جنس ما نبغ فيه قومه، فتحداهم من جنس ما برعوا فيه. ويقول لهم: هاتوا مثيلاً له، ولن تستطيعوا، ولو أنه جاء بالقرآن على غير لغتهم في الكلام لقالوا: لا نستطيع، لأن حروف هذه اللغة جديدة علينا. وقد شاء الحق أن يكون القرآن من نفس الحروف التي يتحدثون بها، وبالكلمات التي يعرفونها في لغتهم، وشاء سبحانه أن يجعل حروف وكلمات وآيات وأساليب القرآن غير قابلة للتقليد، لأن المتكلم مختلف، وبهذا جاءت عظمة القرآن لا من ناحية المادة الخام التي تبني منها الكلمات وهي الحروف، بل المعاني والنسق الذي جاءت به الحروف، فالمادة الخام -وهي الحروف- واحدة. وصار القرآن معجزة، لأن المتكلم هو الله "[2].

-**جماليات الأسلوب القرآني:** يعتبر الشيخ الشعراوي مفسرا ذواقا لروعة التعابير القرآنية، وقد سعى في مواضع كثيرة إلى الكشف عن جماليات الأسلوب القرآني، وتقريب تلك الصور لمستمعيه بنحو شيق ممتع "فقد رزق ذوقا حساسا رهيفا، يؤيده إيمان مكين بالقدرة الخارقة على هذا الإعجاز، وبعض الكاتبين يخلبك بالتحليل الذوقي، ولكن لا تلمس في مشاعرك ما يجذبك إلى قوله هذا الجذب

1 - تفسير الشعراء ج1 ص 610.

2 - المصدر نفسه ج9 ص 5638.

الأخاذ، لأن انبثاق النور من قلب الشيخ قد هداه إلى سبيل بعيدة لم يسر فيها غير الأفذاذ، وهم قليلون"[1].

وفي إحدى نماذج هذا التوجه نجده بأسلوب سلس يقرب لمستمعيه ملمحا بلاغيا قد لا ينتبه له إلا الخاصة –وهو خروج الأمر عن معناه الحقيقي لإفادة معنى مجازي لقرينة تدل على ذلك– عن طريق ضرب الأمثلة المحسوسة، حيث يقول في معرض تفسير قوله تعالى:﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيما**[2]﴾ يقول :"حين يقال بشر فالمستمع يفهم أن هناك شيئا يسر، وإذا قال الحق "بأن لهم عذابا أليما" فمعنى ذلك أن الغم يأتي مركبا، فقد بسط الحق أنفسهم بالبشارة أولا، ثم أنهاها

بالنذارة، وعلى سبيل المثال–ولله المثل الأعلى– يقول الأب لابنه ذاكر يا بني حتى لا ترسب، لكن الابن يستمر في اللعب. ثم يقول الأب: يا بني لقد اقترب الامتحان، ولا بد أن تذاكر، ولا يأبه الابن لكلام الأب، ثم يأتي الامتحان ويذهب الأب يوم إعلان النتيجة فيكون الابن راسبا فيقول الأب لابنه: أهنئك..لقد رسبت في الامتحان فقوله: "أهنئك" تبسط نفس الابن لأنه يتوقع سماع خبر سار، ويسمع بعدها لقد رسبت تعطيه الشعور بالقبض".

ذلك جانب من قضايا الإعجاز التي تطرق لها الشعراوي في تفسيره، وما ذكرته إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر، وعلى جهة الإجمال لا التفصيل، وإلا فإن الشيخ الشعراوي قد أبدع فأفاد وأجاد في هذا الباب.

1 – تفسير الشعراوي، جولة في فكرة الموسوعي الفسيح رحيب بيومي، ص 78.

2 – سورة النساء الآية 138.

الفصل الثالث

الأساس اللغوي و البلاغي في تفسير الشعراوي

أولا الأساس اللغوي:

تعتبر اللغة بشتى فروعها من أهم الأسس التي اعتمدها الشعراوي في تفسيره اعتمادا كبيرا، فالشيخ من الذين أوتوا ملكة قوية في اللغة ويكاد هذا الجانب يطغى على تفسيره، فلا يكاد يفسر آية قرآنية حتى يشرح ألفاظها و يذلل معانيها. خاصة وأن تفسيره كان تفسيرا شفهيا موجها لعامة الناس، مما جعله في كثير من الأحيان يحرص على تبسيط الأفكار وتذليل المعاني، فمنهجه في التفسير" أول ما يقوم على التحليل اللغوي للكلمة وتأصيلها وبيان مشتقاتها ومعانيها، وبيان المعنى المراد منها في سياق الآيات القرآنية الكريمة"[1].

وتظهر أهمية هذا الجانب في تفسير الشعراوي من حيث اشتراط العلماء معرفة العربية، والإحاطة بعلوم اللغة أساسا للخائض غمار تفسير كتاب الله ﷻ، وليس ذلك ببعيد عن شخصية الشيخ الشعراوي الذي طاوعته اللغة العربية ودانت له، وكانت وسيلته الأنجع في تبسيط معاني القرآن، وتقديمها بشكل سلس يفهمه العامة والخاصة.

وقد نبه العلماء إلى ذلك فقد روي عن الإمام مالك بن أنس ﷺ قوله:" لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بالعربية إلا جعلته نكالا"[2].

وروى عكرمة[3] عن ابن عباس قال: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه"[4].

وقال السيوطي:" قال العلماء : يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن

1 – الإمام الشعراوي مفسرا و داعية، أحمد عمر هاشه. ص 51

2 – أنظر البيهقي في شعب الايمان: ج 1 ص 292

3 – هو عكرمة بن عبد الله البربري (– 105 هـ) تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير و المغازي، انظر ترجمته: الأعلام ج4 ص 244، و وفيات الأعيان ج 3 ص 265، 266

4 – البرهان للزركشي، ج 1 ص 293

كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة. ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات"[1].

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور:" أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم، وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم،كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها.

إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم"[2].

إن من أبرز ما يتميز به الشعراوي في هذا المجال بيان معاني المفردات القرآنية وأساليب استعمالها، وهو يتفنن في ذلك ويتوسع فيه توسعا كبيرا، يدل على مدى تمكنه من اللغة العربية وتبحره في علومها، ودقته في الاستدلال على المعنى المراد، وصحة حمل الألفاظ على الاستعمال.

أهمية التفسير اللغوي

إن من البديهي والمتعارف عليه "في تاريخ الدراسات القرآنية، أن من القضايا المنهجية المسلم بها في علم التفسير،- التي اعتمدها جميع المفسرين بكل اتجاهاتهم بدرجات متفاوتة- هو أن الدليل اللغوي يعتبر الطريق الأول إلى فهم آي القرآن الكريم، وبتعبير آخر فإنه لا يمكن أن يقوم أي تفسير-أيا كان نوعه وطبيعته-إلا باعتماد اللغة أولا".

فمكانة اللغة من التفسير مكانة عظيمة، منذ نشأة هذا العلم واهتمام السلف به، وقد ظل الناس يعلمون للغة قدرها في علم التفسير بين العلوم الشرعية كلها " وذلك أنهم لا يجدون

1 - الاتفاق للسيوطي ج 2 ص: 488

2 - التحرير و التنوير لابن عاشور ج1 ص: 18

علما من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية بين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع".

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى تعلم اللغة العربية بغية فهم القرآن وتدبر معانيه، ومعرفة أحكامه وتشريعاته، إذ هي وسيلة فهم المراد من خطاب الله تعالى لعباده. وليس لأحد أن يدخل هذا الباب من غير مؤهل، لأن الانحراف عن الحق والصواب في مثل هذه المسائل يكون تقولا على الله بغير علم ولا هدى. ومن هنا كان لابد من تعلم اللغة العربية، كشرط يجب توفره في المفسر بجانب الشروط الأخرى المعروفة مثل معرفة علوم القرآن، الناسخ والمنسوخ، والقراءات وعلوم الحديث والأصول والعقيدة وغيرها، يقول مجاهد: "[1] لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[2].

وبالرغم من أهمية اللغة العربية في التفسير، إلا أن التفسير اللغوي له ضوابط على المفسر التقيد بها إذ " لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل، -ويفسر- بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأم مراد القرآن غيره"[3].

وعلى المفسر أن يحذر" أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية، كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي"[4].

المفردة القرآنية في تفسير الشعراوي:

إن الاهتمام بالمفردة القرآنية ليس أمرا حديثا عند المفسرين المتأخرين، فقد كان للدراسة المعجمية للمفردة القرآنية، عناية كبرى في تاريخ الثقافة اللغوية الإسلامية. بدءا من عهد النبي

1 - هو مجاهد بن حبر المكي (- 104 هـ) أبو الحجاج تابعي مفسر من أهل شيخ القراء و المفسرين.

2 - البرهان الزركشي ج 1 ص: 292.

3 - التفسير القيم لابن القيم دار الهلال ص: 1 بيروت 1990، ص: 277

4 - مقدمة نفسير القرطبي ج 1 ص: 34.

ﷺ، الذي علم أصحابه مكانة الكلمة، وأصالتها ودقتها في إصابة المفهوم المقصود، حينما قال لأصحابه ﷺ: {لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي وَلْيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي}[1].

وليس الشعراوي بدعا في الاحتفاء بالمفردة القرآنية، وإيلائها المكانة المستحقة في عمله التفسيري، بل سبقه إلى ذلك مفسرون كثر ممن ينتمون إلى هذا الاتجاه، غير أنه مما يجدر التنويه به هو أن الشعراوي أثناء تطرقه لشرح المفردات، كان يبتعد عن طريقة أصحاب المعاجم اللغوية، ويعطي رؤية خاصة في تعامله مع المفردة القرآنية، حيث كان يرمي من وراء ذلك " الاهتمام بدراسة البنية الشكلية للوحدات المعجمية من حيث صيغتها، أو أصلها الاشتقاقي، أو عناصرها المكونة لها من ناحية، ويهتم من ناحية أخرى بالجانب الدلالي، فيدرس هذه الوحدات من حيث دلالتها المعجمية العامة، ودلالتها الخاصة التي تكتسبها بالتطور أو بالاستخدام في المجالات والحقول المختلفة، ويهتم على الخصوص بدراسة اللفظ في علاقته بغيره من الألفاظ، كعلاقة الترادف أو التضاد أو الاشتراك، وغير ذلك من الموضوعات الشبيهة بما ذكر"[2].

لقد تعامل الشيخ الشعراوي مع اللفظ القرآني وكأنه كائن حي يتأمل قسماته، ويجس نبضه، ويستمع إلى خلجاته، لذلك تجده في كثير من الألفاظ، يأتي منها بما لا نعلم، لمناسبة يلحظها في السياق، أو في التراكيب. واللغة العربية لغة معطاءة، تجيء بكثير من المعاني متى وقف الدارس أمامها وقفة المتفرس، وكان ذا شفافية يصل بها إلى المستكن الدفين.

من أولويات المفسر دراسة المفردة القرآنية

لم يجد المفسرون قديما ولا حديثا بدا من التعامل مع النص القرآني انطلاقا من وحداته المفردة، وأعني بذلك شرح المفردات، لأنها مفتاح فهم النص" فإن النظر في مفردات النص القرآني من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه، لأنها مفتاح النص، وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات، وكلما أحس الدارس هذه الوقفات، واستشف من المفردات، كلما تعطيه وتلوح به من معنى روحي ورمزي،كان أقدر على الاندماج والمشاركة، وبهذا يصل نفسه

1 – رواه مسلم، حديث رقم 2251، ص:888.

2 – قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، د/عبد العلي الودغيري ص: 04.

بنفس منشئه، ويحلق في آفاقه وخطراته، ويملك تجربته كاملة، وحينما يصل المفسر إلى هذه الدرجة فقد وصل إلى ما ينبغي أن يصل إليه"[1].

فلا يحق لمن لم يتعمّق في دراسة لغة القرآن أن يتصدى لتفسيره، وفي هذا قال الإمام الزركشي: " واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفى فى حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر"[2].

وقال الراغب الأصفهاني في مقدمة المفردات: " إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكام وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة "[3].

طريقة الشعراوي في شرح المفردات.

لقد كانت عناية الشيخ الشعراوي بالمفردة القرآنية عناية خاصة، سار فيها على نهج سابقيه من علماء التفسير، ولقد تعددت مظاهر هذه العناية وتجلت ملامحها في موسوعته التفسيرية، وهو ما سأحاول أن أورد نماذج وأمثلة عنه فيما يلي:

2- ذكر ه الخلاف في المفردة ثم ترجيح المعنى الأقرب في تفسيراللآية

1 – البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري –محمد حسين أبو موسي، دار الفكر العربي القاهرة، ص: 261.

2 – البرهان في علوم للقرآن للزركشي، ج1 ص: 295.

3 – المفردات للراغب الصبهاني طبعة دار القلم، دمشق ط في 1998 ج1 ص: 53.

فمثلا في تفسير قوله تعالى:﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**[1]﴾ يقول الشعراوي:"... وأخذت كلمة "مُقيتاً" من العلماء أبحاثاً مستفيضة. فعالم قال في معناها: إن الحق شهيد، وقال آخر: "إن الحق حسيب"، وقال ثالث: إن "مقيتاً" معناها "مانح القوت" ورابع قال: "إنه حفيظ" وخامس قال:" إنه رقيب". ونقول لهم جميعاً: لا داعي للخلاف في هذه المسألة، فهناك فرق بين تفسير اللفظ بلازم من لوازمه وقد تتعدد اللوازم، فكل معنى من هذه المعاني قد يكون صحيحاً، ولكن المعنى الجامع هو الذي يكون من مادة الكلمة ذاتها. و "مُقيت" من "قاته" أي أعطاه القوت، ولماذا يعطيهم القوت؟ ليحافظ على حياتهم، فهو مقيت بمعنى أنه يعطيهم ما يحفظ حياتهم، ومعناها أيضاً: المحافظ عليهم فهو الحفيظ... إذن كل هذه المعاني متداخلة ومتلازمة، لذلك لا نقول اختلف العلماء في هذا المعنى، ولكن لنقل إن كل عالم لاحظ ملحظاً في الكلمة"[2].

2- ضرب الأمثلة لتبسيط معنى المفردة القرآنية :

من ذلك شرحه لكلمة"يدعون" في تفسير قوله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**[3] يقول:" ولذلك نجد التعبير القرآني: ﴿ **يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا**﴾[4] هناك من يدفعهم إلى النار دفعا، وفي حياتنا-وله المثل الأعلى- نجد الشرطي يمسك بالمجرم من ملابسة ويدفعه إلى السجن، ذلك هو الدع وهكذا يكون قول الحق: ﴿**وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ**﴾ بضم التاء وفتح الجيم، أي أنه مدفوع بقوة قاهرة إلى النهاية، أما المؤمن الواثق فهو يهرول إلى آخرته مشتاقا لوجه ربه"[5].

3- توظيف المعاني الدلالية في شرح المفردة القرآنية:

1 – سورة النساء، الآية 85.

2 – تفسير الشعراوي ج 4 ص: 2502

3 – سورة آل عمران، الآية 109.

4 – سور الطور، الآية 109.

5 – تفسير الشعراوي ج03 ص: 1684.

يتجه الشعراوي أحيانا إلى الربط بين المفردة القرآنية ومعناها الدلالي، ثم بعد ذلك يسقط هذا المعنى في إطار السياق على المعنى المراد، بطريقة سلسة تشد الانتباه. مثال ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـــذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾[1] يقول :"وسوس" مأخوذة من الصوت المغري، لأن الوسوسة هي صوت رنين الذهب والحلي، إذن فما قاله الشيطان لآدم وزوجه هو كلام مغر ليلفتهما عن أوامر رب حكيم"[2] .

ويربط الشعراوي المفردة القرآنية من جانب آخر بمعناها الدلالي الأول، ذلك أن كثيرا من المفردات اكتسبت معان جديدة في ظل التطور الدلالي" هذا التطور الذي يحصل في المعجم هو ما يستدعي كثرة الشروح وتراكمها، وتعددها خلال دراسة المادة المعجمية الواحدة، كما أن من سمات هذا التطور الدلالي أنه يسير ببطء وتدرج، فتغيير مدلول الكلمة مثلا لا يتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتا طويلا ويحدث عادة في صور تدريجية، فينتقل إلى معنى قريب منه، وهكذا إلى ثالث متصل به...وهكذا دواليك حتى تصل الكلمة أحيانا إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول".

و مثال ذلك كلمة "تعالوا" في قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [3] يقول الشعراوي: " وساعة يطلب الحق منا أن ننصت لإنزال حكم يقول لنا ﷻ: ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [4]و معنى "تعالوا" أي ارتفعوا، لأننا نعيش على الأرض، وإياكم أن تشرع الأرض لكم، لأن تشريع الأرض إذا لم يكن في ضوء منهج الله فهو حضيض. والله يريد تشريعا عاليا، ولا بد لكم من أن تتلقوا من السماء أحكامكم، حتى لا تتيهوا ولا تضلوا في باطل تشريعات لا تدور في إطار منهج الله" . فانظر إلى هذا التخريج الدلالي لتلك المفردة القرآنية.

1 – سورة الأعراف، الآية 20.

2 – تفسير الشعراوي ج7 ص: 4084.

3 – سورة الأنعام، الآية 92.

4 – سورة الأنعام، الآية 151.

4- **التوسع في شرح المفردات القرآنية:** وتلك ميزة ظاهرة في تفسيره، حيث يغلب عليه التوسع في شرح المفردات توسعا ملحوظا يظهر بشكل واضح وجلي، ومثال ذلك شرحه للمفردة"عرض" من قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**[1]﴾ .

وكلمة "عرض" إذا ما سمعناها، فلنعلم أنها في المعنى اللغوي: كل ما يعرض ويزول وليس له دوام أو استقرار أو ثبات... وكل شيء يمكن أن يذهب في الإنسان ويجيء هو عرض بالنسبة للإنسان، ويكون الإنسان جوهراً بالنسبة له. فإذا قسنا الإنسان بالنسبة إلى ثابت عنه، فالإنسان عرض، فهذا أمر نسبي، وإلاّ فكل شيء عرض، وكل شيء زائل ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ ألقى إِلَيْكُمُ السلام لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحياة الدنيا**﴾ وعرض الحياة الدنيا هنا هو أن يطمع القاتل فيما يملكه الذي يلقي السلام، وقد يكون عرض الحياة الدنيا –هنا– هو كبرياء نفس الإنسان عندما ينتقم من إنسان بينه وبينه إحن أو بغضاء .

وعندما نجد كلمة "عرض" وهذا العرض في "الحياة الدنيا" نفهم –إذن– أنه عرض فيما لا قيمة له، ولذلك نجد الشاعر يعبر عن مشاعر الإنسان حينما يحزن لفقدان شيء كان عنده، وينسى الإنسان أنه هو شخصياً معرض للموت، أي للذهاب عن الدنيا فيقول:

نفسي التي تملك الأشياء ذاهبة ..... فكيف آسي على شيء لها ذهبا

وكذلك عرض الحياة الدنيا ونفهم كلمة "دنيا" على أساس الاشتقاق، فهي من "الدنو" ومقابله "العلو" ومقابل "الدنيا" هو" العليا". ومن يُقوِّم عرض الحياة الدنيا التقويم الصحيح فهو يملك الذكاء والحكمة والفطنة، لذلك لا يأخذ هذا العرض ممن سيقتله عندما يلقي إليه بالسلام، لأنه يستخدم البصيرة الإيمانية ويأخذ الحياة الدنيا ممن خلقها." [2]

من مظاهر التوسع في شرح المفردات الإشارة إلى الفروق بينها.

1 – سورة النساء، الآية 94.

2 – تفسير الشعراوي ج4 ص: 2570.

ومثال ذلك في تفسيره قوله تعالى :﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [1] يقول: "...ونلاحظ أن كلمة" يرقبون" غير "ينظرون"، وغير "يبصرون"، وهي أيضا غير "يلمحون" وغير "يرمقون"، مع أنها كلها تؤدي معنى الرؤية بالعين، ولكن يرقب تعني يتأمل ويتفحص باهتمام حتى لا تفوته حركة، لذلك إذا قلنا : إن فلانا يراقب فلانا، أي لا تفوته حركة من حركاته وهو ينظر لكل حركة تصدر منه. أما كلمة "نظر" فتعني رأى بجميع عينيه، وكلمة "لمح" تعني رأى بمؤخر عينيه،"رمق" أي رأى من أعلى .وقوله سبحانه وتعالى:﴿**لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾ يعني لا يراعون فيكم عهداً ...".[2]

5- التركيز على المعنى الاشتقاقي للمفردة

يهتم الشيخ الشعراوي بإبراز المعنى الاشتقاقي للمفردة القرآنية، وعادة ما يربطه بالسياق حتى يدلل على دقة الأسلوب القرآني في توظيف تلك المفردة، ومدى انسجامها مع أخواتها في الآية الواحدة، فمثلا في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**[3]﴾ يقول:" وكلمة "القسط" تأتي منها اشتقاقات كثيرة، وهي من الألفاظ التي قد تدل على العدل وقد تدل على الجور،...وهذا من محاسن اللغة، ويتطلب ذلك أن يمحص السامع الكلمة ويتعرف على معناها بما يتطلبه السياق .

"وقَسَطَ" معناها "عدل"، والفعل المضارع لها هو يقسط، والمصدر "قِسطا"، ومرة يكون المصدر "قُسوطا". والمصدر هو الذي قد يحول المعنى من العدل إلى الجور. فالقِسط بمعنى العدل .وقَسَطَ يَقْسِطُ قُسُوطاً ،أي جار وظلم. هنا نجد الفعل يأتي بالمعنى وضده، حتى يمتلك السامع اليقظة والفطنة التي تجعله يعرف التمييز بين معنى العدل ومعنى الجور.

وحين نقول"أقسط" فإنها بمعنى عدل، وهنا ننتبه إلى ما يلي: أن هناك فرقاً بين عَدْلٍ يأتي من أول الأمر وذلك هو القِسط، وهناك حكم ظالم يحتاج إلى حكمٍ آخر يزيل الظلم. وذلك الذي

1 – سورة التوبة، الآية 08.

2 – تفسير الشعراوي ص: 4901.

3 – سورة المائدة الآية 08

نستعمل له"أقسط" أي أزال الظلم، فكأن جوراً كان موجوداً وأزاله الحكم. فالقِسط -إذن- هو العدل الابتدائي، ولذلك نسمع قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ **وَأَمَّا القاسطون فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً**﴾. والقاسطون هنا هم الظالمون، فالقسط هنا من قسط يقسط قُسوطا. وفي الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها يقول الحق:﴿ **شُهَدَآءَ بالقسط**﴾ أي شهداء بالعدل. واللباقة في السامع هي التي توجه اللفظ إلى معناه المراد من خلال السياق، فالسامع للقرآن يفترض فيه الأريحية اللغوية بحيث يستطيع أن يفرق بين الشيء والمشابه له من شيء آخر.

إذن فهناك قسط وأقسط، قسط بمعنى عدل، وأقسط بمعنى أقام القسط بإزالة الجور. والقسوط معناه الجور. والحق يقول:﴿**إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين**﴾ و "المقسطين" هي جمع" مُقسط "، من: أقسط أي أزال الظلم والجور إذن فالذي يرجح المعنى هنا سياق الكلمة ومصدرها. وقد يراد بالكلمة المعنى المصدري. والمعنى المصدري لا يختلف باختلاف منطوقه، فيقال:"رجل عدل" ويقال: "امرأة عدل" ويقال: "رجلان عدل"، ويقال: "امرأتان عدل"، و"رجال عدل" ،و"نساء عدل".[1]

6- تطرقه إلى اللغات: لا يفوت الشعراوي أثناء تفسيره للآيات أن يتعرض للغات العرب في نطق بعض المفردات، مع تعليل ذلك ونسبة تلك اللغة إلى الناطقين بها، ولكن هذا ليس بالكثير في تفسيره.

-ومثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**[2]﴾. "والله سبحانه وتعالى ساعة يستعمل كلمة "يشري" يجب أن نلاحظ أنها من الأفعال التي تستخدم في الشيء ومقابله، فـــ"شرى" يعني أيضا "باع" إذن كلمة "شرى" لها معنيان، واقرأ إن شئت في سورة يوسف قوله تعالى:﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ**﴾ [3] أي باعوه بثمن رخيص. وتأتي أيضا بمعنى اشترى، فالشاعر العربي القديم عنترة ابن شداد يقول:

فخاض غمارها وشرى وباعا ...

1 - تفسير الشعراوي ص: 2978.

2 - سورة البقرة الآية 207.

3 - سورة يوسف الآية 20.

إذن "شرى" لغة، تُستعمل في معنيين : إما أن تكون بمعنى "باع"، وإما أن تكون بمعنى "اشترى" ،والسياق والقرينة هما اللذان يحددان المعنى المقصود منهم فقول عنترة : "شرى وباع" نفهم أن المقصود من "شري" هنا هو "اشترى" ،لأنها مقابل "باع" .

وقوله تعالى:﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ**﴾ يوضحه سياق الآية بأنهم باعوه. وهذا من عظمة اللغة العربية، إنها لغة تريد أناسا يستقبلون اللفظ بعقل، ويجعلون السياق يتحكم في فهمهم للمعاني" .

– ومن ذلك أيضا ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**[1]﴾ بعد عرضه للقراءات فيها يقول:"....وعلى القراءة الثانية بالتشديد﴿**إنَّ هذان لساحران**﴾ فإنَّ حرف ناسخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، تقول : إنَّ زيداً مجتهدٌ، أما في الآية بهذه القراءة ﴿**إنّ هذان لساحران**﴾ جاء اسم إنَّ هذان بالرفع بالألف؛ لأنه مثنى، والقاعدة تقتضي أن نقول (هذين). فكيف يتم توجيه إنَّ المشددة الناسخة وبعدها الاسم مرفوع؟ .

قالوا : هذه لغة كنانة إحدى قبائل العرب، وكان لكل قبيلة لهجتها الخاصة ولغتها المشهورة فيقولون: جعجعة خزاعة، وطُمْطُمانيّة حِمْيَر، وتَلْتلة بَهْراء، وفحفحة هذيل....إلخ .

ولما نزل القرآن نزل على جمهرة اللغة القرشية، لأن لغات العرب جميعها كانت تصبُّ في لغة قريش في مواسم الحج والشعر والتجارة وغيرها، فكانت لغة قريش هي السائدة بين لغات كل هذه القبائل، لذلك نزل بها القرآن، لكن الحق تبارك وتعالى أراد أن يكون للقبائل الأخرى نصيب، فجاءت بعض ألفاظ القرآن على لهجات العرب المختلفة للدلالة على أن القرآن ليس لقريش وحدها، ليجعل لها السيادة على العرب، وإنما جاء للجميع .

ومن لهجات القبائل التي نزل بها القرآن لهجة كنانة التي تلزم المثنى الألف في كل أحواله رَفْعاً ونَصْباً وجراً. وشاهدهم في كتب النحو قول شاعرهم :

وَاهَاً لِسَلْمى ثُمَّ وَاهَا وَاهَا يَا لَيْتَ عَيْناهَا لَنَا وَفَاهَـــا
هِيَ المُنَى لَوْ أَنَّنَا نِلْناهَـــا ومَوْضِع الخُلْخال من قَدمَاهَا
إنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَـــــا قَدْ بلغَا في المَجْدِ غَايتَاهَـــا

1 – سورة طه الآية 63.

فقال : إنَّ أباها. و لم يقل: إنَّ أبيها، لأنه يُلزِم المثنى الألف .

إذن : لم يترل القرآن بلغة قريش على أنها لغة سيادة، وإنما لأنها تنطوي على زُبْدة فصاحات لغات الجزيرة كلها، وكانت لغة قريش تصفَّى في مواسم الشعر والأدب في عكاظ وذى المجنّة وغيرها"

7- البحث في أصل المفردة

ومن القضايا اللغوية التي تعرض لها الشيخ في تفسيره بيانه لأصل المفردة؟ وهل في القرآن غير العربي؟ وهو خلاف قديم جديد بين العلماء.

لكن الشعراوي لم يتطرق إلى مذاهب العلماء في المسألة، إنما اكتفى بالتنبيه على عربية القرآن، وأن ما ورد من مفردات غير عربية عرّبت عن طريق الاستعمال. ولتوضيح ذلك أكثر نجده في تفسير قوله تعالى:﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾[1] يقول: "وكلمة آمين اختلف العلماء فيها،...-يقصد في عربيتها- نقول أن ورود كلمة ليست من أصل عربي في القرآن الكريم. لا ينفي أن القرآن كله عربي. بمعنى أنه إذا خوطب به العرب فهموه، وهناك ألفاظ دخلت في لغة العرب قبل أن يترل القرآن. ولكنها دارت على الألسن بحيث أصبحت عربية وألفتها الأذان العربية[2].

فليس المراد بالعربي هو أصل اللغة العربية وحدها، وإنما المراد أن القرآن نزل باللغة التي لها شيوع على ألسنة العرب. وما دام اللفظ قد شاع على اللسان قولا وفي الآذان سمعا. فإن الأجيال التي تستقبله لا تفرق بينه وبين غيره من الكلمات التي هي من أصل عربي. فاللفظ الجديد أصبح عربيا بالاستعمال، وعند نزول القرآن كانت الكلمة شائعة شيوع الكلمة العربية".

8- المشترك اللفظي في تفسير الشعراوي :

يعرف الشعراوي اللفظ المشترك ثم يمثل له فيقول:" المشترك: "اللفظ يكون واحدا ومعانيه تختلف حسب السياق" فمثلا كلمة قضى لها معان متعددة، ولها معنى يجمع كل معانيها. مرة يأتي بها الحق بمعنى فرغ أو انتهى. ففي قوله تعالى:﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فاذكروا**

1 - سورة الفاتحة الآية 07.

2 - تفسير الشعراوي ج1 ص 89.

الله كَذِكْرِكُمْ آبَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً[1]﴾. ومعناها إذا انتهيتم من مناسك الحج. ومرة يقول سبحانه:﴿**فاقض مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هذه الحياة الدنيآ**[2]﴾. والمعنى افعل ما تريد. وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخيرة مِنْ أَمْرِهِمْ**[3]﴾. والمعنى هنا أنه إذا قال الله شيئا لا يترك للمؤمنين حق الاختيار. ومرة يصور الله جل جلاله الكفار في الآخرة وهم في النار يريدون أن يستريحوا من العذاب بالموت. واقرأ قوله سبحانه: ﴿**وَنَادَوْاْ يامالك لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ**[4]﴾. لِيَقْضِ علينا هنا معناها يميتنا، ومعنى آخر في قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ الشيطان لَمَّا قُضِيَ الأمر**﴾ [5]أي لما انتهى الأمر ووقع الجزاء .وفي موقع آخر قوله سبحانه: ﴿**فَلَمَّا قضى مُوسَى الأجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ**[6]﴾. قضى الأجل هنا بمعنى أتم الأجل وفي قوله تعالى:﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقسط وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**[7]﴾. أي حكم وفصل بينهم، وقوله جل جلاله:﴿**وَقَضَيْنَآ إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكتاب لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرض مَرَّتَيْنِ**[8]﴾. بمعنى أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم. إذن "قضى" لها معان متعددة يحددها السياق. ولكن هناك معنى تلتقي فيه كل المعاني .. وهو قضى أي حكم وهذا هو المعنى الأم .إذن معنى قوله تعالى:﴿**وإِذَا قضى أَمْراً**[9]﴾ .أي إذا حكم بحكم فإنه يكون. على أننا يجب أن نلاحظ قول الحق: ﴿**وَإِذَا قضى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ**﴾ [10]. معنى يقول له أن الأمر موجود عنده .موجود في علمه، ولكنه لم يصل إلى علمنا. أي أنه ليس أمرا جديدا، لأنه مادام الله سبحانه وتعالى قال: "يقول له" كأنه جل جلاله يخاطب موجودا، ولكن هذا الموجود ليس في علمنا ولا نعلم عنه شيئا. وإنما هو موجود في علم الله سبحانه وتعالى، ولذلك قيل أن لله أموراً

1 – سورة البقرة الآية 200.
2 – سورة طه الآية 72.
3 – سورة الأحزاب الآية 36.
4 – سورة الاحزاب الآية 77.
5 – سورة إبراج الآية 22.
6 – سورة القصص الآية 29.
7 – سورة يونس الآية 54.
8 – سورة الإسراء الآية 04.
9 – سورة البقرة 117.
10 – سورة البقرة 117.

يبديها ولا يبتديها. إنها موجودة عنده لأن الأقلام رُفِعَت، والصحف جفت، ولكنه يبديها لنا نحن الذين لا نعلمها لنعلمها".

9- بيان المعاني الشرعية والعرفية إلى جانب المعاني اللغوية

أ/ الإشارة إلى المعنى الشرعي(الحقيقة الشرعية) :

ومثال ذلك كلمة الصدقة في قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [1]يقول:"....وقول الحق سبحانه وتعالى:﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ**﴾ معناها:أن الصدقات محصورة في هؤلاء ولا تتعداهم. فمن هم هؤلاء الذين حصر الحق سبحانه وتعالى فيهم الصدقة؟ وما المراد هنا بالصدقة؟ هل هي صدقة التطوع أو الزكاة ؟ نقول: ما دام الحق سبحانه وتعالى قد حدد لها مصارف فهي الزكاة، ولسائل أن يسأل: لماذا لم يَقُل الحق سبحانه وتعالى الزكاة وقال الصدقة؟ ونقول: ألا ترى –في المجتمعات غير الإيمانية الملحدة – أن من الناس من يفكرون في إنشاء مؤسسات اجتماعية لرعاية الفقراء؟ إن عطف الإنسان على أخيه الإنسان هو أمر غريزي خلقه الله فينا جميعاً، ولذلك كان يجب أن نفهم أن الزكاة صدقة، ولو لم يشرعها الله لكان يجب أن يقدمها الإنسان لأخيه الإنسان. وحوادث الكون كلها تدل على صدق وصف الحق سبحانه وتعالى للزكاة بأنها صدقة، لأنها تأتي تطوعاً من غير المؤمن وغير الملتزم بالتشريع، ويحس القادر بالسعادة وهو يعطي لغير القادر، وعي غريزة وضعها الله في خلقه ليخفف من الشقاء في الكون.".

ب / استخدام المفردة في العرف السائد (الحقيقة العرفية)

يقول الشعراوي: "إن للعرف في تحديد ألفاظ الشارع مدخلاً، فإذا حلفت ألا تأكل لحماً وأكلت سمكا فهل تحنث؟ لا تحنث، ويمينك صادقة، رغم أن الله وصف السمك بأنه لحم طري، إلا أن العرف ساعة يُطلق اللحم لم يدخل فيه السمك. إذن فالعرف له اعتبار، لذلك فالزمخشري صاحب الكشاف يقول في هذه المسألة: "لوحلفت ألا تأكل اللحم وأكلت السمك، فإجماع العلماء على أنك لم تحنث في يمينك". وضرب مثلا آخر فقال: لو حلفت بأن تركب دابة، والكافر قد أسماه الله دابة فقال:﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ**

1 – سورة التوبة الآية 60.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [1]فهل يجوز ركوب الكافر؟ لا يجوز، فكان مقتضى الآية أنه يصح لك أن تركبه وعلق على ذلك قائلا : صحيح أن الدابة هي كل ما يدب على الأرض، إلا أن العرف خصها بذوات الأربع. لهذا كان للعرف مدخل في مسائل التحليل والتحريم. فإذا قال قائل: إن الله حرم الميتة، والسمك والجراد ميتة فلماذا نأكلها؟. نرد عليه: إن العرف جرى على أن السمك والجراد ليسا لحماً".

توظيف النحو والإعراب في تفسيره

يعتمد الشيخ الشعراوي في تفسيره للآيات القرآنية وشرحه لمفرداتها، على ثقافته النحوية العالية، إذ يعد ذلك أحد الأسس التي بنى عليها تفسيره، فالإعراب أحد دعائم الشعراوي في تفسيره، فإنك لا تكاد تمر بآية من آيات القرآن إلا وتلحظ مدى عناية الشيخ بذكر أوجه الإعراب والنحو فيها.

ولقد كان اهتمام العلماء القدامى بالإعراب واضحا وجليا، فقد عدوه ضمن الأدوات التي يتسلح بها من ينبري لتفسير الكتاب العزيز، حتى" إن بعض العلماء كان يجعل من إعراب القرآن علما، ويعده من فروع التفسير لا النحو..."[2].

ويقول عبد القاهر الجرجاني: "[3]إن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وإن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه، حتى يعرض عليه، والمقياس الذي يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه"[4].

بيد أن اعتماد النحو والإعراب لابد أن يكون بمقدار، وأن لا يطغى جانب النحو على جانب البيان والتفسير، والكشف عن مراد الله، لدرجة أن يصبح النص القرآني مجرد تمارين ونماذج تطبيقية للقواعد النحوية، فيفقد التفسير بذلك معناه ومقصده.

وسأحاول تقديم نماذج تترجم مدى حرص الشعراوي على هذا الجانب في تفسيره، ولعل من أبرز تلك المظاهر ما يلي:

1-إعراب الآيات القرآنية مما يدل على تحكمه في علم النحو

1 – سورة الأنفال الآية 55.

2 – كشف الظنون ج1 ص 127.

3 – هو أبو بكر عبد القادر بن عبد الحمن بن محمد الجرجاني، نسبته إلى جرجان مدينة فارسية (– 474 هـ) ينظر للاعلام للزركجي، ونعية الوعاة للسيوطي.

4 – دلائل الإعجاز، ص: 87.

من ذلك تفسير قوله تعالى:﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً**﴾ [1]يقول الشعراوي:" وقد يأتي لفظ من المحتمل أن يكون أداة شرط، ويحتمل أن يكون اسما موصولا مثل قولنا: من يذاكرُ ينجحُ. بالضم فيهما، و"من" هنا هي اسم موصول، فالذي يذاكر هو من ينجح. وقد نقول: من يذاكر ينجح. بالسكون وهنا "مَن" شرطية. وفي الاسم الموصول نجد الجملة تسير على ما هي، أما إذا كانت شرطية، فهناك الجزم الذي يقتضي سكون الفعل، ويقتضي -أيضا- جوابا للشرط. و "من" تصلح أن تكون اسما موصولا، وتصلح أن تكون أداة شرط، ونتعرف -عادة- على وضعها مما يأتي بعدها. مثال ذلك قوله الحق:﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ**﴾ ونجد "يتبع" هنا عليها سكون الجزم، وهذا يدل على أن "من" شرطية.

وتختلف القراءة لو اعتبرنا "من" اسم موصول، لأن هذا يستدعي ترك الفعل "يشاقق" في وضعه كفعل مضارع مرفوع بالضمة، وكذلك يكون "يتبع" فعلا مضارعا مرفوعا بالضمة، عند ذلك نقول: "**نوليه ما تولى ونصليه**". ولكن إن اعتبرنا من " أداة شرط - وهي في هذه الآية شرطية -فلا بد من جزم الفعل فنقرأها "**ومن يشاققْ الرسول من بعد ما تبين له الهدى**". وكذلك نجزم الفعل المعطوف وهو قوله: (ويتبع) ويجزم جواب الشرط وما عطف عليه وهو قوله: (نولّه) (ونصله) والجواب وما عطف عليه مجزومان بحذف حرف العلة وهي الياء من آخره﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً**﴾ ومعنى " تَولّى" أي قرب، ويقال: فلان وَلِي فلان، أي صار قريباً له. ومن يتبع غير سبيل المؤمنين، فالحق لا يريده بل ويقربه من غير المؤمنين ويكله إلى أصحاب الكفر"..

2-توظيف الإعراب في بيان روعة ودقة الأسلوب القرآني في تلاؤم الألفاظ. ومثال ذلك تفسيره قول الحق سبحانه ﴿**سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [2]. يقول : "وسبحانه حين يورد كلمة في القرآن بموقعها البياني الإعرابي، فهي تؤدي المعنى الذي أراده سبحانه .والمثل هو كلمة "سلام"، فضيف إبراهيم من الملائكة:﴿**قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ**﴾ [3]وكان القياس يقتضي أن يقول هو "سلاماً" ولكنها قضية إيمانية، لذلك قال:﴿**سَلاَمٌ**﴾ فالسلام هنا لم يأت منصوبا،

1 - سورة النساء الآية 115.

2 - سورة الرعد الآية 24.

3 - سورة هود الآية 69.

بل جاء مرفوعا، لأن السلام للملائكة أمر ثابت لهم، وبذلك حياهم إبراهيم بتحية هي أحسن من التحية التي حيّوه بها. فنحن نسلّم سلاما، وهو يعني أن نتمنى حدوث الفعل، ولكن إبراهيم عليه السلام فطن إلى أن السلام أمر ثابت لهم. وهكذا الحال هنا حين تدخل الملائكة على العباد المكرمين بدخول الجنة، فهُم يقولون:﴿**سَلَامٌ**﴾ وهي مرفوعة إعرابيا، لأن السلام أمر ثابت مستقر في الجنة، وهم قالوا ذلك، لأنهم يعلمون أن السلام أمر ثابت هناك، لا يتغير بتغير الأغيار، كما في أمر الدنيا"[1].

3-توظيف الإعراب في بيان الأحكام الفقهية:

ففي تفسير قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلاَةِ فٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَينِ...﴾ [2]يقول الشيخ الشعراوي: "لماذا إذن اختار الحق هنا هذا الأسلوب ﴿**ٱمْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ مع أن في الآية أساليب كثيرة، منها أسلوب مجرد عن الغاية، وأسلوب موجود به الغاية، وهذا الأسلوب لا هو مجرد ولا هو موجود به الغاية؟ وقال الحق:﴿**ٱمْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ ولنا أن نبحث عن كيفية استعمال حرف (الباء) التي تسبق "رءوسكم" إن "الباء" في اللغة تأتي بمعان كثيرة. قال ابن مالك في الألفية:

بالباء استعن وعد عوض الصق ... ومثل "مع" و "من" و "عن" بها انطق

ومقصود بها أن تعطي الحرية للمشرع، لأن الباء تأتي لمعان كثيرة، للاستعانة مثل :كتبت بالقلم، ولتعدية الفعل اللازم نحو: ذهبت بالمريض إلى الطبيب، وللتعويض مثل: اشتريت القلم بعشرين جنيها، والالتصاق نحو: مررت بخالد، وتأتي بمعنى"مع" مثل: بعتك البيت بأثاثه أي مع أثاثه، وبمعنى "من" مثل: شرب بماء النيل أي من ماء النيل، وبمعنى "عن" مثل قوله تعالى﴿**سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ وتأتي أيضا للظرفية نحو: ذهبت إلى فلان بالليل أي في الليل، وتكون السببية نحو: باجتهاد محمد منح الجائزة أي بسبب اجتهاده، إلى غير ذلك من المصاحبة نحو: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ أي سبح مصاحبا حمد ربك. إن الذي يقول: امسحوا بعض رءوسكم ولو

1 - تفسير الشعراوي ج12 ص 7300.

2 - سورة المائدة 06.

شعرة، فهذا أمر يصلح ويكفي وتسعفه الباء لغة، والمسح يقتضي الإلصاق، والآلة الماسحة هي اليد. وهناك من يقول: نأخذ على قدر الأداة الماسحة وهي اليد أي مسح مقدار ربع الرأس"[1].

إذن كل حكم من هذه الأحكام يصلح لتمام تنفيذ حكم مسح الرأس، ولو أن الله يريدها على لون واحد لأوضح ما أراد، فإن أراد كل الرأس لقال: "امسحوا رءوسكم" كما قال﴿**فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ** ﴾ وإن كان يريد غاية محددة، لحدد كما حدد غسل اليدين إلى المرفقين"[2].

"...ويقول الحق من بعد الأمر بمسح الرأس: "وأرجلكم". وكان سياق النص يقتضي كسر اللام في "أرجلكم" ولكن الحق جاء بالأرجل معطوفة على غسل الوجه واليدين. وغير معطوفة على "برءوسكم" وهذا يعني أن الرجلين لا تدخلان في حيز المسح، إنما تدخلان في حيز الغسل. ونبه الحق بالحركة الإعرابية على أنها ليست معطوفة على الجزء المصرح بمسحه، ولكنها معطوفة على الأعضاء المطلوب غسلها. ولم يأت الحق بالممسوح في جانب والمغسول في جانب، ليدل على أن الترتيب في هذه الأركان أمر تعبدي، وإلا لجاء بالمغسول معا والممسوح معا، ويحدد الحق أيضا غسل الرجلين إلى الكعبين﴿**أَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ**﴾ والرجل تطلق على القدم، وتطلق على القدم والساق إلى أصل الفخذ. ويريد سبحانه غسل الرجلين محدودا إلى الكعبين".

مباحث نحوية وصرفية في تفسير الشعراوي

- اسم الإشارة :

ومثال ذلك في تفسيره قوله تعالى:﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**[3]﴾.يقول: "...إن الحق سبحانه وتعالى يشير إلى الرسل بقوله: "تلك الرسل" و "الرسل" هي جمع لمفرد هو "رسول"، والرسول هو المكلف بالرسالة. والرسالة هي الجملة من الكلام التي تحمل معنى إلى هدف. ومادام الرسل جماعة فلماذا لم يقل الحق "هؤلاء الرسل" وقال " تلك الرسل"؟. ذلك ليدلك القرآن الكريم على أن الرسل مهما اختلفوا فهم مرسلون من قبل إله واحد وبمنهج واحد. وكما عرفنا من قبل أن الإشارة بـــ"تلك" هي إشارة لأمر بعيد. فعندما نشير إلى شيء

1 - تفسير الشعراوي ج5 ص:2958.

2 - المصدر نفسه ج5 ص: 2960.

3 - سورة البقرة الآية 253.

قريب فإننا نقول: "ذا" وعندما نستخدم صيغة الإشارة مع الخطاب نقول: "ذاك" وعندما نشير إلى مؤنث فنقول: "ت" وعندما نشير إلى خطاب مؤنث: "تيك"و"اللام" كما عرفنا هنا للبعد أو للمنزلة العالية .

إذا، فقوله الحق:"تلك الرسل" هو إشارة إلى الرسل الذين يعلمهم سيدنا محمد ﷺ، أو الرسل الذين تقدموا في السياق القرآني. والسياق القرآني الذي تقدم تحدث عن موسى عليه السلام، وعن عيسى عليه السلام، وتكلم السياق عن أولي العزم من الرسل".

-صيغة المبالغة:

وهنا يقول الحق سبحانه:﴿**وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ [1]وكأن القميص كان معهم، ووضعوا عليه دماً مكذوبا، لأن الدم لا يكذب، إنما كذب من جاء بدم الشاة ووضعه على القميص. وشاء الحق سبحانه هنا أن يعطي الوصف المصدري للمبالغة، وكأن الدم نفسه هو الذي كذب، مثلما تقول"فلان عادل"، ويمكنك أن تصف إنساناً بقولك "فلان عدل" أي:كأن العدل تجسّد فيه، أو قد تقول "فلان ذو شر"، فيرد عليك آخر "بل هو الشر بعينه"، وهذه مبالغة في الحديث"[2].

-النكرة والمعرفة:

ومثاله في قوله تعالى:﴿**رَبِّ اجعَلْ هَذا بَلدًا آمِناً**[3]﴾. وتكررت في آية أخرى﴿**اجعل هذا البلد ءامنا**[4]﴾. فمرة جاءت نكرة ومرة جاء بها معرفة، إن إبراهيم حين قال:﴿**رب اجعل هذا بلدا آمنا**﴾ طلب من الله شيئين: أن يجعل هذا المكان بلدا، وأن يجعله آمنا "[5].

ثم يتساءل الشعراوي: "ما معنى أن يجعله بلدا؟...كلمة بلد حين تسمعها تنصرف إلى المدينة، والبلد هو البقعة تنشأ في الجلد فتميزه عن باقي الجلد،كأن تكون هناك بقعة بيضاء في الوجه أو الذراعين، فتكون البقعة التي ظهرت مميزة ببياض اللون والمكان، إذالم يكن فيه مباني جعلت فيه علامة تميزه عن باقي الأرض المحيطة به"[6].

-النداء

---

1 – المصدر نفسه ج5 ص: 2551

2 – تفسير الشعراوي ج11 ص: 6887.

3 – سورة البقرة الآية 126.

4 – سورة ابراهيم الآية 35.

5 – تفسير الشعراوي ج1 ص: 600.

6 – تفسير الشعراوي ج1 ص:600.

ومثال ذلك في تفسيره قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[1]يقول:"نأتي في النداء بحرف الإقبال وهو "يا" وندخله على "المُنادى" أي أنك تطلب إقباله. فهل نطلب إقباله لمجرد الإقبال أو لشيء آخر؟ مثال ذلك قول الحق:﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾[2] إذن النّداء هنا لتلاوة التكليف عليهم وحين ينادي الحق سبحانه وتعالى أشرف من ناداهم وهم رسله، ونجد أنه نادى كل الرسل بمُشخَّصاتِهم العَلَمِيّة (يا آدم) والمُشَخّص العلمي هو الاسم، وهو لا يعطي وصفا إلا تشخيص الذات بدون صفاتها. وكذلك نادى الحق إبراهيم عليه السلام:﴿**يا إبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيآ**﴾ [3] وكذلك نادى الحق نوحاً:﴿**يانوح اهبط بِسَلاَمٍ**[4]﴾. وكذلك نادى الحق موسى عليه السلام:﴿**ياموسى إني أَنَا الله**[5]﴾. وكذلك نادى الحق عيسى ابن مريم عليه السلام:﴿**ياعيسى ابن مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ**[6]﴾.كل الرسل ناداهم الحق بالمشَخّص العلَمي الذي لا يعطي إلا التشخيص، ولكن رسول الله ﷺخاتم الرسل ما ناداه الله باسمه أبدا، إنما ناداه الله بالوصف الزائد عن مشخّصات الذات فيقول: "يا أيها الرسول"، ويقول: "يا أيها النبي" .حقًّا إنّ الجميع رُسل، ولكنه سبحانه يريد أن يبلغنا أن محمداً ﷺ هو الرسول الذي جاء ناسخاً ومؤمناً بالكُلّ، هو الذي يستحق النداء بالوصف الزائد عن مُشَخصات الذات: "يا أيها الرسول". وهو الرسول الذي تقوم عليه الساعة. ولذلك نجد خطاب الحق لرسوله دائما: "يا أيها الرسول"أو: "يا أيها النبي"، وهذا نوع من التكريم " [7].

- العطف

ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [8]"وهنا يسمى

1 – سورة المائدة الآية 41.
2 – سورة الأنعام الآية 151.
3 – سورة الصافات الآية 104-105.
4 – سورة هود الآية 48.
5 – سورة القصص الآية 30.
6 – سورة المائدة 116.
7 – تفسير الشعراوي ج5 ص:3139.
8 – سورة هود الآية 48.

الحق ما لم يذكر اسم الله عليه بـــ"الفسق" وهو ما تشرحه الآية الأخرى وتبرزه باسم مخصوص: ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَآ أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**[1]﴾. إذن فـــ"فسقاً" معطوفة على الميتة والدم المسفوح ولحم خنزير، لكنه سبحانه فصل بين المعطوف وهو "فسقاً"، والمعطوف عليه بحكم يختص بالمعطوف عليه، وهذا الحكم هو الرجس وهكذا أخذت الثلاثة المحرمات حكم الرجس. وعطف عليها ما ذبح عليه اسم غير الله كالأصنام وهو قد جمع بين الرجس والفسق"[2].

- مباحث صرفية في تفسير الشعراوي

وفي هذا الباب يعرض الشعراوي لبعض القضايا الصرفية، مثل حديثه عن أوزان المفردات القرآنية، ومثال ذلك وزن" تَفْعُله" في تفسير قوله تعالى:

1-﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**[3]﴾ يقول:"وهذه الآية جاءت بعد آيات القتال، ومعناها: أعدوا أنفسكم للقتال في سبيل الله. وقوله الحق:﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة**﴾ تقتضي منا أن نعرف أن كلمة "تهلكة" على وزن "تَفْعُلة" ولا نظير لها في اللغة العربية إلا هذا اللفظ، لا يوجد على وزن تَفْعُلة في اللغة العربية سوى كلمة" تَهْلُكة"، والتهلكة هي الهلاك، والهلاك هو خروج الشيء عن حال إصلاحه بحيث لا يُدرى أين يذهب، ومثال ذلك هلاك الإنسان يكون بخروج روحه. والحق يقول:﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ويحيى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾ [4]فالهلاك ضد الحياة"[5].

2- في قوله تعالى:﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**﴾ [6]، "الفعل كَبْكب يعني:كبّوا مرة بعد أخرى على وجوههم، فهي تعني تكرار الكبِّ، فكلما قام كُبَّ على وجهه مرة أخرى، وهي على وزن "فعللة" الدال على التكرار كما تقول: زقزقة العصافير، ونقنقة الضفادع. والمراد هنا الأصنام تكبّ على وجوهها، وتسبق من عبدها إلى النار،كما قال تعالى:﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن**

1 - سورة الأنعام الآية 145.

2 - تفسير الشعراوي ج7 ص: 3911.

3 - سورة البقرة الآية 195.

4 - سورة الأنفال الآية 42.

5 - تفسير الشعراوي ج2 ص: 844.

6 - سورة الشعراء الآية 94.

دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [1]وقال :"هم والغاوون" فالغاوون يسبقون من أغوَوْهم وأضلوهم، ليقطع أمل التابعين لهم في النجاة، فلو دخل التابعون أولا لقالوا: سيأتي من عبدناهم لينقذونا، لكن يجدونهم أمامهم قد سبقوهم، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القيامة فَأَوْرَدَهُمُ النار**﴾ "[2]. [3]

المبحث الثاني
الاتجاه البلاغي في تفسير الشعراوي

البلاغة وعلم التفسير

تعد البلاغة القرآنية من أهم الأبحاث التي عني بها الشيخ الشعراوي أثناء تفسيره لآيات الذكر الحكيم، يظهر ذلك من خلال أسلوبه المتميز في عرض ومناقشة قضايا الإعجاز القرآني، مع تركيزه على بيان جماليات الخطاب القرآني، وأسراره البيانية ونكاته البلاغية، وذلك إيمانا منه "بأن التفسير ليس معرفة معاني القرآن فحسب، بل هو أيضا بيان لأسرار إعجازه، بل إن نفس معرفة معانيه لا تتم إلا لمن تمت له آلة البلاغة، وعرف وجوه الأساليب وخصائصها المعنوية، وحذق الأسباب المعينة على تميز صور الكلام البيانية "[4].

فعلم البلاغة من بين أبرز العلوم التي نبه العلماء على وظيفته في بيان معاني القرآن، قال الزركشي: "النوع الحادي والعشرون (من علوم القرآن): معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع. وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز و تأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك...و اعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة..."[5].

---

1 – سورة الأنبياء الآية 98.

2 سورة هود الآية 98.

3 – تفسير الشعراوي ج17 ص 10609.

4 – البلاغة تطور و تاريخ شوقي ضيفن ص: 220.

5 – البرهان للزمركشي ج1 ص 312، و منهج ابن جزي في التفسير ج2 ص 666.

ولقد أكد الزمخشري على مكانة علوم البلاغة في التفسير بقوله:"علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، فالفقيه وإن بز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي إن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن ملك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة..."[1].

وقد ألمح إلى ذلك صاحب المفتاح مشددا على عواقب المتعاطي لعلم التفسير مع افتقاره إلى العلم بهما فيقول:" وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم –تعالى وتقدس– من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين –المعاني والبيان– كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل..."[2].

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور:"...ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير، لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار الإعجاز، ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القدم "علم دلائل الإعجاز"[3].

إن المتأمل في تفسير الشعراوي يجده قد أولى عناية خاصة بالبحث عن أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، عن طريق التنبيه إلى الأساليب البلاغية التي جاء القرآن بها، والتي لا تخرج عن عادة العرب وسننها في الكلام، وهذا ما يؤكد حقيقة أن دراسة الإعجاز في القرآن الكريم كانت العامل الأساس في ظهور علوم البلاغة العربية ونشأتها.

لقد تطرق الشعراوي في تفسيره إلى جملة من المباحث البلاغية، والتي جاءت مبثوثة في ثنايا تفسيره، وسأحاول عرض نماذج من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، حتى أبرز مدى اهتمام الشيخ الشعراوي بهذا الجانب وعنايته به.

أولا : علم البيان

1– التشبيه :

1 – الكشاف للزمخشري ج1 ص 7.

2 – مفتاح العلوم للسكاكشي، مطبعة اليمنية، مصر د ط 1360 هـ، ص 70.

3 – التحرير و التنوير ابن عاشور ج1 ص 19.

التشبيه إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر، بأداة من أدواة التشبيه ملحوظة، أو ملفوظة، وهو عند عبد القاهر الجرجاني "أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكما من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما تفصل بالنور بين الأشياء"[1].

وقد نظر البلاغيون إلى معنى كلمة (شبه) أي مثل، تقول فلان شبه فلان أي مثله، وشبهته به أي مثلته به، فالمعنيان اللغوي والاصطلاحي للتشبيه قريـــب من قريب" [2].

"وأما فائدة التشبيه من الكلام، فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه".

والتشبيه من بين الأساليب البيانية التي عني بها الشيخ الشعراوي في تفسيره، وقد أشار إليه في مواضع عدة نذكر من بينها:

-تفسيره قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** [3]﴾.

يشير إليه موضحا أن ذلك جاء على وفق عادة العرب في كلامها من ضرب الأمثال فيقول: "والأمثال جمع مثل، وهو الشبيه الذي يقرب لنا المعنى ويعطينا الحكمة، والأمثال باب من الأبواب العريقة في الأدب العربي. فالمثل أن تأتي بالشيء الذي حدث وقيل فيه قولة موجزة ومعبرة، رأى الناس أن يأخذوا هذه المقولة لكل حالة مشابهة"[4].

ثم تحدث عن الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم بقوله: "ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن الكريم في أكثر من موضع.. ليقترب من أذهاننا معنى الغيبيات

1 – أسرار البلاغة، الجرجاني ص 78-79.

2 – أساس البلاغة، الزمخشري ج1 ص 793.

3 – سورة البقرة الآية 17.

4 – تفسير الشعراوي ج1 ص 164.

التي لا نعرفها ولا نشاهدها.. ولذلك ضرب لنا الأمثال في قمة الإيمان.. وحدانية الله سبحانه وتعالى.. وضرب لنا المثل بنوره جل جلاله.. الذي لا نشهده وهو غيب عنا.. وضرب لنا الأمثال بالنسبة للكفار والمنافقين، لنعرف فساد عقيدتهم ونتنبه لها. وضرب لنا الأمثال فيما يمكن أن يفعله الكفر بالنعمة، والطغيان في الحق..." [1].

وبعد أن يعطي أمثلة مستفيضة للأمثال القرآنية، يشرع في شرح هذا المثل مبرزا حالة المنافق المتخبط في ظلمات الكفر وعدم توفقه لطريق الهداية، وأن هذا من الأمور التي غيبت عنا ولكن الله سبحانه أراد أن يشبه غير المحسوس بالمحسوس بقوله:"... فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا صورة عما في داخل قلوب المنافقين، من اضطراب وذبذبة وتردد في استقبال منهج الله، وفي الوقت نفسه ما يجري في القلوب غيب عنا. وأراد الله أن يقرب هذا المعنى إلينا فقال:﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً**﴾ أي حاول أن يوقد نارا، والذي يحاول أن يوقد نارا لابد أن له هدفا، والهدف قد يكون الدفء وقد يكون الطهي وقد يكون الضوء وقد يكون غير ذلك. المهم أن يكون هناك هدف لإيقاد النار.....

يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿**فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾ إن الحق سبحانه وتعالى يعطينا هذه الصورة، إنهم أوقدوا هذه النار لتعطيهم نورا يريهم طريق الإيمان، وعندما جاء هذا النور بدلا من أن يأخذوا نور الإيمان انصرفوا عنه، وعندما حدث ذلك ذهب الله بنورهم، فلم يبق في قلوبهم شيء من نور الإيمان. فهم الذين طلبوا نور الإيمان أولا، فلما استجاب الله لهم انصرفوا عنه، فكأن الفساد في ذاتهم، وكأنهم هم الذين بدأوا بالفساد، وساعة فعلوا ذلك ذهب الله بنور الإيمان من قلوبهم..."[2].

ثم يواصل كعادته في استنطاق الأسلوب القرآني واستخراج روائعه بقوله:" ونلاحظ هنا دقة التعبير القرآني في قوله تعالى:﴿**ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ و لم يقل ذهب الله بضوئهم، مع أنهم أوقدوا النار ليحصلوا على الضوء، ما هو الفرق بين الضوء والنور؟. إذا قرأنا قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ **هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً**[3]﴾. نجد أن الضوء أقوى من النور، والضوء لا يأتي إلا من إشعاع ذاتي فالشمس ذاتية الإضاءة، ولكن القمر يستقبل الضوء ويعكس

1 – المصدر نفسه ج1 ص 164.

2 – تفسير الشعراوي ج1 ص 170.

3 – سورة يونس الآية 05.

النور، وقبل أن تشرق الشمس تجد في الكون نورا ولكن الضوء يأتي بعد شروق الشمس، فلو أن الحق تبارك وتعالى قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى أنه سبحانه ذهب بما يعكس النور، ولكنه أبقى لهم النور ولكن قوله تعالى:﴿**ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ معناها أنه لم يبق لهم ضوءا ولا نورا. فكأن قلوبهم يملؤها الظلام، ولذلك قال الله بعدها:﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾ لنعلم أنه لا يوجد في قلوبهم أي نور ولا ضوء إيماني. كل هذا حدث بظلمهم هم وانصرافهم عن نور الله. ونلاحظ هنا أن الحق سبحانه وتعالى لم يقل وتركهم في ظلام بل قال:"في ظلمات" أي أنها ظلمات متراكمة. ظلمات مركبة لا يستطيعون الخروج منها أبدا، فحين يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾ نفى النور عنهم. والنور لا علاقة له بالسمع ولا بالشم ولا باللمس، ولكنه قانون البصر، وانظر إلى دقة التعبير القرآني. إذا امتنع النور امتنع البصر، أي أن العين لا تبصر بذاتها، ولكنها تبصر بانعكاس النور على الأشياء ثم انعكاسه على العين"[1].

2-التشبيه التمثيلي:

"يعرف البلاغيون هذا التشبيه بأنه ما كان وجه الشبه فيه مركبا، أي وصفا منتزعا من أمرين أو عدة أمور، امتزج أحدهما بالآخر حتى يستخرج من مجموعهما صورة جديدة غير التي كانت عليه في حال الإفراد"[2]. وهذا النوع كثير في القرآن وقد عرض له الشيخ الشعراوي كثيرا من ذلك تفسير قوله تعالى:﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾ [3]

يقول: "...الحق تبارك وتعالى في هذه الآية يوضح المجهول لنا بما علم لدينا. وأهل البلاغة يقولون: في هذه الآية تشبيه تمثيل، لأنه سبحانه شبّه حال الدنيا في قصرها وسرعة زوالها بالماء الذي نزل من السماء، فارتوت به الأرض، وأنبتت ألوانا من الزروع والثمار، ولكن سرعان ما يذبل هذا النبات ويصير هشيما متفتتا تذهب به الريح. وهذه صورة كما يقولون منتزعة من متعدّد. أي: أن وجه الشبه فيها ليس شيئا واحدا، بل عدّة أشياء، فإن كان التشبيه مركّبا

1 - تفسير الشعراوي ج1 ص 173/171.

2 - البلاغة عند المفسرين، رابح دوب، دار الفجر للنشور و التوزيع، القاهرة مصر ط 2، 1999 م، ص 364.

3 - سورة البقرة الآية 45.

من أشياء متعددة فهو مثل، وإن كان تشبيه شيء مفرد بشيء مفرد يسمّونه مثل، نقول: هذا مثل هذا، لذلك قال تعالى: ﴿**فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الأمثال**[1]﴾. لأن لله تعالى المثل الأعلى "[2].

-وفي تفسير قوله تعالى﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**[3]﴾.

يقول الشعراوي: في الآية"...تشبيه تمثيلي أي أن حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر،كحال الذي استوقد نارا ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئا... "[4].

-وفي تفسير قول الحق تبارك وتعالى:﴿**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [5].

يقول ابن القيم: " فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك باللّه. وتعلق بغيره. ويجوز لك في هذا التشبيه أمران.

أحدهما : أن تجعله تشبيها مركبا. ويكون قد شبه من أشرك باللّه وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه نجاة. فصور حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير في الهواء، فتفرق مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة. وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

الثاني : أن يكون من التشبيه المفرق، فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به.

وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه. فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها.

وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة. والطير التي تتخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها سبحانه وتعالى عليه تؤزه أزّا، وتزعجه وتدفعه إلى مظان هلاكه. فكل شيطان له مزعة من دينه

---

1 - سورة النحل الآية 74.

2 - تفسير الشعراوي ج14 ص 8922.

3 - سورة البقرة الآية 17.

4 - تفسير الشعراوي ج1 ص 170.

5 - سورة الحج الآية 31.

وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوى به في مكان سحيق : هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء"[1].

وغير بعيد عن هذه المعاني يفسرها الشعراوي بقوله : "...وعلى العاقل أن يتأمل مغزى هذا التصوير القرآني فيحذر هذا المصير، فهذه حال من أشرك بالله، فإن أخذت الصورة على أنها تشبيه حالة بحالة، فها هي الصورة أمامك واضحة، وإن أردت تفسيراً آخر يوضّح أجزاءها : فالسماء هي الإسلام، والطير هي الشهوات، والريح هي ريح الشيطان، يتلاعب به هنا وهناك. فأيُّ ضياع بعد هذا؟ ومن ذا الذي ينقذه من هذا المصير؟"[2].

3- التشبيه المفرد والمتعدد:

أشار إليه في تفسيره للآية ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [3]يقول الشعراوي: "...كلمة (مَثَلُ) وردت بمشتقاتها في القرآن الكريم مرات عدة، ومادة الميم والثاء واللام جاءت لتعبر عن معنى يجب أن نعرفه، فإذا قيل (مِثْل) بسكون الثاء، فمعناها التشبيه، لكن تشبيه مفرد بمفرد. كما في قوله تعالى:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [4]، وقوله تعالى:﴿**وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**[5]﴾.

أما (مَثَل) بالفتح، فتعني تشبيه قصة أو متعدّد بمتعدّد،كما في قوله تعالى:﴿**واضرب لَهُم مَّثَلَ الحياة الدنيا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السماء**[6]﴾. فالحق -سبحانه وتعالى- لا يشبّه شيئا بشيء، إنما يشبه صورة متكاملة بصورة أخرى، فالحياة الدنيا في وجودها وزهرتها وزخرفها وخضرتها ومتاعها، ثم انتهائها بعد ذلك إلى زوال، مثل الماء حين يترل من السماء فيختلط بتربة الأرض، فينبت النبات المزهر الجميل، والذي سرعان ما يتحول إلى حطام .

لذلك اعترض بعض المتمحكين على أسلوب القرآن في قول الحق سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام:﴿**إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ ءَادَمَ**[7]﴾. ووجه اعتراضه أن (مَثَل) جاءت تُشبه مفرداً بمفرد، وهو عيسى بآدم عليه السلام، ونحن نقول: إنها تشبه صورة متكاملة بأخرى ونقول:

1 - تفسير القيم لابن القيم ص 384.
2 - تفسير الشعراوي ج16 ص 9807.
3 - سورة العنكبوت الآية 41.
4 - سورة الشوري الآية 11.
5 - سورة الشوري الآية40
6 - سورة الكهف الآية.
7 - سورة آل عمران الآية 59.

هذا الاعتراض ناتج عن عدم فهم المعنى المراد من الآية، فالحق سبحانه لا يُشبّه عيسى بآدم كأشخاص، إنما يُشبّه قصة خلق آدم بقصة خلق عيسى، فآدم خُلق من غير أب، وكذلك عيسى خُلق من غير أب. والمعنى: إنْ كنتم قد عجبتم من أن عيسى خُلق بدون أب، فكان ينبغي عليكم أنْ تعجبوا أكثر من خلق آدم، لأنه جاء بلا أب وبلا أم، وإذا كنتم اتخذتم عيسى إلها، لأنه جاء بلا أب ،فالقياس إذن يقتضي أن تكون الفتنة في آدم لا في عيسى"[1].

4- الاستعارة

أشار إليها في معرض تفسيره قوله تعالى:﴿ **هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ** [2]﴾ يقول الشيخ الشعراوي: "...كأن النار تفصيل على قدر جسومهم إحكاما للعذاب، ومبالغة فيه، فليس فيها اتساع يمكن أنْ يُقلّل من شِدّتها، وليست فضفاضة عليهم. ثم﴿**يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ**﴾ والحميم: الماء الذي بلغ منتهى الحرارة، حتى صار هو نفسه مُحرقا من شدّة حرّه، ولك أن تتصور ماء يغليه ربنا ﷻ! وهكذا يجمع الله عليهم ألوان العذاب، لأن الثياب يرتديها الإنسان لتستر عورته، وتقيه الحر والبرد، ففيها شمول لمنفعة الجسم، يقول تعالى:﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**[3]﴾.فالإذاقة ليست في اللباس، إنما بشيء آخر، واللباس يعطي الإحاطة والشمول، لتعم الإذاقة كل أطراف البدن، وتحكم عليه مبالغة في العذاب"[4].

5-الاستعارة التصريحية :

كثيرا ما نجد الشعراوي يتطرق إليها في ثنايا تفسيره، ولكن دون أن يصرح بهذا اللفظ ففي تفسير قوله تعالى:﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ يقول: "والحق سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا عملية التحام الرجل والمرأة بكلمة الله، و"اللباس" هو الذي يوضع على الجسم للستر، فكأن المرأة لباس للرجل والرجل لباس للمرأة، واللباس أول مدلولاته ستر العورة. فكأن الرجل

1 - تفسير الشعراوي ج18 ص 1174.

2 - سورة الحج الآية 19.

3 - سورة النحل الآية 112.

4 - تفسير الشعراوي ج16 ص 9761.

لباس للمرأة أي ستر عورتها" [1]واللباس أصله في الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمرأة وامتزاجهما وتلازمهما بذلك.

-وكذلك في تفسير قوله تعالى:﴿**أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**[2]﴾. يقول الشعراوي: "...يعطينا الحق سبحانه وتعالى صفة أخرى من صفات المنافقين، فيصفهم بأنهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى. ومادام هناك شراء، فهناك صفقة، تتطلب مشتريا وبائعا، وقد كانت السلعة في الماضي تشترى بسلعة أخرى، أما الآن فإن كل شيء يشترى بالمال، ماذا اشتروا؟. إن هؤلاء المنافقين اشتروا الضلالة، واشتروها بأي ثمن؟ اشتروها بالهدى، الباء في اللغة تدخل على المتروك، عندما تشتري شيئا تترك ثمنه، إذن كأن هؤلاء قد تركوا الهدى واشتروا الضلالة، ولكن هل كان معهم هدى ساعة الصفقة؟. إن الحال يقتضي أن يكون معهم هدى،كأن يهتدي إنسان ثم يجد أن الهدى لا يحقق له النفع الدنيوي الذي يطلبه فيتركه ليشتري به الضلال ليحقق به ما يريد، والهدى الذي كان معهم قد يكون هدى الفطرة، فكأن هؤلاء كان يمكنهم أن يختاروا الهدى فاختاروا الضلالة"[3].

فهم قد اختاروا الضلالة على الهدى، ولكن القرآن الكريم عبر بلفظ البيع يقول الزمخشري:" معنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه، واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر"[4].

6-الاستعارة المكنية :

وقد مثل لها في تفسير قول الحق ﷻ ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**[5]﴾.في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ جاءت على سبيل الاستعارة المكنية التبعية، وذلك تشبيها لحال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بما هو ماثل أمامها، ناطق بلسان الحال، بالحجارة النابية التي من خصائصها القسوة والصلابة.

يقول الشعراوي:"...ويشبه الحق تبارك وتعالى قسوة قلوبهم فيقول:﴿**فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ الحجارة هي الشيء القاسي الذي تدركه حواسنا، ومألوف لنا ومألوف لبني

1 - تفسير الشعراوي ج2 ص 805.
2 - سورة البقرة الآية 16.
3 - تفسير الشعراوي ج1 ص 161.
4 - الكشاف للزمخشري ج1 ص 76.
5 - سورة البقرة الآية 74.

إسرائيل أيضا. لأن لهم مع الحجارة شوطا كبيرا عندما تاهوا في الصحراء. وعندما عطشوا وكان موسى يضرب لهم الحجر بعصاه. الله تبارك وتعالى لفتهم إلى أن المفروض أن تكون قلوبهم لينة ورفيقة حتى ولو كانت في قسوة الحجارة .

ولكن قلوبهم تجاوزت هذه القسوة فلم تصبح في شدة الحجارة وقسوتها بل هي أشد. ...وحين تفسد القلوب وتخرج عن مهمتها تكون أقسى من الحجارة. وتكون على العكس تماما من مهمتها.."[1].

7-الكناية:

وقد أشار إليها في تفسير الآية﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [2]يقول الشيخ الشعراوي في تفسيرها: "..."واخفض" الخفض ضد الرفع" جناح الذل" الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويرفرف به، إن أراد أن يطير، ويخفضه إن أراد أن يحنو على صغاره، ويحتضنهم ويغذيهم .

وهذه صورة مُحسّة لنا، يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي بها، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح،كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، ....إذن: قوله تعالى:﴿**جَنَاحَ الذل**﴾ كناية عن الخضوع والتواضع، والذُّل قد يأتي بمعنى القهر والغلبة، وقد يأتي بمعنى العطف والرحمة "[3].

وفي قوله تعالى:﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ [4] يقول الشعراوي: "وهل للغضب سكوت؟ هل للغضب مشاعر حتى يسكت؟ نعم، لأن الغضب هيجان النفس لتعمل عملا نزوعيا أمام من أذنب، فكأن الغضب يلح عليه، ويقول للغاضب: اضرب، اشتم، اقتل.كأن الغضب قد مُثّل وصُوّر في صورة شخص له قدرة إصدار الأوامر، فشبه الله الغضب بصورة إنسان يلح على موسى في أن يفعل كذا ،ويفعل كذا، فلما قال الله ذلك كأن الغضب قد سكت عنه...أو تكون كلمة (سكت) كناية عن أن الغضب زال وانتهى"[5].

ثانيا : علم المعاني

---

1 – تفسير الشعراوي ج1 ص 411.

2 – سورة الإسراء الآية 24.

3 – تفسير الشعراوي ج1 ص 8464.

4 – سورة الأعراف الآية 154.

5 – تفسير الشعراوي ج7 ص 117.

1- أسلوب القصر:

وقد مثل له بقول الحق﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَٰثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَٰناً مَّرِيداً**[1]﴾ يقول الشعراوي:"...والحق يقول:﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً**﴾ والأسلوب هنا أسلوب قطع. أي ما يدعون إلا إناثاً، تماماً مثلما نقول"ما أكرم إلا زيداً" وهذا نفي الإكرام لغير زيد، وإثبات للإكرام لزيد. فساعة يقول الحق:﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً**﴾ فغير الإناث لا يدعونهم، ولذلك يعطف عليها الحق:﴿**وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً**﴾ واستخدم الحق في صدر الآية أسلوب القصر، وأسلوب القصر معناه أن يقصر الفعل على المقصور عليه لا يتعداه إلى غيره، فهم يعبدون الإناث، هذا قصر أول، ثم قصر ثانٍ هو قوله الحق:﴿**وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً**﴾"[2].

2- الأمر وخروجه عن المعنى الحقيقي:

ومثاله في قوله تعالى:﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**[3]﴾. يقول الشعراوي: "...ثم يقول تعالى:﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ أي: ادخلوا على هذا الأساس: أن كل حقّ يترل من الله، لا أن آخذ الحق منكم، ثم أردّه إليكم، بل الحق الذي أرسلني الله به إليكم، وعلى هذا من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

والأمر في هذه الآية سبق أن أوضحناه فقلنا: إذا وجدنا أمراً بغير مطلوب فلنفهم أن الأمر استُعمل في غير موضعه، كما يقول الوالد لولده المهمل: العب كما تريد، فهو لا يقصد أمر ولده باللعب بالطبع، بل يريد تهديده وتأنيبه. وهكذا في:﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ وإلا لو أخذتَ الآية على إطلاقها لكان من آمن مطيعاً للأمر:﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن**﴾ والعاصي أيضا مطيع للأمر:﴿**وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ فكلاهما -إذن- مطيع، فكيف تعذّب واحداً دون الآخر؟.

---

1 - سورة النساء الآية 117.

2 - تفسير الشعراوي ج 1 ص 26445.

3 - سورة الكهف الآية 29.

فالأمر هنا ليس على حقيقته، وإنما هو للتسوية والتهديد، أي: سواء عليكم آمنتم أم لم تؤمنوا، فأنتم أحرار في هذه المسألة، لأن الإيمان حصيلته عائدة إليكم، فالله سبحانه غنيّ عنكم وعن إيمانكم."[1].

3- الاستفهام ومعانيه:

ومثاله في تفسير قوله تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [2]"والاستفهام هنا للتعجُّب وللإنكار، يعني:كيف لا يكفيهم القرآن ولا يقنعهم وهو أعظم الآيات، وقد أعجزهم أن يأتوا ولو بآية من آياته، وجاءهم بالكثير من العبر والعجائب؟ إذن: هم يريدون أن يتمحّكوا، وألا يؤمنوا، وإلا لو أنهم طلاب حقّ باحثون عن الهداية لكفاهم من القرآن آية واحدة ليؤمنوا به"[3].

- ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [4] يقول الشعراوي:"والاستفهام هنا ﴿**مَتَى هَذَا الْفَتْحُ**﴾ ليس استفهاماً على حقيقته، إنما يراد به الاستهزاء والسخرية، وجواب الله على هذا الاستفهام يحدد نيتهم منه، فهم يستبعدون هذا النصر وهذه الغلبة التي وعد الله بها عباده المؤمنين، لكنهم يستبعدون قريباً، ويستعجلون أمراً آتياً لا ريب فيه "[5].

4 -التقديم والتأخير:

تخضع الجمل في اللغة إلى ترتيبات خاصة، غير أنه قد يطرأ على ذلك الترتيب بعض التغييرات التي تنقل بعض المفردات عن مواضعها، فتقدم كلمة وتؤخر أخرى، وهو ما يصطلح عليه لدى البلاغيين بمباحث التقديم والتأخير، والتقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام مسحة جمالية، ويجعل له موقعا وأثرا في النفوس، وهو من المباحث التي وقف عندها الشعراوي ملمحا إلى أسراره.

من ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**[6]﴾ يقول:"...تلك هي العناصر الأساسية في فتنة الناس في الدنيا: المال

1 - تفسير الشعراوي ج14 ص 8883.
2 - سورة العنكبوت الآية 51.
3 - تفسير الشعراوي ج 18 ص 11226.
4 - سورة السجدة الآية 28.
5 - تفسير الشعراوي ج19 ص 11873.
6 - سورة الكهف الآية 46.

والبنون، لكن لماذا قدَّم المال؟ أهو أغلى عند الناس من البنين؟. نقول: قدَّم الحق سبحانه المال على البنين، ليس لأنه أعزّ أو أغلى، إنما لأن المال عام في المخاطب على خلاف البنين، فكلّ إنسان لديه المال وإن قلّ، أما البنون فهذه خصوصية، ومن الناس من حرِم منها.

كما أن البنين لا تأتي إلا بالمال، لأنه يحتاج إلى الزواج والنفقة لكي يتناسل ويُنجب، إذن: كل واحد له مال، وليس لكل واحد بنون، والحكم هنا قضية عامة، وهي:﴿**المال والبنون زِينَةُ الحياة الدنيا**﴾ كلمة ﴿**زِينَةُ**﴾ أي: ليست من ضروريات الحياة ،فهو مجرد شكل وزخرف..."[1].

5-الإيجاز والإطناب:

لقد بين الجاحظ[2] القيمة البلاغية للإيجاز بقوله:" إنه-أي القرآن-قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معان متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن الكريم، لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول وأقل دلالة، وهو يتعرض لبعض الآيات التي جاءت مثلا للإيجاز المعجز، وقد لا ينص على ما فيها من إيجاز ولكن شرحه لمعانيها، وبيانه لما تحتوي من معان، وتفصيله دال على اعتقاده في إيجازها المعجز. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا**[3]﴾. قالت الحكماء: إنما تبنى المدائن على الماء والكلأ والمحتطبة فجمع بقوله:﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا**﴾ النجم والشجر والملح واليقطين والبقل والعشب، فذكر ما يقوم على ساق، وما يتفنن وما يتسطح وكل ذلك مرعى، ثم قال على النسق: ﴿**مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ [4]فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله، لأن الملح لا يكون إلا بالماء ولا تكون النار إلا من الشجر"[5].

1 - تفسير الشعراوي ج 14 ص 8924.

2 - هو عمرو بن بحر الكناني (255،163 هـ) أبو عثمان الجاحظ: كبير الأئمة الأدب و رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة مولده و وفاته بالبصرة أصيب بالقالج في أخر عمره و كان مشوه الخلقة مات و الكتاب على صدره قتلته المجلدات من الكتب وقعت عليه تصانيف كثيرة: "البيان و التبيين" و "سحر البيان" و "مسائل القرآن" ينظر الاعلام ج5 ص 74 و معجم الأدباء ج4 ص 498/473 و وفيات الأعيان ج 3 ص 475/470 و بغية الوعاة ج2 ص 228.

3 - سورة النازعات الآية 30-31.

4 - سورة النازعات الآية 33.

5 -الجاحظ البيان و التبيين ج2 ص 1 و البلاغة عند المفسرين رابح دوب ص 512.

ولقد أسهب الشعراوي في حديثه عن الإيجاز، غير أنه توسع كثيرا في الإيجاز بالحذف الذي نبه الجرجاني إلى قيمته البلاغية فقال: "الحذف هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر،شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر"[1].

-و من أمثلة ذلك في تفسير الشعراوي قوله تعالى:﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**[2]﴾. يقول:"...كان من المفروض لاستكمال المعنى أن يقال وإذا استسقى موسى ربه لقومه فقال يا رب اسقهم. ولكن هذه لم تأت حذفت وجاء بعدها الإجابة:﴿**وَإِذِ استسقى موسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضرب بِّعَصَاكَ الحجر**﴾ إذن قوله يا رب اسق قومي واستجابة الله له محذوفة لأنها مفهومة. ولذلك جاء القرآن باللفتات الأساسية وترك اللفتات المفهومة لذكاء الناس. تماما كما جاء في سورة النمل: الهدهد ذهب ورأى ملكة بلقيس وعرشها، وعاد إلى سليمان وأخبره. فطلب سليمان من الهدهد أن يلقي إلى ملكة سبأ وقومها كتابا وقال:﴿**اذهب بِّكِتَابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ ياأيها الملأ إِنِي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾. فسليمان أمر الهدهد أن يلقي كتابا إلى بلقيس وقومها. والآية التي بعدها جاءت بقوله تعالى: قالت ﴿**يا أيها الملأ إني أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾ [3]كل التفاصيل حذفت من أن الهدهد أخذ الكتاب وطار إلى مملكة سبأ وألقى الكتاب أمام عرشها، والتقطت بلقيس ملكة سبأ الكتاب وقرأته. ودعت قومها وبدأت تروي إليهم قصة الكتاب،كل هذا حُذف لأنه مفهوم .قال موسى يا رب اسق قومي. والله سبحانه وتعالى قال له: إن أردت الماء لقومك كل هذا محذوف..."[4].

وقد نبه الشعراوي إلى أن أسلوب الحذف يعمل ذهن السامع وخياله حتى يذهب مذاهب شتى، ويمثل لذلك بقوله تعالى:﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا**

1 - الجرجاني و لائل الاعجاز ص 177.

2 - سورة البقرة الآية 60.

3 - سورة النمل الآية 28-29.

4 - تفسير الشعراوي ج1 ص 368.

نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]فيقول:"...عندما ننظر إلى قول الحق:﴿**وَلَوْ ترى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النار**﴾ هنا لا نجد جواباً، مثل ما تجده في قولك: لو رأيت فلاناً لرحبت به أو لو رأيت فلاناً لعاقبته. إن في كلّ من هاتين الجملتين جوابا، لكن في هذا القول الكريم لا نجد جوابا، وهذا من عظمة الأداء القرآني، فهناك أحداث لا تقوى العبارات على أدائها، ولذلك يحذفها الحق سبحانه وتعالى ليذهب كل سامع في المعنى مذاهبه التي يراها... هم -إذن- قد خافوا وارتبكوا وطلبوا العودة للحياة الدنيا، لأن ما شاهدوه هول كبير، فما بالك إذا وقفوا على الله؟ إنه موقف مرعب. وإذا كان الحق قد حذف من قبل الجواب عندما أوقفهم على النار، فالأولى هنا أن يحذف الجواب، حتى يترك للخيال أن يذهب مذاهب شتى، إنه ارتقاء في الهول"[2].

- حذف الاحتباك:

يعرفه الشعراوي ويمثل له وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**﴾ [3]يقول الشيخ الشعراوي: "وحين ندقق النظر في النص القرآني، نجد أن الحق لم يورد لنا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله و لم يذكر أنها فئة مؤمنة، وأوضح أن الفئة الأخرى كافرة، وهذا يعني أنّ الفئة التي تقاتل في سبيل الله لابد أن تكون فئة مؤمنة، و لم يورد الحق أن الفئة الكافرة تقاتل في سبيل الشيطان اكتفاء بأن كفرها لابد أن يقودها إلى أن تقاتل في سبيل الشيطان. لقد حذف الحق من وصف الفئة الأولى ما يدل عليه في وصف الفئة الثانية.

وعرفنا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله من مقابلها في الآية وهي الفئة الأخرى. فمقابل الكافرة مؤمنة، وعرفنا -أيضاً- أن الفئة الكافرة إنما تقاتل في سبيل الشيطان لمجرد معرفتنا أن الفئة الأولى المؤمنة تقاتل في سبيل الله. ويسمون ذلك في اللغة "**احتباك**"، وهو أن تحذف من الأول نظير ما أثبت في الثاني، وتحذف من الثاني نظير ما أثبت في الأول، وذلك حتى لا تكرر القول، وحتى توضح الالتحام بين القتال في سبيل الله والإيمان، والقتال في سبيل الشيطان والكفر .

---

1 - سورة الأنعام الآية 27.

2 - تفسير الشعراوي ج6 ص 3581.

3 - سورة آل عمران الآية 13.

إذن فالآية على هذا المعنى توضح لنا الآتي: لقد كان لكم آية، أي أمر عجيب جدا لا يسير ولا يتفق مع منطق الأسباب الواقعية في فئتين، فعندما التقت الفئة المؤمنة في قتال مع الفئة الكافرة، استطاعت الجماعة المؤمنة المحددة بالغاية التي تقاتل من أجلها –وهي القتال في سبيل الله– أن تنتصر على الفئة الكافرة التي تقاتل في سبيل الشيطان"[1].

– الإطناب:

وقد ألمح إليه الشعراوي في مواضع عديدة، ويذهب في ذلك إلى تعليلات بديعة تنم عن حسه التفسيري الراقي، من ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ**[2]﴾. يقول:" ما: استفهامية. والتاء بعدها إشارة لشيء مؤنَّث، هو الذي يمسكه موسى في يده، والكاف للخطاب، كأنه قال له: ما هذا الشيء الذي معك؟ والجواب عن هذا السؤال يتم بكلمة واحدة: عصا. أمّا موسى عليه السلام فهو يعرف أن الله تعالى هو الذي يسأل، ولا يخفى عليه ما في يده، ولكنه كلام الإيناس، لأن الموقف صعب عليه، ويريد ربه أن يُطمئنه ويُؤنسه. وإذا كان الإيناس من الله، فعلى العبد أن يستغلّ هذه الفرصة ويُطيل أمد الائتناس بالله ﷻ، ولا يقطع مجال الكلام هكذا بكلمة واحدة، لذلك رد موسى عليه السلام:﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا**[3]﴾ قال موسى:﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ**﴾ ، ثم يفتح لنفسه مجالاً آخر للكلام:﴿**أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي**﴾ [4] وهنا يرى موسى أنه تمادى وزاد، فيحاول الاختصار:﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ**﴾ [5]وكان موسى ينتظر سؤالا يقول: وما هذه المآرب؟ ليُطيل أنْسه بربه، وإذا كان الخطاب مع الله فلا يُنهيه إلا زاهد في الله... وبعض العلماء يقولون: لقد كان موسى عليه السلام ينتظر أن يسأله ربه عن هذه المآرب ليطيل الحديث معه، لكن الحق سبحانه لم يسأله عن ذلك، لأنه سينقله إلى شيء أهم من مسألة العصا، فما ذكرته يا موسى مهمة العصا معك، أمّا أنا فأريد أن أخبرك بمهمتها معي"[6].

ثالثا : علم البديع

---

1 – تفسير الشعراوي ج2 ص 1312.

2 – سورة طه الآية 17.

3 – سورة طه الآية 18.

4 – سورة طه الآية نفسها

5 – سورة طه الآية نفسها

6 – تفسير الشعراوي ج15 ص 9248 و 9252.

1-أسلوب الالتفات:

الالتفات من الأساليب العريقة في اللغة العربية، وهو أحد الألوان البلاغية والمسالك التعبيرية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم، بل لعله أكثر هذه الألوان انتشاراً، وأوسعها تردداً " وقد توارد في مورثنا البلاغي مع طائفة من المصطلحات في الدلالة على التحول الأسلوبي، ومن بين هذه المصطلحات (الصرف) و(العدول) و(الانصراف) و(التلون) و(مخالفة مقتضى الظاهر) و(شجاعة العربية) وما إلى ذلك"[1].

ويدخل الالتفات تحت أضربٍ ثلاثة ، وتتفرّع عن كلّ ضرب أقسام عدّة:

- الضرب الأوّل : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة.
- الضرب الثاني : الرجوع من فعل المضارع إلى فعل الأمر[2].
- الضرب الثالث : الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد أو من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**[3]﴾ "وفي الآية مَلحظ آخر يجب تأمّله، وهو أن الكلام هنا في حالة الغيبة:﴿**إِنَّمَا هُوَ إله وَاحِدٌ**﴾ فكان القياس في اللغة هنا أن يقول:" فإياه فارهبوه". ولكن وراء تحويل السياق من الغيبة إلى المجابهة للمتكلم قال: ﴿**فَإِيَّايَ فارهبون**﴾. وهذا وراءه حكمة، ومَلحظ بلاغي، فبعد أن أكّد الألوهية بقوله تعالى:﴿**إِنَّمَا هُوَ إله وَاحِدٌ**﴾ صحّ أن يجابِههم بذاته، لأن المسألة ما دامت مسألة رَهبة، فالرهبة من المتكلم خير من الرهبة من الغائب، وكأن السياق يقول: ها هو سبحانه أمامك، وهذا أَدعى للرهبة. وكذلك في فاتحة الكتاب نقرأ:﴿**الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يَوْمِ الدين**[4]﴾ .و لم يَقل: إياه نعبد، متابعة للغيبة، بل تحوّل إلى ضمير الخطاب فقال:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**[5]﴾.ذلك لأن العبد بعد أن استحضر صفة الجلال والعظمة أصبح أَهلاً للمواجهة والخطاب المباشر مع الله

1 - بنظر: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، أحمد مطلوب مطبعة المجمع العلمي العراقي: 1983م ص 296.

2 - من العلماء من يدرج هدا النوع ضمن باب "الخروج عن مقتضي الطاهر" و لا يعده من أنواع الالتفات، بنظر: عروس الأفراح ج1 ص 386، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم خليل، دار الكتب العلمية، لبنان ص 1، 1422 هـ/2001 م.

3 - سورة النحل الآية 51.

4 - سورة الفاتحة الآية 2-4.

5 - سورة الفاتحة الآية 05.

ﷻ.فقوله:﴿**فَإِيَّايَ فارهبون**﴾ بعد ما استحضر العبد عظمة ربه، وأقرّ له بالوحدانية وعَلم أنه إله واحد، وليس إلهين. واحد يقول: نُعذّبه. والآخر يقول: لا ليس الأمر كذلك، بل إله واحد بيده أن يُعذّب، وبيده أن يعفو، فناسب السياق هنا أن يُواجههم فيقول:﴿ **فَإِيَّايَ فارهبون**﴾ "[1].

-وفي قوله تعالى﴿**ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [2] يقول الشعراوي:" قوله ﴿**هَلْ يَسْتَوُونَ**﴾ فالحديث عن مُثنى، وكان القياس أن يقول: هل يستويان، فلماذا عدل عن المثنى إلى الجمع؟.

نقول : لأن المثل وإن ضُرِب بمفرد مقابل مفرد إلا أنه ينطبق على عديدين، مفرد شائع في عديد مملوكين، وفي عديد من السادة أصحاب الرزق الحسن، ذلك ليعمّم ضَرب المثل .

إذن : ليس في اختلاف الضمير هنا ما يتعارض وبلاغة القرآن الكريم، بل هي دقّة أداء، لأن المتكلّم هو الحق سبحانه وتعالى. وكذلك في قوله تعالى:﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا**[3]﴾. بعضهم يرى في الآية مَأخذا، حيث تتحدث عن المثنى، ثم بضمير الجمع في (**اقْتَتَلُوا**)، ثم تعود للمثنى في (**بَيْنَهُمَا**).نقول لهؤلاء: لو تدبرتُم المعنى لعرفتم أن ما تتخذونه مأخذاً ،وتعتبرونه اختلافاً في الأسلوب هو منتهى الدقة في التعبير القرآني. ذلك أن الحديث عن طائفتين: مُثنّى، نعم فلو تقاتلا، هل ستمسك كل طائفة سيفا لتقاتل الأخرى؟ لا، بل سيمسك كلّ جندي منها سَيفاً. فالقتال هناك بالمجموع .مجموع كل طائفة لمجموع الطائفة الأخرى، فناسب أن يقول: اقتتلوا، لأن القتال حركة ذاتية من كلّ فرد في الطائفتين .فإذا ما جاء وقت الصُلّح ،هل نصالح كل جندي من هذه على كل جندي من هذه؟ لا ،بل الصُّلح شأْن السادة والزعماء والقادة لكل طائفة، ففي الصُّلح نعود للمثنى، حيث ينوب هؤلاء عن طائفة، وهؤلاء عن طائفة، ويتم الصُّلح بينهما. إذن: اختلاف الضمير هنا آية من آيات الإعجاز البياني، لأن المتكلم هو الحق سبحانه وتعالى"[4].

2-المدح في سياق الذم

1 - تفسير الشعراوي ج 13 ص 7993.

2 - سورة النحل الآية 75.

3 - سورة الحجرات الآية 09.

4 - تفسير الشعراوي ج13 ص 8098.

وقد مثل له بقوله تعالى:﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**[1]﴾. يقول الشعراوي:"...ويسمون ذلك من أساليب الأداء الأدبي عند العرب وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، فيقول قائل: لا عيب في فلان إلا كذا. وساعة يسمع السامع هذا يظن أن العيب الذي سيورده هو صفة قبيحة فيفاجأ بأنها خصلة جميلة. وبذلك يؤكد القائل المدح بما يشبه الذم: ﴿**قُلْ ياأهل الكتاب هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بالله وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾ أنتم تقولون: إنكم أهل كتاب وعندكم التوراة، وكان يجب أن تعلموا كيف يشذب الإيمان النفوس ويدفع عنها الشر، لأن لكم سابقة في الإيمان، فقد آمنتم بالله وبالرسل السابقين على موسى وآمنتم بموسى، والمسلمون آمنوا بالله وآمنوا بما أنزل إليهم وآمنوا بالرسل ومنهم موسى وعيسى ومحمد ﷺ فكيف يكره ذلك؟ وإن كان هذا مما يكره فعلينا كمؤمنين أن نسألكم: لماذا تنكرون علينا ذلك؟ لا شك أنكم تنكرون علينا إيماننا بالله لأنها قضية غير واضحة في أذهانكم"[2].

3- اللف والنشر:

وقد مثل لذلك في تفسيره قوله تعالى:﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**[3]﴾. يقول الشيخ الشعراوي:"بعد أن جاء الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ أراد سبحانه أنْ يبيّن حكم كلّ من الاختيارين : الإيمان، والكفر على طريقة اللّفّ والنشر، وهو أسلوب معروف في العربية، وهو أن تذكر عدة أشياء، ثم تُورد أحكامها حسب ترتيبها الأول، أو تذكرها مُشوّشة دون ترتيب.

ومن النوع الأول الذي يأتي فيه اللّفّ والنشر على الترتيب قوله تعالى:﴿**وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الليل والنهار لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**[4]﴾.أي: لتسكنوا في الليل، وتبتغوا من فضل الله في النهار"[5].

---

1 – سورة المائدة الآية 59.

2 – تفسير الشعراوي ج6 ص 3852.

3 – سورة الكهف الآية 29.

4 – سورة القصص الآية 73

5 – تفسير الشعراوي ج14 ص 8888.

ومن ذلك أيضا تفسير قوله تعالى:﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**[1]﴾ يقول الشعراوي:"بعد أنْ فصّل الله تعالى القول في الليل والنهار كلّ على حدة جمعهما، لأنهما معا مظهر من مظاهر رحمة الله، وفي الآية ملمح بلاغي يسمونه "**اللف والنشر**"، فبعد أن جمع الله تعالى الليل والنهار أخبر عنهما بقوله: ﴿**لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**﴾ ثقة منه تعالى بفطنة السامع، وأنه سيردُّ كلاً منهما إلى ما يناسبه، فالليل يقابل﴿**لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**﴾ والنهار يقابل﴿**وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ**﴾ فاللفّ أي: جمع المحكوم عليه معا في جانب والحكم في جانب آخر، والنشر: ردّ كلّ حكم إلى صاحبه، وضربنا لذلك مثلا بقول التيمورية :

قَلبي وجفني واللسَان وخَالِقي ... رَاضٍ وبَاكٍ شَاكِرٌ وغَفُور

فجمعت المحكوم عليه في الشطر الأول والحكم في الشطر الثاني، وعليك أن تعيد كلّ حكم إلى صاحبه "[2].

4- المشاكلة:

وهي:"ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا"[3]. ومثالها ما ذكره الشيخ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ**﴾ [4]يقول: "وساعة تجد صفة تستبعد أن يوصف بها الله فاعلم أنما جاءت للمشاكلة فقط وليست من أسماء الله الحسنى، إن المؤمنين بإمكانهم أن يقولوا للكافرين: إنكم إن أردتم أن تبيتوا لنا، فإن الله قادر على أن يقلب المكر عليكم، أما أسماء الله وصفاته فهي توقيفية، نزل بها جبريل على رسول الله ﷺ، لكن إذا وجد فعل لله لا يصح أن نشتق نحن منه وصفا ونجعله اسما لله ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ**﴾، فليس من أسماء الله مخادع، أو ماكر، إياك أن تقول ذلك، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، وجاء القول هنا بمكر الله كمقابل لفعل من البشر، ليدلهم على أنهم لا يستطيعون أن يخدعوا الله، ولا يستطيعون أن يمكروا بالله، لأن الله إذا أراد أن يمكر بهم، فهم لا يستطيعون مواجهة ذلك"[5].

---

1 - سورة القصص الآية 73

2 - تفسير الشعراوي ج18 ص 11003.

3 - الاتقان للسيوطي ج2 ص 252.

4 - سورة آل عمران الآية 54.

5 - تفسير الشعراوي ج3 ص 1505.

5- الطباق:

وقد مثل له في تفسير قوله تعالى:﴿**وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلاَ ٱلظُّلُمَاتُ وَلاَ ٱلنُّورُ * وَلاَ ٱلظِّلُّ وَلاَ ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَحْيَآءُ وَلاَ ٱلأَمْوَاتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ**﴾ [1]يقول الشعراوي:"...هذه حقائق يقررها الحق سبحانه، فالمتناقضان لا يستويان... فالشمس هي النور الحسي، والقرآن هو النور المعنوي، لذلك قلنا في قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ**[2]﴾ أي: منوّرهما بالنّورين، الحق سبحانه سبق أن ذكر لنا التقابل بين الماءين العذب والمالح، فقال سبحانه:﴿**وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**[3]﴾ نعم،لا يستويان، لكن العلاقة بينهما علاقة تقابل كالليل والنهار، لا علاقة تضادّ كالأعمى والبصير، بدليل أن الله جمعهما معا، فقال:﴿**وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**[4]﴾، فإن اختلف المتقابلان، فلكل منهما مهمة يؤديها، فهما متساندان لا متعاندان...ثم يقول سبحانه:﴿**وَلاَ ٱلظِّلُّ وَلاَ ٱلْحَرُورُ**﴾ وهما أيضاً متقابلان لا يجتمعان، كذلك ﴿**وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَحْيَآءُ وَلاَ ٱلأَمْوَاتُ**﴾ وتلحظ هنا أن الحق سبحانه أعاد ذكر الفعل المنفي ﴿**وَمَا يَسْتَوِي**﴾ لتأكيد عدم الاستواء بين الحي والميت"[5].

6- الجناس

وقد تحدث عنه مطولا في تفسيره ومثل له كثيرا، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى:﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [6]يقول:"...أولا: نقف عند جمال التعبير في سبأ ونبأ، فبينهما جناس ناقص، وهو من المحسّنات البديعية في لغتنا، ويعطي للعبارة نغمة جميلة تتوافق مع المعنى المراد، والجناس أن تتفق الكلمتان في الحروف، وتختلفا في المعنى، كما في قول الشاعر :

رَحَلْتُ عَنِ الدِّيَارِ لكُم أَسِيرُ ... وَقَلْبي في محبتكُمْ أَسير

وقَوْل الآخر :

---

1 – سورة فطر الآية 19-22.

2 – سورة النور الآية 35.

3 – سورة فاطر الآية 12.

4 – سورة فاطر الآية نفسها.

5 – تفسير الشعراوي ج20 ص 12479.

6 – سورة النمل الآية 22.

لَمْ يَقْضِ مِنْ حقِّكم عَليَّ ... بَعْضَ الذي يَجـــــبُ
قَلْبٌ متَى مَا جَـــــرَت ... ذِكْرَاكُمُ يَجـــــبُ

ومن الجناس التام في القرآن الكريم:﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يُقْسِمُ المجرمون مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ** [1]﴾ فالتعبير القرآني﴿**وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ**[2]﴾. تعبير جميل لفظاً، دقيق مَعنىً، أَلاَ تراه لو قال (وجئتك من سبأ بخبر) لا ختلّ اللفظ والمعنى معا، لأن الخبر يُراد به مطلق الخبر، أمّا النبأ فلا تقال إلا للخبر العجيب الهام الملفت للنظر،كما في قوله تعالى:﴿**عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ النبإ العظيم**﴾.[3] والجناس لا يكون جميلاً مؤثراً إلا إذا جاء طبيعياً غير مُتكلّف، ومثال ذلك هذا الجناس الناقص في قوله تعالى:﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**[4]﴾. فقد ورد اللفظ المناسب مُعبّراً عن المعنى المراد دون تكلّف، فالهُمزة هو الذي يعيب بالقول. واللمزة : الذي يعيب بالفعل، فالقرآن لا يتصيّد لفظاً ليُحدث جناساً، إنما يأتي الجناس فيه طبيعيا يقتضيه المعنى .

ومن ذلك في الحديث الشريف:{**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ**} [5]فبيْن الخيل والخير جناس ناقص، مُحسّناً للفظ، مؤدّياً للمعنى .وقد يأتي المحسّن البديعي مُضطربا مُتكلّفاً، يتصيده صاحبه، كقول أحدهم ينحت الكلام نحتا فيأتي بسجع ركيك: في أثناء ما كنا نسير نزل المطر كأفواه القِرب، فوقع رجل كان يحمل العنب"[6].

قضايا الإعجاز في تفسير الشعراوي

الإعجاز وعلوم التفسير

لقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، مفرقا على مدار ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع والأحداث، كما صرح بذلك القرآن الكريم قال

1 – سورة الروم الآية 55.
2 – سورة النمل الآية 22.
3 – سورة النبأ الآية 12.
4 – سورة الهمزة الآية 01.
5 – أخرجه مسلم في صحيحه، باب: الخيل في نواصها الخير إلى يوم القيامة، رقم 1872، ص 749.
6 – تفسير الشعراوي ج17 ص 10769.

تعالى:﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[1]. وذلك في معرض الرد على المشركين الذين طلبوا نزوله جملة واحدة فقالوا:﴿لَولاَ نُزِّل علَيْه القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً[2]﴾.وكان في ذلك حكم عظيمة وجليلة لعل من أهمها، تحقيق إعجازه على أبين وجه وأكمله، فإن المعارضة للكلام المفرق نجوما أيسر من المعارضة للكتاب جملة واحدة .والتحدي بإعجازه بدأ مع نزوله، فكأنه تحداهم بكل نجم منه قل أو كثر فعجزوا وتحيروا، و لم يأتوا بشيء.

وفي المقابل تلقاه أصحاب رسول الله ﷺ من فيه مشافهة، فعنوا به أشد العناية، وحفظوه في صدورهم، وكان اهتمامهم بالعمل بما يحفظون جليا، حتى أنه نقل عنهم أنه كان إذا حفظ أحدهم عشر آيات وقف عندها، يتفقه فيها ويتعلم معانيها ويعمل بما علم. وهم على ذلك متفاوتون في الحفظ والعلم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات.

وعلى الرغم من هذا الاهتمام بالقرآن الكريم من قبل الصحابة ﷺ وإقبالهم عليه – على تفاوت درجاتهم كما سبق بيانه– إلا أنه لم ينقل عنهم شيء مما له علاقة بقضية الإعجاز، والكشف عن مواطنه، وبيان وجوهه، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها:

عمق مثل هذه الدراسات وارتفاع مستواها من جهة، ثم إجلالا وتهيبا لعظمة المعجزة الإلهية التي خص الله بها رسوله من جهة أخرى. ثم لأن برهانه قائم في نفوسهم لصحة طباعهم وسلامة ألسنتهم وفطرهم.

ومن هنا تهيب كثير من الصحابة والسلف ممن كانوا علماء باللغة فقهاء في الدين، تفسير القرآن وتركوا القول فيه خوف الزلل والقول فيه بالرأي والتألي على الله في الكشف عن مراده، الذي لا يعلم تأويله إلا الله تبارك وتعالى[3].

ولكن الحال لم يبق على ما كان عليه من تذوق للقرآن بالفطر السليمة خاصة" بعد أن تقدم الزمن، وانتشر المسلمون في أرجاء الأرض بانتشار الإسلام في الأمصار، وابتعدوا عن البيئة العربية السليمة واختلطوا بغيرهم من أبناء البلدان المفتوحة، لم يعد إعجاز القرآن يدرك بالفطرة،

1 – سورة الإسراء الآية 106.

2 – سورة الفرقان الآية 32.

3 – نظرية الإعجاز القرآني، أحمد سيد عمار، ص 25.

وإنما صار إدراكه يتطلب دراسة واعية، ومستفيضة للغة العربية وإحاطة بغريبها ومعرفة تامة بأساليب التعبير فيها، لتنمو لدى من يريد التصدي لمعرفة الإعجاز ملكة تمكنه من إدراك هذه الناحية في القرآن العظيم. فانتقل الإعجاز من مرحلة التذوق الفطري إلى مرحلة التذوق العلمي الذي يجب أن تسبقه دراسة واسعة لأساليب اللغة العربية، تؤهل صاحبها لإدراك ناحية الإعجاز في القرآن العظيم. وهذا يعني أن الإعجاز الذي كانت تدركه أكثر العرب من الذين عاصروا نزول القرآن الكريم أصبح من اختصاص طائفة قليلة من المسلمين هي التي بيدها وسائل التذوق الفني"[1].

لأجل ذلك أصبح النظر في القرآن للتدليل على إعجازه، وبيان وجوه الإعجاز فيه واجبا علميا ودينيا، وأصبح تقليب وجوه الرأي فيه أمرا لا مناص منه بين العلماء وأصحاب الرأي وأهل الفكر من مختلف الطوائف والمذاهب.

ومن جملة أولئك المفسرين الذين كان لهم دور لا يستهان به في الكشف عن روعة الأساليب البيانية في القرآن الكريم، وبيان أنه خارج عن مقدور وطاقة البشر. كما كان لهم دور واضح في التصدي للطاعنين في القرآن الكريم، وتفنيد أباطيلهم، ورد شبههم. وذلك انطلاقا من معرفتهم بالأساليب العربية وفنونها، ذلك أنه لا يعرف فضل القرآن إلا من عرف الأسلوب العربي وفنونه.

يقول ابن قتيبة:" [2]وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره فيه، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب"[3].

إن دراسة الإعجاز في القرآن على صلة وثيقة بتفسير القرآن، فالإعجاز تابع للتفسير فهو يعتبر دائما خلاصة العمل التفسيري الدائر حول النص القرآني. بمعنى أن النص يفسر

1 – الإعجاز في نظم القرآن، سيد شيخون، ص 13.

2 – هو ابو بكر محمد عبدالله بن مسلم بن قتبة الرنيوري، و قيل المروز الدحوري اللغوي كان فاضلا ثقة و تصانيف كلها مفيدة ولد ببغداد 213 هـــ و سكن الكوفة ولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها كان يظهر في كتبه استماتيه في دفاعة عن النظم القرآني و عن مذهب اهل السنة و لقد أبلي بلاء حسنا و وقف موقفا عظيما بدود فيه عن القرآن الكريم و عن إعجازه وعن بلاغته، و كان عمله هدا سبب في إتجاه علماء اللغة المسلمين إلى دراسة القرآن للوقوف على وجوه الإعجاز فيه توفي رحمه الله ببغداد سنة 270 هـــ، بنظر وفيات الأعيان، ج3 ص 42 و الإعلام ج4 ص 137 و تاريخ بغداد، ج10 ص 168 و بغية الوعاة ج2 ص 64/63.

3 – تأويل مشكل القرآن لا بن قتيبة ص 07.

ويشرح ثم يشار بعدها إلى خصائصه الخارقة، وهذا دليل على أن الإعجاز لا يكون إلا تابعا للتفسير يتلون بلونه، ويأخذ طابعه وسماته في كل عصر. وبما أن الطابع اللغوي هو من أهم مميزات التفسير البياني، فقد جاء أقوى وجوه الإعجاز وأظهرها على الإطلاق من جنسه. وذلك يظهر جليا من خلال تطبيقات المفسرين في كتبهم، وسعيهم إلى بيان بلاغة القرآن وفصاحته، وتقدمه وسبقه لكل كلام وتفرده عنه.

إن المتأمل في كتب المفسرين يجد كثيرا منهم قد تطرق إلى قضية الإعجاز، في سياق وقوفهم على آيات التحدي المختلفة، التي جاءت في القرآن الكريم. ومن أولئك المفسرين ابن جرير الطبري، والراغب الأصفهاني، والزمخشري، وابن عطية، وفخر الدين الرازي، وبدر الدين الزركشي، وجلال الدين السيوطي، وأبو السعود[1]، والآلوسي، و الشعراوي، وغيرهم كثير سواء من الأقدمين أم من المحدثين.

لقد كان للحديث عن الإعجاز قسط كبير في تفسير الشعراوي، وسأحاول أن أعرض لأبرز قضايا الإعجاز التي أثارها الشيخ الشعراوي في خواطره حول القرآن الكريم ومن ذلك:

1-تعريف المعجزة وبيان أنها من جنس ما نبغ فيه العرب

يعرف الشعراوي المعجزة القرآنية، ملمحا إلى أن جميع المعجزات جاءت متوافقة مع عناصر التألق والتفوق السائدة في العصر الذي بعث فيه النبي أو الرسول، وهذه القاعدة عامة في جميع الرسالات وعند كافة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومما تميز به العرب قبيل مبعث سيد البشرية محمد ﷺ الكلمة فقد كانت جوهر حياتهم بها يحيون ولها يعيشون، وكانت لغتهم الحاضن لتاريخهم، والحافظ لأمجادهم، ومستودع أسرارهم، وملهمة إبداعاتهم وأشعارهم، لأجل هذا نزل القرآن بلغتهم التي يجيدونها وبها تحداهم فأخرسهم.

وفي ذلك يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**[2]﴾ "وهو قرآن عربي، لأن الرسول ﷺ سيجاهر بالدعوة في أمة عربية، وكان لابد من وجود

1 – هو محمد بن محمد العمادي (898- 982 هـ) النولى أبو السعود مفسر شاعر من علماء الترك المستعمرين ولد القرب من القسطنطنية درس و تولى القضاء في مدن مختلفة كان حاضر الدهن يتقن التركية و الفارسية و العربية له شعر جيد أشهر نؤلفاته التفسير المعروف باسمه و قد سماه "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" ينظر الاعلام ج 7 ص 59 و طبقات المفسرين ص 399/398.

2 – سورة يوسف الآية 02.

معجزة تدل على صدق بلاغه عن الله، وأن تكون ممّا نبغ فيه العرب، لأن المعجزة مشروطة بالتحدي، ولا يمكن أن يتحداهم في أمر لا ريادة لهم فيه ولا لهم به صلة، حتى لا يقولن أحد: نحن لم نتعلم هذا، ولو تعلمناه لجئنا بأفضل منه. وكان العرب أهل بيان وأدب ونبوغ في الفصاحة والشعر، وكانوا يجتمعون في الأسواق، وتتفاخر كل قبيلة بشعرائها وخطبائها المفوّهين، وكانت المباريات الآدائية تُقَام، وكانت التحديات تجرى في هذا المجال، ويُنصَب لها الحكام. أي : أن الدّربة على اللغة كانت صناعة متواترة ومتواردة، محكوم عليها من الناس في الأسواق، فهم أمة بيان وبلاغة وفصاحة.

لذلك شاء الحق سبحانه أن يكون القرآن معجزة من جنس ما نبغ فيه العرب، وهم أول قوم نزل فيهم القرآن، وحين يؤمن هؤلاء لن يكون التحدي بفصاحة الألفاظ ونسق الكلام، بل بالمبادئ التي تطغى على مبادئ الفرس والروم. وهي مبادئ قد نزلت في أمة مبتدِّية–نسبة إلى البادية– ليس لها قانون يجمعها، ولا وطن يضمهم يكون الولاء له بل كل قبيلة لها قانون، وكلهم بَدْو يرحلون من مكان إلى مكان"[1].

2- الفرق بين معجزة القرآن والمعجزات الأخرى

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن تتنوع وتتعدد المعجزات، حيث جاءت كل معجزة على وفق ما برع فيه القوم وحازوا فيه قصب السبق والبرهان: "إن اختلاف المعجزات في أجيال الناس هو ما اقتضته دواعي الحكمة التي جاءت المعجزات من أجلها، ذلك أن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، وإذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، فكان لا بد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكير من تلقاهم وتتحداهم آخذة بعقولهم وقلوبهم، فيما يدور في هذه العقول وما يختلج تلك القلوب، وبهذا تستولي المعجزة على كيان الناس وتخرس ألسنتهم، وتقوم عليهم الحجة كاملة فإما أن يؤمنوا، وإما أن ينتظروا الهلاك الماحق الذي لا يبقي ولا يذر ...

ومن هنا كانت المهلكات التي وقعت بهؤلاء الأقوام الذين كذبوا رسل الله ،الذين جاءوهم بتلك المعجزات المادية الواقعة في مرأى العين، والتي لا يختلف عليها اثنان في حين أنه

1 - تفسير الشعراوي ج11 ص 2821-2822.

لم يعجل الله تعالى بهلاك من ووجهوا بالمعجزة العقلية –وهي القرآن الكريم-لأن هذه المعجزة تحتاج إلى تدبر وتأمل وطول نظر، ولهذا كانت في صحبة دائمة للناس ينظرون فيها بعقولهم، ويرددون النظر فيها حالا بعد حال حتى تنكشف لهم وجوه الإعجاز منها"[1]

لقد حاول الشعراوي أن يعقد مقارنة بين معجزة النبي ﷺ والمعجزات الأخرى وذلك في معرض تفسيره قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [2]يقول:"...لكن الفرق بين القرآن والكتب السابقة أنها كانت تأتي بمنهج الرسول فقط، ثم تكون له معجزة في أمر آخر تثبت صدقه في البلاغ عن الله. فموسى عليه السلام كان كتابه التوراة، ومعجزته العصا، وعيسى عليه السلام كان كتابه الإنجيل، ومعجزته إبراء الأكمة والأبرص بإذن الله، أما محمد ﷺ فكان كتابه ومنهجه القرآن ومعجزته أيضا، فالمعجزة هي عين المنهج. فلماذا؟. قالوا:لأن القرآن جاء منهجا للناس كافّة في الزمان وفي المكان، فلا بد إذن أن يكون المنهج هو عين المعجزة، والمعجزة هي عين المنهج، وما دام الأمركذلك فلا يصنع هذه المعجزة إلا الله، فهو تنزيل رب العالمين. أما الكتب السابقة فقد كانت لأمة بعينها في فترة محددة من الزمن، وقد نزلت هذه الكتب بمعناها لا بنصِّها، لذلك عيسى عليه السلام يقول: "سأجعل كلامي في فمه" أي: أن كلام الله سيكون في فم الرسول بنصّه ومعناه من عند الله، ما دام بنصّه من عند الله فهو تنزيل رب العالمين"[3].

إن معجزة النبي ﷺ –القرآن الكريم- هي أعظم معجزاته ﷺكلها، وهي متصفة بالبقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، في حين أن معجزات غيره من الأنبياء هي معجزات محدودة العدد، قصيرة الأمد، ذهبت بذهاب زمانهم وماتت بموتهم، ومن يطلبها الآن لا يجدها إلا في خبر كان ولا يسلم له شاهد بها إلا هذا القرآن، ولكنه قد يتبادر إلى أذهاننا تساؤل عن الحكمة الإلهية المتوخاة من جعل معجزة الإسلام معجزة عقلية، تبقى خالدة وشاهدة على صدق نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته، وقد كفانا مؤنة الإجابة عن هذا التساؤل الإمام عبد العظيم الزرقاني حين أشار إلى" أن حكمة الله البالغة قضت أن تكون معجزة الإسلام باقية بجانبه تؤيده وتعززه إلى قيام الساعة، حتى لا يكون لأحد عذر في ترك هذا الدين الأخير الذي هو خاتمة الأديان

1 – تفسير الشعراوي ج11 ص 2821-2822.

2 – سورة الشعراء الآية 192.

3 – تفسير الشعراوي ج17 ص 10683 و ما بعدها.

والشرائع، لذلك اختار سبحانه أن تكون معجزة الإسلام شيئا يصلح للبقاء ،فكانت دون سواها كلاما يتلى في أذن الدهر، وحديثا يقرأ على سمع الزمان "[1].

ولذلك يمكننا أن نقول بأن المعجزة القرآنية قد تميزت بجملة من المميزات جعلتها تختلف عن باقي معجزات الأنبياء السابقين.

1- المعجزات السابقة حسية تخاطب الإدراك الحسي بينما المعجزة القرآنية عقلية تخاطب الإدراك العقلي "وهو مرحلة أرقى من الإدراك الحسي، وجاءت مناسبة لختم الرسالات بعد أن وصلت البشرية إلى أرقى مراحل نضجها العقلي."[2]

2- المعجزات السابقة كانت تأتي من جنس الأشياء التي نبغ فيها قوم النبي المرسل فيهم فجاءت عصا موسى عليه السلام لتبطل السحر المتفشي في ذلك العصر، ومعجزة سيدنا عيسى عليه السلام التي جاءت في فترة تطور فيها الطب، وجاءت المعجزة القرآنية من جنس ما برع فيه العرب وهو البلاغة، والفصاحة والبيان[3].

3- المعجزات السابقة كانت منفصلة عما أوحى الله به على الأنبياء المؤيدين بها، أما المعجزة القرآنية فهي من جنس الوحي المترل فكان ظاهرها وحي وباطنها معجزة.

4- المعجزات السابقة يقتصر تأثيرها على من شاهدوا معجزة هذا النبي، حتى إنه ينقضي تأثيرها بانقضاء ذلك النبي ومن عاصروه، بينما معجزة النبي ﷺ لا تقتصر على من شهدوا التترل، بل يستمر تأثيرها حتى يوم القيامة.

5- المعجزات السابقة لما كان تأثيرها مقصورا على من عاصرها-أي أنه كان محدود الزمان والمكان- فهي لا تغني عن إرسال الرسل، بينما المعجزة القرآنية فما دامت باقية خالدة فلا حاجة لبعث الرسل بل إن كثيرا من الناس دخل الإسلام و لم ير النبي ﷺ والفضل في ذلك – بعد الله عز وجل- إلى تأثير القرآن.

6- تأثير المعجزات الحسية ضعيف على مستوى العقائد والأخلاق، بعكس المعجزة القرآنية العقلية التي لها أبلغ الأثر على العقائد والأخلاق، فبنو إسرائيل وإن بهرتهم معجزة شق البحر ومرورهم وسطه على أرض يابسة، ولكن مع ذلك لم يلبثوا أن يطلبوا من سيدنا موسى أن

1 – مناهل العرفان في علوم القرآن عبد العظيم الزرقاني ج2 ص 282.

2 – المعجزة القرآنية، بغدادي بلقاسم ص 11.

3 – المرجع نفسه ص 12 بتصرف.

يجعل لهم إلها﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُم قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ[1]﴾.

أما تأثير القرآن فكان بليغا وقويا، دلت عليه مواقف أصحاب النبي ﷺ في أحلك وأصعب الظروف، وهذه المواقف أكثر من أن تحصى. من ذلك موقف الصحابة في غزوة بدر، وفي غزوة تبوك لما خرجوا في شدة الحر لمقابلة الروم. فالقرآن كان روحهم التي تسري في أجسادهم وقوتهم كانت مستمدة منه، فالجيش بلا روح تدفعه كالسلاح بلا يد تحمله، فكذلك كان شأنهم مع القرآن[2].

3- عجز العرب عن معارضة القرآن مع تحديه لهم

يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [3]يقول:"عجيب أن يقابل العرب كلام الله بهذا الاتهام، وهم أمة فصاحة وبلاغة وبيان، وقد بلغوا في هذا شأنا عظيما، حتى جعلوا للكلام معارض وأسواقا،كما نقيم الآن المعارض لمنتجاتنا، ولا يعرض في المعارض هذه إلا السلع الجيدة محلّ الفخر، فقبل الإسلام كان في عكاظ وذي المجاز مضمار للقول وللأداء البياني بين الأدباء والشعراء .

فعجيبٌ منهم ألاّ يميزوا كلام الله عن كلام البشر، خاصة وقد تحدّاهم وتحدّى فصاحتهم وبلاغتهم أن تأتي بآية واحدة من مثله، ومعلوم أن التحدي يكون للقوي لا للضعيف، فتحدّى القرآن للعرب يحسب لهم، وهو اعتراف بمكانتهم ومكانة لغتهم، فهو -إذن- شهادة لهم، ويكفيهم أن الله تعالى أدخلهم معه في مجال التحدي .

ولما عجزوا عن الإتيان بمثله راحوا يتهمونه ويتهمون رسول الله، فمرة يقولون: شاعر، ومرة: ساحر، وأخرى يقولون: مجنون، ومرة يقولون: بل يعلّمه ذلك أحد الأعاجم...إلخ، وهذا كله إفلاس في الحجة، فهم يريدون أن يكذّبوا رسول الله ﷺ، أما القرآن في حدّ ذاته، فلا يخفى عليهم أنه كلام الله، وأن البشر لا يقولون مثل هذا الكلام، بدليل أن الوليد بن المغيرة لما

1 - سورة الأعراف الآية 158.

2 - معجزة القرآنية، بغدادي بلقاسم ص 11 و ما بعدها.

3 - سورة السجدة الآية 03.

سمعه قال:"والله، إن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدِق، وأنه يعلو ولا يُعلى عليه". لذلك لما لم يجدوا في القرآن مطعناً اعترفوا بأنه من عند الله، لكن كان اعتراضهم أن يترل على هذا الرجل بالذات:﴿**وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هذا القرآن على رَجُلٍ مِّنَ القريتين عَظِيمٍ**[1]﴾ فكانوا ينتظرون أن يُترّل القرآن على عظيم من عظمائهم أو ملك من الملوك، لكن أن يترل على محمد هذا اليتيم الفقير، فهذا لا يرضيهم، وقد ردّ القرآن عليهم:﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحياة الدنيا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ [2]يعني: إذا كنا قد قسمنا بينهم أمور الدنيا وما يتفاضلون به من عرضها، فهل نترك لهم أمور الآخرة يقسمونها على هواهم وأمزجتهم؟ والرسالة رحمة من الله يختصّ بها من يشاء من عباده ﴿**والله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [3]وهذا يعني أنهم انتهوا إلى أن القرآن مُعجِز، وأنه من عند الله لا غبار عليه، والذي قرأه منهم، وأيقن أنه حق قال:﴿**اللهم إِن كَانَ هذا هُوَ الحق مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السمآء أَوِ ائتنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [4]وهذا كلام لا يقول به عاقل، وقد دلّ على غبائهم وحمقهم، وكان الأوْلى بهم أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه. وقد ردّ القرآن على كل افتراءاتهم على رسول الله، وفنّدها جميعا، وأظهر بطلانها "[5].

ولم يكونوا يقصدون من كل هذه الحملات على الرسول ﷺ والقرآن، إلا إنكار الرسالة، ومناهضة النبّي، فلمّا لفتهم إلى مواطن الخير الذي يدعوا إليه القرآن، وإلى تذوق روعته التي لم يستطيعوا إخفاء أثرها فيهم، قالوا: نحن قادرون على مثله. وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ**

1 – سورة الزخرف الآية 31.

2 – سورة الزخرف الآية 32.

3 – سورة الأنعام الآية 124.

4 – سورة الأنفال الآية 32.

5 – تفسير الشعراء ج 19 ص 11780.

﴿الْأَوَّلِينَ[1]﴾ وأمام هذا التحدّي منهم كان لا بد للقرآن من أن يتحداهم علانية وبقوة، ليبيِّن أنّه معجزة النبي إليهم"[2].

لقد تحداهم القرآن والكلام كلامهم، وهو سيد عملهم، قد فاق بيانهم، وجاشت به صدورهم، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم، حتى قالوا في الحيات والعقارب والذئاب والكلاب والخنافس والجعلان والحمير والحمام وكل ما دّب ودرج ولاح لعين، وخطر على قلب. ولهم بعد أصناف النظم، وضروب التأليف كالقصيد والرجز والمزدوج والمجانس والأسجاع والمنثور وبعد فقد هجوه من كل جانب، وهاجى أصحابه شعراءهم، ونازعوا خطباءهم، وحاجوه في المواقف، وخاصموه في المواسم، وبادروه العداوة وناصبوه الحرب، فقتل منهم وقتلوا منه وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا وأذكرهم لخير أو لشر، وأنفاهم له، وأهجاهم بالعجز وأمدحهم بالقوة، ثم لا يعارضه معارض، ولم يتكلف ذلك خطيب ولا شاعر، ومحال في التعارف ومستنكر في التصادف أن يكون الكلام أخصر عندهم، وأيسر مؤونة عليهم وهم أبلغ في تكذيبهم، وأنقض لقوله، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه، فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء به، وهم يبذلون مهجهم وأموالهم، ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره، وفي توهين ما جاء به، ولا يقولون بل لا يقول واحد من جماعتهم: لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم وتخرجون من دياركم، والحيلة في أمره يسيرة، والمآخذ في أمره قريبة، ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما في نظم كلامه، كأقصر سورة يخذلكم بها وكأصغر آية دعاكم إلى معارضتها"[3].

4- أوجه الإعجاز

إن إعجاز القرآن تناوله العلماء بالدراسة والبحث، ومع ذلك فما زالت وجوه إعجاز القرآن بكرا لم تفض، فكلما ظهرت معان تجددت معان أخرى، وهكذا فمعاني القرآن مع المتدبرين ولادة لا تنتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فما دام القرآن الكريم يتلى في ظلال

1 – سورة الأنفال الآية 31

2 – فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص 19.

3 – سائل الجاحظ. نقلا عن الباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري ص 20.

التدبر والتفكير، فإن المعاني تتشقق، والأفكار تتولد، والدلالات تتتابع، والإمتاع بالقراءة والتلاوة يملأ النفس خشية، والقلب خشوعا، والفكر نورا، والعقل هداية"[1].

لقد عرف الدكتور ضياء الدين عتر، وجه الإعجاز بقوله:" هو كل مزية في نظم القرآن أو معانيه خارجة عن طاقة المخلوق" ثم يقول: " ونريد بذلك كل وصف امتاز به القرآن عن غيره حتى أعجز المخلوقات عن معارضته فيكون كل وجه معجز شاملا عددا من المعجزات الكثيرة المنبثة من غضون القرآن والتي تتسم جميعا بوصف واحد مشترك أعني أنها تندرج في موضوع واحد[2].

إذن فوجه الإعجاز هو كل أمر حصل به تفرد القرآن عن غيره من النظم وخروجه عليها سواء تعلق ذلك بجانب الألفاظ أو بجانب المعاني.

لقد كان الحديث عن وجوه الإعجاز غاية كل من تطرق إلى قضية الإعجاز القرآني، حيث إنها لب الموضوع، وأن قضية الإعجاز في القرآن الكريم لا يمكن تناولها بمعزل أو بعيد عن بيان وجوه الإعجاز في القرآن، ولذلك يقول الشيخ الطّاهر بن عاشور: "لم أر غرضا تناضلت له سهام الإفهام، ولا غاية تسابقت إلى جياد الهمم فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن، فإنه كان ولم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، وموردها للمعلول والناهل...وإذ قد كان تفصيل وجوه الإعجاز لا يحصره المتأمل.كان علينا أن نضبط معاقدها التي هي ملاكها. فنحدد أن ملاك وجوه الإعجاز –عند العلماء– راجعا إلى أربع جهات أساسية:

الجهة الأولى: بلوغ الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مقدرة معاني دقيقة، ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب، مما لا يفيده أصل وضع اللغة بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام، لما لم يكن معهودا في أساليب العرب ولكنه غير خارج عمّا تسمح به اللغة.

1 – قضايا القرآنية ص 06.

2 – بينات المعجزة الخالدة، ضياء الدين ص 233.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكيمة، والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية ممّا لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن، وفي عصور بعده متفاوتة.

والجهة الرابعة: هي ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيبات، مما دلّ على أنه متزل من علاّم الغيوب"[1].

لقد أشار الشعراوي في تفسيره إلى بعض وجوه الإعجاز، غير أنه ذكرها مفرقة في ثنايا تفسيره، ولم ينهج طريقة المفسرين في بيان أوجه الإعجاز جملة أو بيانها في سياق آيات التحدي، وسأحاول عرض تلك الأوجه التي تحدث عنها الشعراوي في تفسيره ومن بينها:

عطاء القرآن المتجدد:

كثيرا ما يستخدم الشعراوي مصطلح العطاء، وهو الذي تميز به في تفسيره من خلال" لفتات بديعة مأخوذة من ظلال النص وليس من المعنى الحرفي للنص. فهو كثيرا ما يستكشف معاني بديعة اصطادها من تجليات النص وظلاله وإيحاءاته وفيوضاته " [2].

وحتى يقرب المعنى أكثر نجد الشعراوي يتحدث عن سر القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، وأن الرسول ﷺ لم يفسر كل القرآن، ويرى في ذلك ملمحا إعجازيا ،إذ لو فسر النبي ﷺ القرآن كله ما استطاع كائنا من كان أن يتجرأ على حضرته الشريفة فيفسر بعد تفسيره.

ولذلك يقول الشعراوي:" لو أن رسول الله ﷺ فسر كونيات القرآن وقت نزوله لجمد القرآن، لأنه لا أحد منا يستطيع أن يفسر القرآن بعد تفسير رسول الله ﷺ، وبذلك يكون عطاء القرآن قد جمد، ولكن ترك رسول الله ﷺ للتفسير أتاح لعطاءات متجددة للقرآن الكريم إلى قيام الساعة، وهكذا كان المنع هو عين العطاء، وهذه معجزة أخرى من إعجاز القرآن الكريم"[3].

أ / الإعجاز العلمي:

يقول الشعراوي: "جاء القرآن يعطي إعجازا لكل جيل فيما نبغوا فيه، وإذا أخذنا العلوم الحديثة التي اكتشفت في القرن العشرين وأصبحت حقائق علمية نجد أن القرآن الكريم قد أشار إليها بإعجاز مذهل، بحيث إن اللفظ لا يتصادم مع العقول وقت نزول القرآن، ولا

1 – مقدمة تفسيره التحرير للطاهر بن عاشور ج1 ص 105/104 الدار التونسية للنشر 1984 م

2 – عبد القادر محمد صالح، التفسير و المفسرون في العصر الحديث، دار المعرفة بيروت، ط 1 2003/1424 م، ص 235.

3 – تفسير الشعراوي ج1 ص 11 بتصرف.

يتصادم معها بعد تقدم العلم واكتشاف آيات الله في الأرض ولا يقدر على هذا الإعجاز المذهل إلا الله سبحانه وتعالى"[1]. ثم نجد الشعراوي كثيرا ما يدلل على هذا الجانب من خلال ما يعرضه من نماذج ومن ذلك:

1- الإعجاز في الآفاق وفي النفس البشرية :

يقول في قوله تعالى:﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [2]أي أن القرآن له عطاءان في الإعجاز العطاء الأول"آيات الآفاق" وهذه هي الآيات الكونية، والعطاء الثاني"آيات في أنفسهم"، وهذه هي الآيات التي تتعلق بأسرار الجسد البشري. وقوله وقول الحق"**حتى يتبين لهم أنه الحق**" أي أن القرآن هو الحق، ولذلك يمكن أن نقول إن آيات الكون ستأتي موافقة لآيات القرآن الكريم، أي أن الله سبحانه وتعالى وضع في القرآن الكريم من آيات الكون وأسراره، وعن الجسد البشري وتكوينه، آيات يمكن أن يعطيها المؤمنين ولغير المؤمنين"[3].

2- عدم التعارض بين القرآن والعلم : وفي هذا الصدد يقول: "لا تناقض مطلقا بين القرآن والعلم. فإذا جاءت نظرية علمية تناقض القرآن الكريم فالقرآن على حق والنظرية باطلة، وهناك نظريات أخفاها الله سبحانه وتعالى عنا ولكن إخفاءه لها لا يضرنا بشيء"[4].

ويضيف متحدثا عن هذا الأمر فيقول: " هذا الإعجاز يتفق مع قدرات العقول وقت نزول القرآن الكريم، فإذا تقدم العلم وصل إلى حقيقة ما كان يعتقدها الناس، تجد أن آيات القرآن تتفق

مع الحقيقة العلمية اتفاقا مذهلا، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى"[5].

ب/ الإعجاز الغيبي:

أشار إليه محاولا تقريب معناه عن طريق ضرب أمثلة من واقع الناس حيث يقول: "نزل القرآن متحديا لغير العرب وقت نزوله، فقد حدثت حرب بين الروم والفرس وقت نزول القرآن، وكانت الروم والفرس كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي في عصرنا،كانتا

1 - المصدر السابق ج1 ص 9.
2 - سورة فصلت الآية 53.
3 - تفسير الشعراوي ج1 ص 15.
4 - المصدر نفسه ج1 ص 22.
5 - تفسير الشعراوي ج1 ص 10.

أعظم وأقوى دولتين في ذلك العصر، وحدثت الحرب بينهما وانهزم الروم. وإذ بالقرآن يترل﴿**أَلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**[1]﴾. "ولو أن هذا القرآن من عند رسول الله ﷺ فما الذي يجعله يدخل في قضية كهذه؟. وكيف يغامر الرسول ﷺ في كلام متعبد بتلاوته إلى يوم القيامة لا يتغير ولا يتبدل بإعلان نتيجة معركة ستحدث بعد سنين"[2].

ج / الإعجاز البلاغي: وقد تطرق الشعراوي إلى هذا الوجه الإعجازي في قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**[3]﴾ يقول:"بعد أن بين الحق سبحانه وتعالى لنا أن هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أنداداً، لا يعتمدون على منطق ولا عقل، ولكنهم يعتمدون على شهوات دنيوية عاجلة، أراد أن يأتي بالتحدي بالنسبة للقرآن الكريم المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ، حتى يثبت لهم أن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد جعل خلق الكون إعجازاً محسا، فإن القرآن منهج معجز إعجازا قيماً. قال الله جل جلاله:﴿**وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ**﴾ الخطاب هنا لكل كافر ومنافق غير مؤمن، لأن الذين آمنوا بالله ورسوله ليس في قلوبهم ريب، بل هم يؤمنون بأن القرآن موحى به من الله، مبلغ إلى محمد ﷺ بالوحي المترل من السماء .

والريب: هو الشك. وقوله تعالى:﴿**إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ**﴾ أي إن كنتم في شك. من أين يأتي هذا الشك والمعجزة تحيط بالقرآن وبرسوله ﷺ؟. ما هي مبررات الشك، ورسول الله ﷺ لا يقرأ ولا يكتب، ولم يعرف بالبلاغة والشعر بين قومه، حتى يستطيع أن يأتي من عنده بهذا الكلام المعجز الذي لم يستطع فطاحل شعراء العرب الذين تمرسوا في البلاغة واللغة أن يأتوا بآيةٍ من مثله. هذه واحدة.

والثانية أن رسول الله ﷺ لا يكذب أبداً، ولم يعرف عنه كذب قبل تكليفه بالرسالة بل كانوا يلقبونه ﷺبالصادق الأمين، والذين كانوا يلقبون رسول الله ﷺ هم الذين اتهموه بأن هذا القرآن ليس من عند الله، أيصدق رسول الله ﷺ مع الناس. ويكذب على الله؟ هذا مستحيل .

---

1 – سورة الروم الآية 03.

2 – تفسير الشعراوي ج1 ص 09-10.

3 – سورة البقرة الآية 23.

الكلام الذي جاء به رسول الله ﷺ وهو القرآن لم يكن أحد ليستطيع أن يأتي به من فطاحل علماء البلاغة العرب. والعلم الذي نزل في القرآن الكريم.لم يكن يعرفه بشر في ذلك الوقت. فكيف جاء النبي الأمي بهذا الكلام المعجز. وبهذا العلم الذي لا يعلمه البشر؟ لو جلس إلى معلم أو قرأ كتب الحضارات القديمة. لقالوا ربما استنبط منها، ولكنه لم يفعل ذلك. فمن أين دخل الريب إلى قلوبهم؟. لاشك أنه دخل من باب الباطل، والباطل لا حجة له."[1]

من مظاهر الإعجاز البياني في تفسير الشعراوي:

-**بيان تفرد أسلوب القرآن وربانية مصدره:** يشير الشعراوي إلى أن النبي ﷺ كان مبلغا عن ربه وما كان ليفتري هذا القرآن من عنده، ويستل على ذلك بمقارنة بين الأساليب الثلاثة، وأنها لا يعقل أن تجتمع في شخص واحد يقول الشعراوي :"رسول الله ﷺ لم يقرأ و لم يكتب، هل يمكن أن تكون له ثلاثة أساليب متميزة تختلف بعضها عن بعض تماما...وهي أسلوب القرآن الكريم، وأسلوب الأحاديث القدسية، وأسلوب الأحاديث النبوية، لا توجد عبقرية في الدنيا من يوم أن خلقت إلى يومنا هذا لها ثلاثة أساليب، لكل منها طابع مميز لا يتشابه مع الآخر، كيف يمكن أن يفرق رسول الله ﷺ وهو يتكلم بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي، بحيث يعطي كلا منها طابعا وأسلوبا مختلفا عن الآخر"[2].

-**مراعاته مقتضى الحال:** لقد حرص الشعراوي في أكثر من موضع على التدليل لتميز الأسلوب القرآني بإرضاء العامة والخاصة، ومراعاته مقتضى الحال، فهو يرى أن:" بلاغة القرآن لها عناصر لا بد أن تتوافر فيها، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولكن العجيب أن القرآن في هذه الناحية، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيه معجزة كبرى...وإعجاز القرآن يأتي في أنه يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا الغني منهم والفقير، التعيس منهم والسعيد، الخادم منهم والسيد إنه يخاطبهم جميعا ويخاطبهم في حالاتهم النفسية كلها...ومن هنا كان الإعجاز الأول في بلاغة القرآن، أنه يحيط علما بحالات أفراد متعددين من أجناس مختلفة، وشعوب مختلفة، وثقافات مختلفة، ولغات مختلفة..."[3]

1 - تفسير الشعراوي ج1 ص 190.

2 - تفسير و مفسرون في العصر الحديث عرض و دردشة لأهم كتب التفسير المعصر، عبدالقادر محمد صالح ص 221.

3 - تفسير الشعراء ج1 ص 610.

-**القرآن جاء بلغة العرب التي يجيدونها تعجيزا لهم:** وقد نبه إلى ذلك الشعراوي بقوله :" القرآن الذي بيّن الحق سبحانه وتعالى أنه معجزة ﷺ هو من جنس ما نبغ فيه قومه، فتحداهم من جنس ما برعوا فيه. ويقول لهم: هاتوا مثيلاً له، ولن تستطيعوا، ولو أنه جاء بالقرآن على غير لغتهم في الكلام لقالوا: لا نستطيع، لأن حروف هذه اللغة جديدة علينا. وقد شاء الحق أن يكون القرآن من نفس الحروف التي يتحدثون بها، وبالكلمات التي يعرفونها في لغتهم، وشاء سبحانه أن يجعل حروف وكلمات وآيات وأساليب القرآن غير قابلة للتقليد، لأن المتكلم مختلف، وبهذا جاءت عظمة القرآن لا من ناحية المادة الخام التي تبني منها الكلمات وهي الحروف، بل المعاني والنسق الذي جاءت به الحروف، فالمادة الخام -وهي الحروف- واحدة. وصار القرآن معجزة، لأن المتكلم هو الله "[1].

-**جماليات الأسلوب القرآني:** يعتبر الشيخ الشعراوي مفسرا ذواقا لروعة التعابير القرآنية، وقد سعى في مواضع كثيرة إلى الكشف عن جماليات الأسلوب القرآني، وتقريب تلك الصور لمستمعيه بنحو شيق ممتع "فقد رزق ذوقا حساسا رهيفا، يؤيده إيمان مكين بالقدرة الخارقة على هذا الإعجاز، وبعض الكاتبين يخلبك بالتحليل الذوقي، ولكن لا تلمس في مشاعرك ما يجذبك إلى قوله هذا الجذب

الأخاذ، لأن انبثاق النور من قلب الشيخ قد هداه إلى سبيل بعيدة لم يسر فيها غير الأفذاذ، وهم قليلون"[2].

وفي إحدى نماذج هذا التوجه نجده بأسلوب سلس يقرب لمستمعيه ملمحا بلاغيا قد لا ينتبه له إلا الخاصة -وهو خروج الأمر عن معناه الحقيقي لإفادة معنى مجازي لقرينة تدل على ذلك- عن طريق ضرب الأمثلة المحسوسة، حيث يقول في معرض تفسير قوله تعالى:﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيما**[3]﴾ يقول :"حين يقال بشر فالمستمع يفهم أن هناك شيئا يسر،

1 - المصدر نفسه ج9 ص 5638.

2 - تفسير الشعراوي، جولة في فكرة الموسوعي الفسيح رحيب بيومي، ص 78.

3 - سورة النساء الآية 138.

وإذا قال الحق "بأن لهم عذابا أليما" فمعنى ذلك أن الغم يأتي مركبا، فقد بسط الحق أنفسهم بالبشارة أولا، ثم أنهاها

بالنذارة، وعلى سبيل المثال–ولله المثل الأعلى– يقول الأب لابنه ذاكر يا بني حتى لا ترسب، لكن الابن يستمر في اللعب. ثم يقول الأب: يا بني لقد اقترب الامتحان، ولا بد أن تذاكر، ولا يأبه الابن لكلام الأب، ثم يأتي الامتحان ويذهب الأب يوم إعلان النتيجة فيكون الابن راسبا فيقول الأب لابنه: أهنئك..لقد رسبت في الامتحان فقوله: "أهنئك" تبسط نفس الابن لأنه يتوقع سماع خبر سار، ويسمع بعدها لقد رسبت تعطيه الشعور بالقبض".

ذلك جانب من قضايا الإعجاز التي تطرق لها الشعراوي في تفسيره، وما ذكرته إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر، وعلى جهة الإجمال لا التفصيل، وإلا فإن الشيخ الشعراوي قد أبدع فأفاد وأجاد في هذا الباب.

الباب الثالث

الوزن العلمي لشخصية الشعراوي و تفسيره

الفصل الأول

مميزات تفسير الشعراوي

إن التفسير الذي بين أيدينا لصاحبه الشعراوي و الدي يسميه خواطر بقوله "خواطري حول القرآن لا تعني تفسيرا للقرآن ..."[1]يتسم تفسير الشعراوي بمميزات جعلته ينفرد بها عن بقية التفاسير المعاصرة له ،كونه يعد تجربة رائدة في مجال التفسير الشفهي للقرآن الكريم، فهو يعد أول تفسير صوتي يلقيه صاحبه شفاهة لا كتابة، وقد لقي تفسيره –رحمه الله – رواجا كبيرا ومتابعة واسعة من شتى شرائح المجتمع الإسلامي، زاد منه قوة الترابط الوجداني بين المفسر والمتلقي، حيث ترك هذا التفاعل بين الشيخ ومستمعيه بصمة قوية وأثرا بارزا، في تكوين الشخصية الإسلامية وربطها بكتاب ربها. كما أن عامل المشافهة يفتح المجال لتهاطل المعاني أرسالا أرسالا، بينما قد تحول الكتابة وتدقيقاتها أحيانا دون هذا الفيض المعرفي الذي ينساب على الشيخ –رحمه الله– وهو يفسر القرآن ويستخرج دره ومكنوناته.

و هو شأن التفسير الشفه الدي يعتمد الواقع مرتكزا و منطلقا بحيث أحدث الشعراوي إتساقا عجيبا بين النص القرآني و الواقع المعيش

إن السمة الغالبة على تفسير الشعراوي الجانب الوعظي التربوي الاجتماعي، لكن ثقافته اللغوية كانت حاضرة بقوة، فحيثما ألقيت السمع لتفسيره، أو أمعنت النظر فيه– أقصد به ما تم تدوينه وطبعه– فإنك تتلمس تلك القدرة العجيبة على تقريب معاني القرآن الكريم، بأساليب بسيطة، ولغة سلسة يسيرة تحبب المستمعين فيها، وتزيدهم شوقا لسماعها، وتلك إشكالية أرقت الكثير من الدعاة والوعاظ والخطباء، أنى لهم بلغة يفهما العامي والبسيط؟.

ذلك أن اللغة التي دأب الكثير من المتعلمين والمثقفين، ودرجوا على التواصل بها هي لغة علمية عميقة دقيقة، ليس من السهل فهمها واستيعابها إلا بالرجوع أحيانا إلى مضانها من معاجم وقواميس وموسوعات، تجلي معناها وتبسط مغزاها ومرماها. وكثيرا ما كانت هذه اللغة تحول بين الملقي والمتلقي، وتحجب قنوات الاتصال الحميمي بينهما، غير أن ما يمكن

[1]- تفسير الشعراوي ج١ ص ٥.

تسجيله في تفسير الشعراوي أنه أتى بأسلوب يزاوج في لغته التفسيرية بين اللغة العلمية الراقية وبين اللغة البسيطة.

" لقد اقترن منهجه بأسلوب في الطرح فريد في صدقه وتلقائيته، وفي انتقاله من قلب المتحدث إلى قلب المستمع، وهذا الأسلوب كان مطبوعا عند الشيخ بمصرية أصيلة معبرة عن أعماق ريف أرض الكنانة، وبأزهرية عريقة تمتد جذورها قرونا، ولكل من هاتين السمتين مكانتها في مصر وفي الوطن العربي الكبير وديار الإسلام أيضا...هاتان السمتان فعلتا فعليهما في لغة الشيخ وطريقته في التعبير، وفي تحريك أعضاء جسمه وهو يجلس في الكرسي التاريخي، فكان أن حقق ذلك كله جذبا لجمهور المستمعين، وقد جمعت لغة الشيخ بين روعة الفصحى وبساطة العامية الراقية المعبرة عن نبض الجمهور"[1]

ومن هذا المنطلق فإن ميزة التفسير الشفهي الأساسية " هي ارتباطه بواقع الناس وحياتهم اليومية، لأن المفسر واحد منهم، غير أنه خرج برحمة من الله من دائرة العقلية السائدة، فرأى الحق فاتبعه ورأى الباطل فأنكره... ولكي يحقق المفسر هذا الأمر لابد أن يستخدم اللغة الملائمة والتشبيه الملائم والمقارنة المناسبة، لأن مقتضيات الأحوال هي التي تتحكم في التفسير الشفاهي .

وهكذا كانت لغة المفسر في الأساس تجمع بين مستويات ألسنة ثلاث: هي الفصحى والدارجة واللهجة المحلية، لأن ذلك يساعد على إفهام كافة الطبقات الحاضرة من النساء والرجال والعامة والخاصة"[2].

لقد" تمتع الشيخ بسهولة في عبارته، وعمق في كلامه، أخذ بمسامع العامة، وشغف بحديثه الخاصة، أرهفت لنبراته الآذان، واهتز له الوجدان، كان حديثه يثلج القلوب، وتنعم به الألباب، لم يألف غرائب الخطاب، وشغف بسلاسة الجواب، فاخترقت خواطره الصدور، وقبعت في الأفئدة، التف حوله العلماء، وتحلق حوله البسطاء، جمع بين العقل والقلب، فلم يكن عقلانيا خالصا، يشرئب بعقله فيما وراء الطبيعة، أو يغوص به في بحور الفلسفة التي ليس

[1]- أحمد صدقي الدجاني، الداعية الفذ، محاولة لفهم ظاهرة، جريدة الأهرام بتاريخ 1998/06/19م، ص10.

[2]- أحمد رحماني، دور التفسير الشفهي في الإصلاح، ص 51.

لها قرار، و لم يكن يستهين بعقول مستمعيه فيسبح بهم في عالم سحيق امتلأ بالشطحات، بل ربط بين العقل والقلب بأسلوب واقعي"[1]

لقد أكد المفكر والكاتب الإسلامي فهمي هويدي " أن الشعراوي من القلائل الذين حظوا بإجماع الأمة، بل ربما العالم الوحيد الذي استطاع أن يوصل العلم الشرعي والفقه إلى بسطاء الناس، واستطاع أن يجذب الملايين لمتابعة تفسيره للقرآن في كل مكان ببلاغته وكفاءته وطلاوة لسانه، فقد اجتمع على مائدة علمه كل المستويات الثقافية من الأمي إلى صفوة المثقفين، وكانت له فضائل كثيرة في العلاقات الإنسانية ورعايته لأهل العلم وترفعه عن الصغائر، ويكفيه أنه قابل ربه وقد أفنى حياته في تفسيره للقرآن الكريم بشكل غير تقليدي لا ينافسه فيه أحد"[2].

- كما يتميز أسلوبه بالبساطة مراعاة لأحوال المخاطبين، فقد كان الشيخ يتوجه بتفسيره إلى عامة المجتمع المسلم على تباين مستوياتهم المعرفية، لذلك نكاد نجد الجانب المنهجي الأكاديمي مفقودا في تفسيره، لكنه في المقابل زاوج بين بساطة الأسلوب والدقة إيصال المعاني وتقريب المفاهيم.

يقول الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر السابق: " وهب الله فضيلة إمامنا الشيخ الشعراوي موهبة عظيمة جعلته فريدا بين أقرانه، ورائدا في أطوار حياته حتى وهو طالب علم وأستاذا في كل علم من العلوم الدينية والعربية، فهو الشاعر الكبير، والأديب الأريب، وأستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم، طوع الله له الأسلوب فكان أسلوبه ممتعا يفهمه العامة، ويعجب به الخاصة .كما منحه العبارة السلسة البليغة، ومع هذا فهو الخطيب المفوه والمحاضر الممتاز القدير، والداعية من الطراز الأول، حبب له السخاء في العطاء للدين والدنيا، ومنحه خلقا يسع به جميع من يعرفه."[3]

فكلام الشيخ -رحمه الله- إذا أصغى إليه العالم شده حسن التعبير، ودقة التصوير، وعمق التفكير. وإذا سمعه العامة شاقهم أسلوبه، وبهرتهم موسوعيته، حتى وصف بأنه " ترجمان القرآن".

---

[1]- محمد صديق المنشاوي، الشعراوي وحديث الذكريات، ص 05.

[2]- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص 16.

[3]- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص19.

"فلقد جاء رحمه الله في عصر تباعد الناس فيه عن كتاب الله اشتغالا بالدنيا، أو افتتانا بمذاهب وأفكار ليس للإيمان في عالمها مكان، أو عجزا عن التواصل مع كلمات الله بسبب الجهل الفاضح بأبجديات اللغة العربية التي نزل بها القرآن..... فلما ظهر الشعراوي مفسرا إذا بالسدود العالية التي كانت تحول بين كلمات الله وبين عقول وقلوب الملايين، تنهار سدا بعد سد، وإذا بالوحي يعود في وجدانهم واضحا متألقا بحمى نبض السماء، وإذا بالثقافة الإيمانية تصبح لغة الجماهير... وإذا القرآن يتحول على لسان ذلك الداعي المؤمن من أحرف يرددها أكثر الناس في غير وعي ولا فقه، إلى حياة كاملة ملؤها الخير والعطاء والفلاح والإصلاح بين الناس، وإذا بأحاديث الشعراوي توشك أن تتحول في حياة الناس إلى ناقلة من نواقل الثقافة والعلم الديني."[1]

إن "المتابع للشيخ يستمع إلى شرحه في أدق مسائل علم الكلام كالجبر والاختيار، والإرادة والقدرة، فتجد الذين يتصاولون بقضايا المنطق، ويرصدون النتائج وفق المقدمات في هذه المسائل، لا يبلغون من القارئ معشار ما بلغ، وكأن الشيخ قد أدرك إدراكا قويا فآثر أن يتجنبه إلى ما يسمى –عند البيانيين بالسهل الممتنع–، فتظن أنك قادر على محاكاته، ولكنك تعترف بالعجز عند الخطوة الأولى، وهي التي جعلت سامعي الشيخ على اختلاف قدراتهم العقلية يجدون لديه ما ينشدون، وكم يهزك أن تسمع قرويا ساذجا لا يكاد يلم بمبادئ القراءة والكتابة، يتحدث عن آية قرآنية، فيقول إن الشيخ الشعراوي قد قال فيها كذا وكذا، وتستمع إليه فإذا بك تراه قد فهم عن الشيخ ما يريده من النص القرآني دون قصور، والشيخ يعلم جيدا أن الوضوح هو غاية المتكلم من الكلام، لأن الذي يلغز في قوله لا يحاول أن يفهمه أحد، بل يحاول أن يستطيل بما يلغز، مدعيا أنه بذلك يصعد في مراقي الفكر، وما علم أنه أوصد الأبواب بينه وبين قارئيه، فماذا أفاد واستفاد."[2]

– كما أن من أبرز ما يتميز به الشعراوي في تفسيره طريقته في الربط بين التفسير والواقع المعاش، فقد كان المفسرون يتعاملون مع النصوص القرآنية شرحا لمعانيها، وعرضا لأحكامها أو حكمها، أو بيانا لجوانبها التصويرية، أو تراكيبها اللغوية، أو أوجه القراءات....لكن الشعراوي

[1]– أحمد كمال أبو المجد، مقال بعنوان: "ورحل عنا ترجمان القرآن" الأهرام المصرية، تاريخ1988/8/19. و ينظر الراوي هو الشعراوي ص27.

[2]– محمد رجب بيومي، الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح، ص 32.

تعامل مع النص القرآني في تفسيره بحرفية ودقة وذكاء، جعلته يقرب معاني النصوص إلى العامة والخاصة بأسلوب عجيب.

وإن من أهم ما سعى الشيخ الشعراوي إلى تأكيده في تفسيره هو " أن القرآن كتاب الحياة، فقد جمع صلاحها وإصلاحها، وبه وحده تسير عجلة الحياة على أحسن وجه يتاح ...لقد كان يشرح آيات الله، وهذا الشرح وحده قد جمع شؤون الحياة والأخلاق والاقتصاد، وهذا مطلب عزيز المنال قبل تفسير الشعراوي. لأن سابقيه في الزمن الماضي مع فضلهم، وجهدهم الحميد- قد تركوا شؤون الهداية مما جاء القرآن أصلا لتوضيحها، إلى شؤون أخرى من معارف العلوم، فقد نجد في كتبهم مباحث النحو والصرف، والبلاغة وعلم الكلام، وشجونا من القصص والتاريخ، ومسائل من الفقه والأصول، ولكنك لاتجد إلا نادرا نور الهداية الذي يضيء القلوب، ويأخذ بالنفس من ظلمات الشك إلى ضمائر الضياء.

لقد كانت خلوات الليل الممتدة مجالا للتفكير في مستحدثات هذا الكون، وفيما يمكن أن يجول في خواطر الناس بشأن هذه المستحدثات، وقد علم من أقرب المقربين لديه أنه لم يكن يطالع كثيرا من كتب المفسرين القدامى حين ينوي تفسير آية من كتاب الله، اعتمادا على ما قرأه من قبل من الشروح الكثيرة، لأنه يعلم أن كثيرا من سامعيه قد قرءوا هذه التفاسير وألموا بها عن يقين، فليس مهمته العلمية أن يعيد عليهم ما قرءوه بأسلوب جديد، ولكن مهمته أن يطالع أبناء العصر بما يسهل تصوره من المعاني المستقاة أصلا من كتاب الله"[1].

لقد ركز الشعراوي على تجسيد معاني القرآن، وتقريب مفاهيمه العميقة إلى أذهان الناس، وكان-تفسيره- من أهم إنجازاته وأبلغها أثرا في إيقاظ روح الإسلام وربط المسلمين بمصدر عزهم وكرامتهم وقوهم على مدى التاريخ ربطا مباشرا"[2].

ولنستمع إليه في شرحه معنى التفضيل في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[3] "وما هو التفضيل؟ إن التفضيل هو أن تأتي للغير وتعطيه ميزة، وعندما تعطي له مزية عمن سواه قد يقول لك إنسان ما "هذه محاباة"، لذلك نقول لمن يقول ذلك: الزم الدقة، ولتعرف أن التفضيل هو إيثار الغير بمزية بدافع الحكمة، أما المحاباة فهي إيثار الغير بمزية بدافع

1- الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح ص31.

2- الشعراوي الذي لا نعرفه ص22 .

3- سورة البقرة، الآية 253.

الهوى والشهوة، فمثلاً إذا أردنا أن نختار أحداً من الناس لمنصب كبير، فنحن نختار عدداً من الشخصيات التي يمكن أن تنطبق عليهم المواصفات ونقول: "هذا يصلح، وهذا يصلح، وهذا يصلح" و" هذا فيه ميزات عن ذاك" وهكذا، فإن نظرنا إليهم وقيمناهم بدافع الحكمة والكفاءة فهذا هو التفضيل، ولكن إن اخترنا واحداً لأنه قريب أو صهر أو غير ذلك فهذا هو الهوى والمحاباة"[1] .

- وفي سبيل تقريب معاني النصوص القرآنية إلى مستمعيه، نجده يحرص -في تفسيره- على توظيف واستثمار شتى الطرق والوسائل الممكنة لديه، في سبيل إيصال رسالته وتبليغها إلى مخاطبيه، وتحقيقا لذلك كان اعتماده على:

أولا: ضرب الأمثال سواء كانت عربية فصيحة أو عامية مصرية:

كان الشيخ الشعراوي يلجأ إلى العامية الراقية، حين يحتاج إليها وكان يفعل ذلك في براءة الأطفال وببراعة الدعاة، والغرض من وراء ذلك تقريب الفهم وتبسيط المعنى من جهة، ومن جهة أخرى ربط الإنسان بواقعه، خاصة ما يتم تداوله من أمثال ومأثورات مما قد يتقاطع مع بعض القيم الإنسانية، أو التوجيهات الشرعية التي دلت عليها الفطر السليمة أو النصوص الشرعية المعصومة.

" كان من خصائص تفسير الشعراوي ضرب الأمثلة المحسوسة والتشبيهات التي تقرب المعنى البعيد، فيفهمه المستمع بسهولة ويقف على العطاء القرآني الذي لم يقف عليه من قبل، فكانت هذه الأمثلة والتشبيهات تجذب عقول الناس وقلوبهم، وتلفت انتباههم، وتجعل المعاني تقترب منهم"[2].

ومثال ذلك تفسيره قوله تعالى:﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] يقول الشيخ الشعراوي:

" إذاً، فقوله الحق: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي أنكم عشتم قبل ذلك مع نعمة المنعم، وسبحانه يدعوكم إلى لقاء المنعم، ذلك تمام النعمة. وأضرب هذا المثل-ولله المثل الأعلى- إننا نجد الابن ينظر إلى هدايا الأب الغائب ويقول: أنا لا أريد هذه الأشياء ولكني أريد أبي. إن تمام

1- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 1085 .

2- الشعراوي إمام الدعاة، ص 65.

3- سورة المائدة، الآية 06.

النعمة –في المستوى البشري– أن يرى الإنسان المنعِم عليه وهو إنسان مثله، أما تمام النعمة على المخلوق من الخالق فيستدعي أن يتطهر الإنسان بما حدده له الله وأن يصلي فيلقى الله. ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ساعة نسمع: أنا فعلت ذلك وذلك لعلك تشكر، فهذا يعني أنك إن فعلت ما آمرك به فستجد أمراً عظيماً."[1]

ونجده مثلا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2] يقول: " الروح لا تحل إلا في مادة خاصة، فإذا انتهت المقومات الخاصة في المادية، فالروح لا تسكنها لأن بنية البدن قد تهدمت. " ثم يضرب لذلك مثالا – توضيحا لرأيه– فيقول: "والمثال الذي يوضح ذلك، لنفترض أن أمامنا نورا، إذا كسرت الزجاجة يذهب النور، هل الزجاجة هي النور؟ لا ،لكن الكهرباء لا تظهر إلا في هذه الزجاجة، كذلك الروح لا توجد إلا في بنية لها مواصفات خاصة، إذن فالقاتل لا يخرج الروح ولكنه يهدم البنية بأمر محس، فالأمر الغيبي وهو الروح لا يسكن في بنية مهدومة..."[3]

أ/ توظيف الأمثلة الشعبية

ومثال ذلك في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [4] يقول الشيخ الشعراوي: "وحين تأكل بالباطل فلن تستطيع أنت شخصياً أن تعفي غيرك مما أبحته لنفسك، وسيأكل غيرك بالباطل أيضاً. ومادمت تأكل بالباطل وغيرك يأكل بالباطل، هنا يصير الناس جميعا نهباً للناس جميعا. لكن حين يُحكم الإنسان بقضية الحق، فأنت لا تأخذ إلا بالحق، ويجب على الغير ألا يعطيك إلا بالحق، وبذلك تخضع حركة الحياة كلها لقانون ينظم الحق الثابت الذي لا يتغير، لماذا؟ لأن الباطل قد يكون له علو، لكن ليس له استقرار، فالحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً

[1] – تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2968.

2– سورة الإسراء، الآية 85.

[3]– تفسير الشعراوي، ج 14 ص 8719.

[4]– سورة البقرة، الآية 188.

﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ ﴾ [1] وساعة ترى مطراً يترل في مسيل ووادٍ، فأنت تجد هذا المطر قد كنس كل القش والقاذورات وجرفها، فطفت فوق الماء ولها رغوة، وكذلك فأنت عندما تدخل الحديد في النار تجده يسيل ويخرج منه الخبث، ويطفو الخبث فوق السطح، وهكذا نجد أن طفو الشيء وعلوه على السطح لا يعني أنه حق، إنه سبحانه يعطينا من الأمور المُحسة ما نستطيع أن نميز من خلاله الأمور المعنوية، وهكذا ترى أن الباطل قد يطفو ويعلو إلا أنه لا يدوم، بل ينتهي، والمثل العامي يقول: "يفور ويغور"[2].

ويضيف الشعراوي قائلا في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ [3] "...إذن: ما دُمتم مؤمنين بربوبية خلق وربوبية إمداد وإنعام، فعليكم أن تؤمنوا بما جاء من ربكم، كما نقول في المثل: "**اللي يأكل لقمتي يسمع كلمتي**" ومع ذلك ورغم فضل الله ونعمه عليهم قُل لهم: لا جبر في الإيمان ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾"[4].

ب/ الأمثلة العربية الفصيحة

بالنظر إلى طبيعة تفسير الشعراوي نجده مقلا في عرض الأمثال العربية الفصيحة، إذا ما قارناها بالأمثلة العامية، من ذلك حديثه عن المثل العربي: "**ما وراءك يا عصام**" وذكره لمورد ومضرب المثل فيقول:"...إن ملكا من الملوك أراد أن يخطب فتاة من فتيات العرب فأرسل خاطبة اسمها عصام لترى هذه العروس وتخبره عنها، فلما عادت قال ما وراءك يا عصام؟ أي بماذا جئت من أخبار، فقالت له: " أبدى المخض عن الزبد" والمخض هو أن تأتي باللبن الحليب وتخضه في القربة حتى ينفصل الزبد عن اللبن فصار الاثنان–السؤال والجواب– يضربان مثلا، تأتي لمن يجيئك تنتظر منه أخبارا فتقول له ما وراءك يا عصام"[5].

1- سورة الرعد، الآية 17.

2- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 812.

3- سورة الكهف، الآية 29.

4- تفسير الشعراوي، ج 14 ص 8880.

5- تفسير الشعراوي ج1 ص 163.

ثانيا: اعتماده على الأسلوب القصصي

لقد أدرك الشعراوي أثر الأسلوب القصصي في شد انتباه المستمعين والتأثير فيهم، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن مستنده في ذلك أسلوب القرآن المعجز، الذي قص فيه الحق سبحانه وتعالى العديد من القصص لأجل العبرة والعظة، ومثال ذلك في تفسير الشعراوي كثير.

يقول الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى :﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [1]. يقول الشيخ-رحمه الله- "وأروي لكم هذه القصة حتى تعرفوا مدى تدَخّل الشيطان، وقد حدثت مع الإمام أبي حنيفة ﷺ. فقد جاء إليه من يسأله الفتوى في أمر غريب، قال السائل: ضاعت مني نقودي، فقد دفنتها في مكان من الأرض، ونزل السيل فطمس مكان النقود، وأزال الحجر الذي وضعته علامة على مكانها. فقال الإمام أبو حنيفة: اذهب الليلة بعد صلاة العشاء وقف أمام ربك إلى أن يطلع الفجر، وقل لي ماذا سوف يحدث. وعندما جاءت صلاة الفجر جاء الرجل متهللاً إلى أبي حنيفة وقال: وجدت مالي .

فسأله أبو حنيفة "كيف؟ قال الرجل: بينما أنا أقف للصلاة تصورت مكان وضع النقود، ومتى نزل السيل، وكيف سار، وهكذا قست المسافة وقدرتها إلى أن عرفت موقع النقود. فضحك الإمام وقال: والله لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تتم ليلتك مع ربك. هكذا ترى كيف يدخل الشيطان من باب الطاعة ..."[2]

ثالثا: القصة القرآنية وتوظيفها

لقد أولى الشيخ الشعراوي للقصة القرآنية اهتماما بالغا، وأكثر الحديث عنها، وعن أغراضها، وعن سر تكرارها، كما أنه استطاع توظيف القصة القرآنية في تفسيره توظيفا دقيقا، مما جعله يعرض لبعض القضايا الجمالية التي تنم عن حسه الجمالي وذوقه الرفيع في تدبر آيات القرآن الكريم. ولنستمع إليه —على سبيل التمثيل- وهو يحدثنا عن سر إخفاء بعض عناصر

---

[1]- سورة المائدة، الآية 92.

[2]- تفسير الشعراوي، ج 6 ص 3390.

القصة القرآنية وأبعاد ذلك أسلوبيا وجماليا، فيقول في تفسيره قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ [1] " ...وكذلك لو حددها بشخصيات معينة لقيل: إنّ القصص لا يمكن أن تحدث إلا على يد هذه الشخصيات، لأنها فلتات في الكون لا تتكرر. إن الله حين يبهم في قصة ما عناصر الزمان والمكان والأشخاص وعمومية الأمكنة، إنه -سبحانه- يعطي لها حياة في كل زمان وفي كل مكان وحياة مع كل شخص، ولا يستطيع أحد أن يقول: إنها مشخصة. وأضرب دائما هذا المثل بالذين يحاولون أن يعرفوا زمن أهل الكهف، ومكان أهل الكهف، وأسماء أهل الكهف، وكلب أهل الكهف. نقول لهؤلاء: أنتم لا تثرون القصة، لأنكم عندما تحددون لها زمانا ومكانا وأشخاصا فسيقال: إنها لا تنفع إلا للزمان الذي وقعت فيه. ولذلك إذا أراد الحق أن يبهم فقد أبهم ليعمم، وإن أراد أن يحدد فهو يشخِّص ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امرأت نُوحٍ وامرأت لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادخلا النار مَعَ الداخلين** ﴾ [2]. لم يحدد الحق هنا اسم أي امرأة من هاتين المرأتين، بل ذكر فقط الأمر المهم وهو أن كلا منهما كانت زوجة لرسول كريم، ومع ذلك لم يستطع نوح عليه السلام أن يستلب العقيدة الكافرة من زوجته، و لم يستطع لوط عليه السلام أن يستلب العقيدة الكافرة من زوجته، بل كانت كل من المرأتين تتآمر ضد زوجها - وهو الرسول - مع قومها، لذلك كان مصير كل منهما النار، والعبرة من القصة أن اختيار العقيدة هو أمر متروك للإنسان، فحرية العقيدة أساس واضح من أسس المنهج . وأيضا قال سبحانه في امرأة فرعون: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امرأت فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابن لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الجنة وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ القوم الظالمين**﴾ [3]. لم يذكر اسمها، لأنه لا يهمنا في المسألة، المهم أنها امرأة من

---

[1]- سورة البقرة، الآية 243.

[2]- سورة التحريم ،الآية 10.

[3]- سورة التحريم ،الآية 11.

ادعى الألوهية، ومع ذلك لم يستطع أن يقنع امرأته بأنه إله.لكن حينما أراد أن يشخص قال في مريم عليها السلام: ﴿ **وَمَرْيَمَ ابنت عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القانتين** ﴾ [1]

لقد ذكرها الحق وذكر اسم والدها، ذلك لأن الحدث الذي حدث لها لن يتكرر في امرأة أخرى. فالذين يحاولون أن يُقوّوا القصة بذكر تفاصيلها نقول لهم: أنتم تُفقرون القصة."[2]

رابعا: الأبعاد التربوية والتعليمية في تفسيره:

لما كان غرض الشيخ هو تيسير تفسير كتاب الله العزيز، وتقريب العلوم من عموم الناس، كان يحرص على السهولة والبساطة في أساليبه التعليمية. حتى إنه ليستشهد بما كان يتعلمه في الأزهر الشريف، ومن ذلك حديثه عن الرسل الذين قصهم القرآن فيرمز لذلك بقوله: ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [3]

"...والرسل الذين ذكرهم الله في الآية السابقة ليسوا كل الرسل الذين يجب الإيمان بهم تفصيلا فحسب، فكما علمونا في الأزهر الشريف يجب أن نؤمن بخمسة وعشرين رسولا وقد نظمهم بعض الشعراء في قوله:

في تلك حجـــتنـــــــــــــــــــــا منهم

ثمانيـــــــــــــــــــــــــــــــــــة من بعـــــــــــد عشـــــر ويبقى

سبعـــــــــــــــــــــــــــــــة وهمـــو

إدريس، هود، شعيب، صالح،وكذا ذو الكفل، آدم، بالمختار قد ختمـــــوا

وفي سورة الأنعام نجد قول الحق: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ آتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وموسى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين * وَزَكَرِيَّا ويحيى وعيسى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصالحين * وَإِسْمَاعِيلَ واليسع وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى**

---

[1]- سورة التحريم، الآية 12.

[2]- تفسير الشعراوي، ج 2 ص 1046.

[3]- سورة النساء، الآية 164.

العالمين﴾[1] وفي هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً، وبالإضافة إلى سبعة هم إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ومحمد صلى الله عليه وسلم، هم إذن خمسة وعشرون رسولاً ذكرهم الله "[2]

التعلم من الخطأ:

يحفل تفسير الشعراوي بالعديد من القيم الأخلاقية والتربوية، ومن بينها قيمة التعلم من الخطأ، حيث يركز الشعراوي على استثمار الخطأ ويصوره على أنه أحد جنود الصواب في وصف بديع، يقول في تفسير قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾** [3]

"...والحكمة العربية تعلمنا: إياك أن تعتبر أنّ الخطأ ليس من جند الصواب.لأن الإنسان عندما يخطئ يُصحَّح له الخطأ، فعندما يعلم المدرس تلميذه أن الفاعل مرفوع، وأخطأ التلميذ مرة ونصب الفاعل، فهذا يعني أنه أخذ القاعدة أولا ثم سها عنها، والمدرس يصحح له الخطأ، فتلتصق القاعدة في رأس التلميذ بأن الفاعل مرفوع. وهكذا يكون الخطأ من جنود الصواب. والباطل أيضاً من جنود الحق .

فعندما يستشرى الباطل في الناس يبرز بينهم هاتف الحق. وهكذا نرى الباطل نفسه من جند الحق، فالباطل هو الذي يظهر اللذعة من استشراء الفساد، ويجعل البشر تصرخ، وكذلك الألم الذي يصيب الإنسان هو من جنود الشفاء، لأن الألم يقول للإنسان: يا هذا هناك شيء غير طبيعي في هذا المكان. ولولا الألم لما ذهب الإنسان إلى الطبيب .

علينا – إذن – أن نعرف ذلك كقاعدة: الخطأ من جنود الصواب، والباطل من جنود الحق، والألم من جنود الشفاء، وكل خطأ يقود إلى صواب، ولكن بلذعة، وذلك حتى لا ينساه الإنسان.... ولذلك أكررها حتى نفهمها جيداً: الخطأ من جنود الصواب، والباطل من جنود الحق، والألم من جنود الشفاء والعافية. وقد نجد الكافرين قد انتصروا في ظاهر الأمر على المؤمنين في بعض المواقع مثل أُحد، وكان ذلك للتربية، ففي " أحد " خالف بعض المقاتلين من

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 83-86.

[2]- تفسير الشعراوي، ج 5 ص 2837.

[3]- سورة النساء، الآية141

المؤمنين رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكانت الهزيمة مقدمة للتصويب، وكذلك كانت موقعة حنين حينما أعجبتهم الكثرة"[1].

خامسا: البعد الاجتماعي في تفسيره:

ومن بين أهم القضايا التي يتميز تفسير الشعراوي بها، عرضه للقضايا الاجتماعية وقضايا الأسرة المسلمة، ومن ذلك حديثه عن خروج المرأة للعمل، وضوابطه وتداعيات ذلك، وموقف الإسلام منه. كل ذلك يعرض له الشيخ في تفسيره لقصة موسى عليه السلام مع ربط تلك القصة بواقع الناس فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[2] "...وكان مقصود موسى عليه السلام قبل أن يبعث – هو ماء مدين– فحدث ما يمكن أن نجد فيه حلاً لمشاكل الجنسين – الرجل والمرأة– وهي رأس الحربة التي تُوجّه إلى المجتمعات الإسلامية، لأن البعض يريد أن تتبذل المرأة في مفاتنها، لإغواء الشباب في أعز أوقات شراسة المراهقة لكن القرآن حلّ هذه المسألة في رحلة بسيطة.

ولنقرأ قول الحق سبحانه عن موسى﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ** ﴾[3] أي: تمنعان الماشية من الاقتراب من المياه، وكان هذا المشهد ملفتا لموسى عليه السلام، وكان من الطبيعي أن يتساءل: ألم تأتيا إلى هنا لتسقيا الماشية؟. وقال القرآن السؤال الطبيعي:﴿ **مَا خَطْبُكُمَا** ﴾ فتأتيه الإجابة من المرأتين: ﴿ **قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾[4] وهكذا نعلم أن خروج المرأة له علة أن الأب شيخ كبير، وأن خروج المرأتين لم يكن بغرض المزاحمة على الماء، ولكن بسبب الضرورة، وانتظرتا إلى أن يسقي الرعاة، بل ظلّتا محتجبتين بعيداً، لذلك تقدم موسى عليه السلام ليمارس مهمة الرجل: ﴿**فَسَقَىٰ لَهُمَا**﴾ [5] وهذه خصوصية المجتمع الإيماني العام، لا خصوصية قوم، ولا خصوصية قربى، ولا خصوصية أهل، بل خصوصية المجتمع الإيماني العام. فساعة يرى الإنسان امرأة قد خرجت إلى العمل، فيعرف أن هناك ضرورة ألجأتها إلى ذلك، فيقضي الرجل المسلم لها حاجتها.....

1- تفسير الشعراوي ،ج 5 ص 2741.

2- سورة هود، الآية 95.

3- سورة القصص،الآية23.

4- سورة القصص، الآية 23.

5- سورة القصص، الآية 24.

وهذه القصة وضعت لنا مبادئ تحل كل المشكلات التي يتشدق بها خصوم الإسلام. وهنا نحن نجد في الغرب صيحات معاصرة تطالب بأن تقوم المرأة بالبقاء في المترل لرعاية الأسرة والأولاد، ليس لأن المرأة ناقصة، ولكن لأن كمال المرأة في أداء أسمى مهمة توكل إليها، وهي تربية الأبناء. ونحن نعلم أن طفولة الإنسان هي أطول أعمار الطفولة في كل الكائنات، والأبناء الذين ينشأون برعاية أم متفرغة يكونون أفضل من غيرهم. وهكذا نتعلم من قصة شعيب عليه السلام مع موسى عليه السلام ."[1]

سادسا: من قضايا الدعوة

كثيرا ما يتحدث الشيخ الشعراوي عن الدعوة إلى الله، ووسائلها وسبلها وأغراضها، ويعد تفسيره مثالا عمليا لذلك، ومن هنا نجد الشيخ الشعراوي يتطرق إلى قضايا الدعوة ومباحثها في مواضع عدة من تفسيره، مثل حديثه عن الداعية إلى الله، وأهم ما يجب أن يتحلى به. فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [2] "...إن الداعية مأمور من الله بأن يكون يقظا، لأنه إن اهتدى بكلماته أناس وسعدوا بها، فإنّه يغضب أناساً آخرين، ذلك أن المجتمع الفاسد يوجد به المستفيدون من الفساد، فالداعية عليه أن يعرف يقظة الحس، ويقظة الحس معناها الالتفاف إلى الأحاسيس الخفية الموجودة عند كل إنسان، ونحن نسمى الأشياء الظاهرة منها الحواس الخمس، اللمس، والرؤية، والسمع، والتذوق، والشم .

إن رجل الدعوة مأمور بأن تعمل كل حواسه حتى يعرف من الذي يجبن ويرتجف لحظة أن تأتي دعوة الخير، ومن الذي يطمئن ويحسن الراحة لدعوة الخير. إن رجل الدعوة مأمور بدقة اليقظة والإحساس ليميز بين الذي تتغير سحنته لحظة دعوة الخير، ومن الذي يستبشر ويفرح "[3].

سابعا: الجمع بين أسلوب الإمتاع والإقناع

1- تفسير الشعراوي ج 11 ص 6649 و 6652.

2- سورة آل عمران، الآية 52 .

3- تفسير الشعراوي، ج 3 ص 1497.

لقد استطاع الشعراوي أن يتسلل إلى شغاف قلوب مستمعيه، وأن يأسرها بطريقته الفريدة، ومرد ذلك كله إلى صدق رسالته وحسن تبليغها لأن " الاتصال مع الجمهور والتأثير فيهم، والاستحواذ على اهتمامهم وأفكارهم، يعتمد على ما عند المحاضر من استعداد ذهني ونفسي لهذا الاتصال المؤثر. وأن ما يقوله يصدر عن نفس تؤمن به إيمانا عميقا قد تأثر هو به. وشاع هذا في نفسه بما يبدو عليه من نبرات صوته، ومن حركته، وإيماءاته وما يتدفق في كلماته من حيوية ومشاعر مما شاع في نفسه، وطغى على مشاعره ويحاول نقله لجمهوره الذي يستمع له بصوت هادئ لا يخلو من الصخب والضجيج، بحيث يكون هناك توافق بين الكلمة أو الجملة في معناها ومبناها وما توحي إليه، وبين نبرة الصوت التي تنقل كل هذا للمستمعين"[1].

لقد ساعد الشيخ على نجاح أسلوبه تكوينه العلمي والمعرفي، فالشيخ كان متمكنا من المادة العلمية التي يعرضها، وصاحب اطلاع واسع، يشهد لذلك استطراداته في كثير من الأحيان. كما عرف عنه –رحمه الله– مراعاته للمستويات المعرفية لمخاطبيه، فكان تفسيره في منتهى البساطة حتى يستوعبه عامة الناس، لكنه إلى جانب ذلك تضمن لطائف و أشارات تفسيرية أبدع الشيخ في عرضها. إضافة إلى ذلك عرف عن الشيخ بعده التربوي والإصلاحي الذي كان يرمي إليه، غير أنه أبدع في غرس تلك القيم التي كان يدعو إليها عن طريق التنويع في أسلوب خطابه الذي كان يثير اهتمام مستمعيه ويشد انتباههم.

فقد كان الشيخ –رحمه الله– " يتمتع بعبقرية في الاتصال والتأثير بالمتلقي لحديثه، وكذلك التأثير فيه ليس تأثيرا مؤقتا كتأثير الخطابة، بل تأثير من نوع آخر يرتبط بالمفاهيم وبتكوين الاتجاهات الجديدة لدى المتلقي، وكل هذا في المسجد وكأنه يؤكد أن التوجيه الفكري والحراك الاجتماعي الذي ينبغي أن يستتبعه من الطبيعي أن يبدأ من المسجد"[2].

ثامنا: التركيز على بيان إعجاز القرآن

ومن بين أبرز خصائص تفسير الشعراوي، تركيزه على بيان مناحي الإعجاز في القرآن، ويكاد هذا الجانب يشغل تفسيره كله، فلا يكاد يمر بآية إلا ويستنطقها، فيستخرج مكامن

[1]– محمد عبد الرحيم عويس، فن التدريس، ص131.

[2]– الشعراوي، عبقرية الاتصال وتكوين الاتجاهات، فهد النفيسي، مقال بجريدة الوطن، 20 جوان 1998م.

الإعجاز فيها، وبخاصة ما تعلق بالجوانب اللغوية والبيانية، غير أنه كان يدرك إدراكا جازما أن بيان إعجاز القرآن ليس مقتصرا على الجانب اللغوي البياني فقط، بل بين في كثير من المواضع أن هناك جانبا لابد من إبرازه وبيانه، وهو الجانب العلمي أو الإشارات العلمية في القرآن، فتجده مثلا في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾[1] يقف عندها مليا ليستخرج منها آيات وآيات تدل على قدرة الله سبحانه في خلق الروح فيقول: " فالروح التي لا يعرف عنها علماء الدنيا شيئا وهي موجودة في كل نفس وفي كل وقت هي غيب، فإذا كان الإنسان متيقنا من وجود الروح مستدلا على ذلك بالحركة والحياة التي وضعها في الجسد، ألا يدل هذا الكون كله بما فيه من إعجاز الخلق على وجود الله يقينا "[2].

كما كان للجانب الفقهي حضور في تفسير الشيخ الشعراوي فقد تطرق إلى بعض الأحكام الفقهية " من منطلق الفقه الاستنباطي إلى رحابة الفقه الاستقرائي، ووضع بطاقة من مسلم مفكر مستنير على رأس كل إشكالية سياسية، أو اقتصادية، علمية، تقدمية، وأخرج هذه الحزمة الفكرية المشعة من منظومة النظرية الإسلامية التي يمكنها أن تبلغ منطقة الاستباق الإبداعي وتزيد أعمالا لقوله تعالى:﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[3]"[4].

وبالجملة يمكننا القول إن الشعراوي استطاع أن يصل بخواطره حول القرآن الكريم إلى أكثر شرائح المجتمع، وقد تلقوا تفسيره بالقبول ووقع في قلوبهم موقعا حسنا، كما استطاع الشعراوي أن يؤسس لطريقة جديدة في التفسير وهي التفسير الشفهي، والذي يتبين من خلال ما سبق بيانه أنه يتميز بجملة من المميزات أبرزها:

"المحلية- الواقعية- مراعاة مقتضى الحال- اختيار النص المناسب للظرف- توجيه النص- مراعاة التدرج في الإصلاح- استخدام التعدد الألسني ليمس كل الشرائح الاجتماعية- تحقيق

1- سورة البقرة، الآية 55.

2- ينظر: تفسير الشعراوي، ج 1 ص51-355.

3- سورة فصلت، الآية 53.

4- جريدة الأهرام بتاريخ 1998/06/24م، ص10.وينظر: قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص146.

الاستئناس بلغة القرآن- رفع المستوى المعرفي للأمة فقها ولغة وتاريخا واجتماعا- توحيد التصورات وتصحيحها"[1].

[1]- أحمد رحماني، دور التفسير الشفهي في الإصلاح، ص58.

الفصل الثـــاني

مكانتـــه العلميـــة وثنـــاء العلمـــاء عليـــه

أولا: مكانة الشيخ الشعراوي ومنزلته العلمية

عرف الشيخ الشعراوي بموسوعيته وشمولية معارفه، وقد بدا هذا جليا في تفسيره، لاسيما كثرة استطراداته وتنويع اتجاهاته، ومع كل هذا استطاع أن يحافظ على بساطة أسلوبه الذي يرضي الخاصة والعامة، مما جعل له منزلة خاصة في قلوب مستمعيه.

كما أن لتفسيره مكانة متميزة بين مختلف التفاسير من التراث القيم الذي تركه علماؤنا، فلقد " تفرد خطاب الشعراوي الإسلامي عن بقية الدعاة والعلماء في سائر العالم الإسلامي، بشمولية معارفه، ولغته الفصيحة السليمة، وأسلوبه السهل البسيط، ومعرفته العميقة لطبائع الناس وأحوالهم، ومخاطبته لعقول الناس وقلوبهم على قدر مستواهم، وتوفيقه بين العقل والنقل، مما جعله على الدوام والاستمرار مفهوما مقبولا، يفهم خطابه العالم والباحث، والمستمع والعامة والخاصة، وذلك مما حببه إلى النفوس والعقول وجعله قريبا من الناس جميعا، يجتمعون عليه في المسجد ويملئون حلقات دروسه"[1].

لقد كانت تعبيراته وتشبيهاته، ومجازاته وصوره، واستعاراته وتجديداته، أبسط من أن يكتنفها أي تكلف أو تعقيد أو تركيب، ومع كل هذا فقد كانت صلته بمريديه ومستمعيه وتلامذته أبسط كثيرا من أن يتصورها الإنسان، كانت مباشرة جدا وحميمية جدا، مع أنها قد تبدو للمتفلسفين واهية كخطوط العنكبوت، ولكنها كانت فيما بدا، وما زال يبدو أقوى وأصلب من أي صلة أخرى، إنها كانت صلة قلبية راسخة من حيث الطبيعة، وإن لم تكن كذلك من حيث بناء العلاقة "[2].

ومما يحسب للشيخ –رحمه الله– أنه على الرغم من تلك الموسوعية، إلا أنه استطاع أن يحافظ على أسلوبه السهل الممتنع في تفسيره. فإن " أكبر ما يأسر النفس في تفسير الشعراوي سلاسة الأسلوب، في كل اتجاه كوني أو تشريعي أو فلسفي أو اجتماعي. فنحن مثلا نرى

---

[1]– يوسف الكتاني، الشعراوي الإمام المجدد، ص163.

[2]– قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص137.

الأسلوب العلمي عن مجريات الكون وشتى أعاجيبه، يختلف مع الأسلوب الأدبي في الترغيب والترهيب، والدعوة إلى المثل الرفيعة بالقصص الهادف، والاستشهاد الآسر، ولكننا مع الشعراوي بالذات نقرأ حديثه عن بعض مظاهر الكون، مثلما نقرأ حديثه عن استرقاق المشاعر بالدعوة إلى الاهتداء الرباني. كيف حدث هذا؟، حدث لأنه الداعية المتمرس على مخاطبة النفس بما يهزها من الأعماق"[1].

و بالرغم من المكانة العالية والدرجة السامقة التي تبوأها في قلوب محبيه فقد عرف عن الشيخ بساطته وتواضعه، ولنستمع إليه يتحدث عن خواطره حول القرآن فيقول في تفسير بداية سورة السجدة : " ونحن في تفسيرنا لها نحوم حولها، لذلك كل من فسر الحروف المقطعة في بدايات السور لا بد أن يقول بعدها: والله أعلم بمراده، لأن تفسيراتنا كلها اجتهادات تحوم حول المعنى المراد، لذلك نحن لا نقول هذه الكلمة في كل آيات القرآن، إنما في هذه الآيات والحروف بالذات. وكيف بنا حين يجمعنا الله تعالى إن شاء الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، كيف بنا حين نسمع هذا القرآن مباشرة من الله ﷻ؟. لا شك أننا سنسمع كلاما كثيرا غير الذي سمعناه، ومعاني كثيرة غير التي توصلنا إليها في اجتهاداتنا، وعندها سنعرف مرادات الله تعالى في هذه الحروف، وسنعرف كم قصرت عقولنا عن فهمها، وكم كنا أغبياء في فهمنا لمرادات ربنا "[2].

لقد نال الشيخ الشعراوي درجة عالية في قلوب محبيه، وكتب الله القبول لتفسيره حتى بلغ الآفاق، وكل ذلك راجع إلى شخصية الإمام الشعراوي ومنهجه المتميز في تفسير القرآن الكريم. وكان هذا المنهج يتسم بسمات تفرد بها، مما جعله يجذب إلى حديثه وتفسيره قلوب الجميع، فيحرصون على الاستماع إليه ومتابعته، بل جعل الكثيرين يتناقلون آراءه وأفكاره، اقتناعا بها، وحبا لها كما كان -رحمه الله- يقوم بشرح معاني الآيات، وتيسيرها وتبسيطها، بحيث يستوعب المعنى الدقيق كل من العالم وغير العالم، والمثقف والأمي. فلا يخفى على أحد أي

[1]- الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح، ص70.

[2]- تفسير الشعراوي، ج 19 ص 11776.

معنى من تلك المعاني الدقيقة، التي كان فهمها لا يتأتى إلا للمثقفين، أو للمتخصصين تخصصا دقيقا في علم التفسير وعلوم القرآن.

لقد أحدث فضيلة الشيخ الشعراوي بتفسيره صحوة دينية جديدة لم يحدثها أحد قبله، وأثرى الفكر الإسلامي، وأصبح الناس في كل الدول يتناقلون تفسيره ويسجلونه ويستمتعون به. كما كان يضرب الأمثلة المحسوسة، والتشبيهات التي تقرب المعنى البعيد، فيفهمه المستمع بسهولة ويقف على العطاء القرآني الذي لم يقف عليه من قبل. فكانت هذه الأمثلة والتشبيهات تجذب عقول الناس وقلوبهم، وتلفت انتباههم، وتجعل المعاني تقترب منهم، كما وفق الله الشعراوي إلى الجمع بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي، فتراه يتعمق في شرح الآيات بالطريقة العلمية الأكاديمية الأزهرية، ولكنه يسهل المعنى وييسره، ويعرضه في عبارة أدبية مؤثرة. وقد يترل في تبسيط الشرح إلى لغة التخاطب العامية، وهي أقرب إلى الفصحى، كل ذلك من أجل توصيل المعنى إلى العقول، مستعينا في ذلك كله بثقافة غزيرة"[1].

" لقد كان -رحمه الله- جليلا مهيبا، عالما أديبا، سمحا كريما، فسر القرآن الكريم تفسيرا عبقريا، دقيقا جميلا، تفوق به على الأولين، وملأ به الدنيا وشغل الناس"[2].

ثانيا: شهادات العلماء فيه

لقد كتب الله للشيخ الشعراوي القبول في الأرض، فتوسعت دائرة محبيه، حتى بلغ صيته الآفاق، وغدت قلوب المسلمين شغوفة بسماع حديثه، أعناقهم مشرئبة، وأصواتهم خاشعة، قد ألقوا السمع للشيخ وهو يسرح بهم في رحاب القرآن الكريم، في خواطره التفسيرية القيمة.

يقول فيه الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: " لا شك أنه كان أحد مفسري القرآن الكبار، وليس كل من قرأ القرآن فهمه، ولا كل من فهم القرآن غاص في بحاره، وعثر على لآلئه وجواهره، ولا كل من وجد هذه الجواهر استطاع أن يعبر عنها بعبارة بليغة، ولكن الشيخ الشعراوي كان من الذين أوتوا فهم القرآن، ورزقهم الله تعالى من المعرفة بأسراره وأعماقه، ما لم يرزق غيره، فله فيه لطائف ولمحات، وإشارات ووقفات ونظرات، استطاع أن يؤثر بها في

1- الشعراوي إمام الدعاة، ص 65.

2- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص139.

المجتمع من حوله. وقد رزق الله الشيخ القبول في نفوس الناس، فاستطاع بأسلوبه المتميز أن يؤثر في الخاصة والعامة، في المثقفين والأميين، في العقول وفي القلوب، وهذه ميزة قلما يوفق إليها إلا القليلون الذين منحهم الله تعالى من فضله"[1].

وقال فيه الدكتور أحمد عمر هاشم: " كان علما من أكبر الأعلام، وإماما من أئمة المسلمين، أثرى الفكر الإسلامي بأحاديثه وتفسيره، ونافح عن الدعوة وجلّى حقائق الإسلام واستخرج كنوزا، واستطاع بقلبه الموصل بالحق أن يلمس بحديثه شِغاف القلوب بأسرها، وأن يعبر بنبراته الخاشعة الأجواء والمحيطات، فتفاعلت معه الأحاسيس المؤمنة، والعواطف الخاشعة، فكان قدوة للدعاة وإماما للهداة، وخلف من ورائه تراثا من البيان والمعرفة، واستجابت له القلوب في مشارق الأرض ومغاربها"[2].

" لقد كان- الشيخ رحمه الله- وجها إسلاميا دائم الحضور، جذب الناس إليه ببساطته وحكمته واستشفافه، وأوصل أسرار العلم وروح الإسلام إلى العامة خاصة، وهم جمهور الإسلام وعاطفته، وكانت له قيمة ووجاهة عند العامة وأهل السلطان، حظي تفسيره للقرآن الكريم بإقبال الناس من جميع فئاتهم وطبقاتهم... وقد قضى عمره المبارك داعيا إلى الله تعالى، ومبشرا ونذيرا، وآتاه الله ما لم يؤت أحدا في عصره، آتاه حب الناس، وسلامة القول والفكر، وفتح له في كتابه فتحا مبينا، فكانت خواطره حول القرآن الكريم مدرسة شعبية للملايين من أبناء العالم الإسلامي"[3].

قال فيه الدكتور عبد الصبور شاهين: " كان الشيخ محمد متولي الشعراوي علما وعلامة عصرنا، ولم يبلغ عالم في عصرنا شأوه الذي بلغه على مدى العشرين عاما الأخيرة"[4].

---

[1]- يوسف القرضاوي، جريدة الوطن القطرية، بتاريخ 10جوان 1998، و ينظر: مقدمة كتاب الشفاعة والمقام المحمود، للشعراوي ص20.

[2]- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص 56.

[3]- آخر لقاء مع 20 عالما ومفكرا إسلاميا، محمد خير رمضان يوسف، ص100، ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1426هـ/2005م. ص 100.

[4]- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص57.

ثم يردف الدكتور قائلا: " إن من حق علمائنا أن نكرمهم ونقدرهم، ونقتبس من ضيائهم، ونأخذ العلم عنهم، وننتهز هذه الفرصة لنتربى على أيديهم. ولكن أجيالنا الجديدة للأسف لا تفعل ذلك، ولا تعرف قيمة العالم إلا حينما تفقده، وليس أمثال الشيخ الشعراوي بالكثيرين بل هم القليل، والأقل من القليل، ولا أرى أحدا في الساحة يعوض الشيخ الشعراوي أو الشيخ الغزالي... وعلينا نحن المسلمين أن نهيئ من شبابنا من يسد الثغرة ويلبي حاجة الأمة"[1].

لقد تتلمذ على يد الشيخ كثير من الأئمة والعلماء، سواء في مصر أو الدول العربية والإسلامية، فقد كان بحرا في الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية بفروعها، وكانت هذه موهبة من الله عليه، وينطبق عليه قول الرسول ﷺ : { **إِنَّ اللهَ يبْعثُ لِهذِهِ الأمَّة كُلَّ مِائةِ عَامٍ مَن يجَدِّدُ لَهَا أمْرَ دِينِهاَ**}[2]...لذلك نرى أن الشيخ الشعراوي جدد بحق دين هذه الأمة "[3].

لقد وصفه العلماء بأنه " العالم الرباني والذواقة الإيماني، وأحد المربين الذين نوروا القلوب بعلم الإسلام، وهدى رسول الله ﷺ، وربط الناس بالله وحشدهم في ساحة هذا الدين "[4].

" كما كان الشيخ عالما مجددا، وفقيها متفردا، ومفسرا فذا، وإماما للدعاة بلا منازع، ومرجعا يحتكم إليه عندما يشتد النزاع، وتزداد قتامة الصورة.

لقد كان له منهجه الخاص المتميز في تفسير القرآن الكريم، جمع فيه بين عدة مناهج وبلورها في منهج خاص. فهو يجمع بين التفسير القرآني والتفسير البلاغي، والتفسير الاجتماعي، وتفسير الأحكام. ونقى في تفسيره التفاسير السابقة من الدخيل والإسرائيليات، وبسط التفسير حتى وصف بعض الناس تفسيره بأنه تفسير شعبي، جعل حتى الأميين يفهمون القرآن، و لم يشأ الرجل أن يسمي ما يقدمه تفسيرا، وإنما كان يقول إنها خواطر حول القرآن الكريم "[5].

1- المرجع السابق، ص24.

2- أخرجه أبو داود في سننه، تحت رقم: 4293، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 1 ص 22 .

3- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص 83.

4- يوسف القرضاوي، جريدة الوطن القطرية، بتاريخ 10جوان 1998، و ينظر: مقدمة كتاب الشفاعة والمقام المحمود للشعراوي، ص25.

5- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص132.

لقد أكرم الله الشيخ الشعراوي بفيوضات ربانية، وهبات من رب العزة، وأنوار رحمانية، كانت تتجلى في كل خواطره وأحاديثه،...لا يأخذ خواطره من كتاب تفسير، أو مقالات أو مقولات، ولكنه كان يعيش في كنف الله بكل حواسه، مستغرقا بكل جوارحه في ملكوت الله. ويتجلى بكل خواطره عندما يمسك مصحفه بيديه، ويتلو القرآن آية آية، وكان يقرأ بقلبه وروحه وفكره، قبل أن ينطلق لسانه بهذه الخواطر بكل سهولة ويسر، ومن هنا كانت المحبة والتلهف والسعادة والتسابق لسماع خواطر الشعراوي، ولم يكن في حياته متزمتا أو منغلقا، ولكنه كان رجلا متفتحا، يعرف جيدا أن لكل مقام مقالا.

فكان يعرف كيف يخاطب الشيخ، وكيف يخاطب الشاب والطفل والمرأة، وكيف يخاطب الحكام والمحكومين، وكيف يخاطب الظالم والمظلومين، وكيف يخاطب العلماء والدعاة، والملحدين والعلمانيين، كل له أسلوبه، وكل له مقال بكل بساطة وشموخ، فملك القلوب والأرواح، وآتاه الله علم البيان وعلم الإقناع."[1]

" لقد كان –رحمه الله– وطيب ثراه وأكرم مثواه، نفاعا للناس بأحاديثه القيمة الممتعة، وعظاته البليغة المؤثرة، وتوجيهاته الرشيدة الهادفة، التي تخترق شغاف القلوب. والتي تنم عن عقل مستنير، وبصيرة واعية، بأسلوب سلس شيق ممتع، ينم عن الحكمة وسداد الرأي وصوابه. لقد كان خير مثل يحتذى به في الإيمان برسالته التي كرس حياته من أجلها، ولا يميل إلى الراحة ولا يجنح إلى الدعة، بل كان يواصل جهاده ليفيد الجماهير الإسلامية بخواطره الإيمانية حول القرآن الكريم، كتاب الإنسانية الخالد، بالإضافة إلى ما يلقيه عليهم من فيوضات ربانية، وعظات بالغة وحكم نافعات.

لقد كان بحق المثل الأعلى الذي يحتذي به العالم الرباني الذي أمده الله بالعلم النافع، كان جماعا للقلوب بعيدا عن مواطن الريب، جاهد في سبيل ربه وأخلص لله في عمله، فعرف الناس قدره وشهدوا جميعا بفضله"[2].

---

[1]– وعرفت الشعراوي، محمود جامع، ص 151.

[2]– جريدة اللواء الإسلامي، بتاريخ: 1998/06/25، ص07.

يقول الدكتور محمود جامع: " هكذا كان الشعراوي الإنسان البسيط، الذي آمن بربه وقرآنه، وترجمه إلى عمل، وكانت كل تصرفاته تنبع من قلب مليء بالإيمان بالله وقرآنه الكريم، فكان قرآنا متحركا في كل أركان المجتمع، في مصر وجميع الدول العربية، بل جميع أنحاء العالم. وكانت عنده ملكة غير عادية، عبر فيها لجمهوره عن أسرار جديدة وكثيرة في القرآن الكريم، وذلك لثقافته البلاغية التي جعلته يدرك من أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ما لم يدركه الكثيرون، وكان له حضور في أسلوب الدعوة إلى الله، يشرك معه جمهوره، ويوقظ فيه ملكات التلقي في سهولة ويسر، ليصلح شؤون حياتهم، ويسعدهم في آخرتهم.

وترك للناس علما نافعا يورث مدى الأجيال المتعاقبة للناس كل الناس، بنفس صافية وعلم متعمق وشفافية روح"[1].

ثالثا: مما قيل في وداعه و رثائه.

إن فقد العلماء من أعظم المصائب والرزايا التي تصيب المجتمعات الإسلامية، فإن الله لا يقبض الموت انتزاعا، ولكن يقبضه بموت العلماء، وليس يسد تلك الثغرة التي يتركها العالم برحيله إلى جوار ربه إلا عالم مثله، يهيئه الله لسد تلك الثلمة . ولذا فإنه " مع رحيل الشعراوي فقد الإسلام واحدا من أكبر فرسانه، ويفقد القرآن الكريم واحدا من أكبر عشاقه، وتفقد اللغة العربية زاهدا من زهادها الكبار"[2].

قال ابن فضيلة الشيخ الشعراوي سامي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية في وداع والده [3]: " أبت لا أريد أن أغادر مكاني هذا قبل أن أناجيك، وهي من مناداتك ومن تعليمك، فلا فضل لي فيها، وإني وإياك، أو إنك وإياي، كالبحر تمطره السماء ومالها فضل عليه، لأنه من مائه.

أبت معانيك في روحي ورسمك في فكري هما سلوة الوجدان عن نكبة الدهـــر
قضى الله يا نفســـــــي بما تحذرينـــــه فلست أبـــالي ما يجيء به دهـــــري
كسبنا بك الدنـــيا معينا و مؤنســـــــا ونرجو بك الأخرى جزاء على الصبر
فيا أبت لا تحـــــرم العـــــين زورة فأنت طليق الروح تسعى لذي أســـر

---

[1]- وعرفت الشعراوي، ص156.

[2]- جريدة الأهرام بتاريخ: 1998/06/21م، ص12، وينظر: قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص115.

[3]- ينظر: مقدمة كتاب الشفاعة والمقام المحمود، للشعراوي، ص29.

عليك سلام الله نـــورا ورحمـــــــة ويجمعنا الرحمن في ساحة الطـــــهر

وقال في رثائه الأستاذ أحمد عبد الخالق عبد الستار[1] :

أيا دهر إن الخطب فيك ينـــــــــوب وإن صراع الحادثـــــات قريـــب

توخى حمام الموت أصفى جواهر لدينا وسهم الموت ليس يخيب

أيا مشرق النور الذي غاب نجمه وما عاد عبر الخافقين يـــؤوب

أيا قبره رفقا به إذا ضممتـــــه ضممت أعز الناس فهو نجيب

ضممت أعز الناس حيا و ميـــتا وفخرا لكل العالمين يطـــــيب

فيا خير خلق الله بعد محمـــــد وأصحابه إن الفراق عصـــيب

سقتك الغوادي يا أخا العلم رحمة وضمك ساح في الخلود رحيب

أيا عالم الإسلام قد مات عـــالم وأطفئ نور حيث لاح غروب

سألت إله العرش يسقيك رحمة فإن إله العـــــالمين حسيـــب

وقال فيه الشاعر محمد التهامي [2] :

أيها المقنع من ذا أقنعـــــك فارتضيت الصمت كيلا نسمعك

وارتقيت البعد عن أنظـــارنا فحملت الصبر و السلوى معـــك

قد تركت الكون قفرا موحشا فتمنى كلنا أن يتبعـــــــــــــك

هذه أرواحنا نفدي بهـــــــا إن يكن في طوقها أن ترجعـــــك

هل وهذا الهول في أيامنـــــا أيها العملاق تخلي موقعـــــــك

جئت بالتبيان نورا ساطـــــعا فتحرت كل عـــين موضعـــــك

تعبر الغيم وتضوي فوقـــــــه ما استطاعت غيمة أن تمنعـــــك

سرت بالإيمان نهرا جـــــاريا فرضاء الله أجرى منبعـــــــــك

قد قضيت العمر طوافـــــا به وعيون الخلق ترعى مطلعـــــك

وقسا الدهر ووافاك الضـــــنى حاولت إلهامه أن تخضعـــــــك

---

[1]- الشعراوي إمام الدعاة ص 45.

[2]- جريدة اللواء الإسلامي، بتاريخ: 1998/07/02م، ص 08 .

فقهرت الهول لم تعبـــأ به لم ترد يا شيخنا أن يقطعـــــك

تقطف الورد و تهديه لـــــنا وغضوض الشوك أدمى إصبعــك

وتصب الشهد في أفواهـــنا راضيا من نحله أن يلسعـــــك

وعرضت الثغر بســـاما لنـــا وكتمت الجرح مهـــما أوجعــك

تطلق البسمة في أفـــــواهنا وتغطي في شموخ أدمعـــــــك

وترد لهم عن أضلاعـــــنا حين تكوي في عضال أضلعــك

فشفيت الجرح في أعمـــاقنا بعد ما أعملت فيه مبـــضعـــــك

ودعاك الله فاشتدت خطى كنت فيها واثبا ما أسرعـــــك

قد جمعت الدين و الدنيا معا ونلت في الدارين فيها مطمعــك

كيف نحيا دون قول ملهم صاغه الرحمن لما أبدعـــــــك

تعرف الحق صوابا كلـــــه ما تركت الزيف حتى يخدعــك

كم توالى باطل مستحكـــم ثم ولى عاجزا أن يقنعـــــك

أغلق الحق على أســـــراره وعليها في جلاء أطلعـــــك

أترى أزهقت من أيامـــــنا وطغى الإرهاق حتى ضيعـــك

قل لنا بالله يا قنديلـــــــنا كيف يحيى في الدجى من شبعك

الفصل الثالث

القيمة العلمية لتفسير الشعراوي

إن تلك القابلية واسعة النطاق لتفسير الشعراوي، وذلك الإقبال الملفت للانتباه على محاضراته، ودروسه، وكتبه، وتفسيره، وتلك المهابة العظيمة التي يحظى بها شخصه، تنم عن مدى القيمة العلمية لعمله الموسوعي حول تفسير كتاب الله.

لقد أحدث تفسيره صحوة علمية، فقد كان الشعراوي –رحمه الله– " يقوم بشرح معاني الآيات وتيسيرها وتبسيطها، بحيث يستوعب المعنى الدقيق كل من العالم وغير العالم، والمثقف والأمي، فلا يخفى على أحد أي معنى من تلك المعاني الدقيقة، التي كان فهمها لا يتأتى إلا للمثقفين أو للمتخصصين تخصصا دقيقا في علم التفسير وعلوم القرآن، فأحدث الشعراوي بتفسيره صحوة دينية جديدة، وأصبح الناس في كل الدول يتناقلون تفسيره ويسجلونه ويستمتعون به"[1].

ولذا فإن تفسير الشعراوي يعد من التفاسير ذات الاهتمام بالقضايا المحورية للأمة الإسلامية، وذلك من خلال تركيزه على اتجاهات حساسة تتعلق بالجانب الاجتماعي، والتربوي، والإصلاحي. فالجديد في تفسير الشعراوي هو أنه لم ينشغل بالجانب الإصلاحي عن الجانب التقليدي في حياة المفسر، وهو الاهتمام بإبراز بلاغة القرآن وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، فكان تفسير الشعراوي بذلك النموذج الوحيد في تاريخ التفسير المعاصر الذي جمع بين الأصالة التفسيرية اللغوية، القائمة على إبراز قيمة القرآن اللغوية من خلال الاهتمام بالمفردة القرآنية، والكشف عن وضعها اللغوي، والبحث عن معناها الأول، ومتابعة تطورها الدلالي، والكشف عن ملائمتها للسياق الذي وردت فيه، والمعنى الذي قصد منها، وبين المجهود الإصلاحي التربوي الذي لا يغفل معالجة حال الضعف الذي وصل إليه المسلمون، كما اهتم

[1]– أحمد عمر هاشم، الإمام الشعراوي مفسرا وداعية، ص 51.

-رحمه الله- بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها، فهو بذلك أول المفسرين المعاصرين يعتني بهذه الناحية.

وقد نبه على هذه القيمة العلمية الدكتور محمد رجب بيومي بقوله : " أهم ما أكده الشعراوي في تفسيره هو أن القرآن كتاب حياة، فقد جمع صلاحها وإصلاحها، وبه وحده تسير عجلة الحياة على أحسن وجه يتاح... ذلك أن الرجل في كل دروسه لم يخرج عن كتاب الله، فهو دائما يقف أمام آية يشرحها ويفصل ما أجمل من معانيها، وهذا الشرح وحده قد جمع شؤون الحياة، وخاض به فيما يشغل الناس من أمور الاجتماع والسياسة، والأخلاق والاقتصاد، ومعنى ذلك كله أن القرآن دستور الناس، ولهم فيه غنية من ناحية الإصلاح والصلاح عما سواه، وذلك ينبغي أن يكون فعلا"[1].

"لقد كان بعض المفسرين في دروسهم يتباهون بالنصوص المنقولة عن السابقين، يسوقونها في صلف ومباهاة، ويعقبون عليها ببعض ما يفتح الله به عليهم، والأستاذ قارئ دارس، وقد ألم بكتب التفسير من قبل، حتى تكونت لديه ملكة خاصة في الشرح والإيضاح، فهو ليس في حاجة إلى هذه النصوص المنتشرة بين أيدي الناس، فليراجع السامعون إليها حين يشاءون، إنه في حاجة إلى ما يصلح منها للهداية والتوجيه، على أن يساق بأسلوب العصر في سهولة التناول ولطافة التأني"[2].

يقول الأستاذ الدكتور عبد المنعم خفاجي :"ودروس الشيخ في شرح كتاب الله وتفسير آياته البينات كانت بحق من أرفع الشروح في التفسير، وكان الشيخ يبلغ فيها غاية السمو، حتى ليفهمها الصغير والكبير، والأمي والمتعلم، والمثقف وغير المثقف، ويستمع إليها في شوق وحب كل الجماهير"[3].

1- محمد رجب بيومي، الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح، ص43.

2- جريدة الأخبار المصرية، بتاريخ 13/جويلة/1999م.

3- بدوي طه بدوي، قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص06.

وجاء في بيان للأزهر الشريف ينعى الشيخ الشعراوي: " أنه العالم الجليل والإمام الداعية ...قضى حياته مجاهدا في سبيل إعلاء كلمة الله، وشارحا الإسلام بمفاهيمه الصحيحة، وتفسير القرآن الكريم بأسلوب فريد جذب قلوب الخاصة والعامة، بما أنعم الله عليه من نور البصيرة والحكمة"[1].

قال الدكتور عبد الرحمن العدوي الأستاذ بجامعة الأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية: " لقد ملأ الشيخ الشعراوي هذه الدنيا علما وعطاء، ودعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وقد استفاد بعلمه كل مسلم في مصر والعالم الإسلامي كله، فقد استفاد بهذا العلم العلماء قبل عامة المسلمين، فإنه آمن بدرسه كل العلماء، فما من أحد استمع إلى دروسه إلا وكانت له فوائد نادرة يسمعها العلماء ويستفيدون منها، وهي فتوحات ربانية فتح الله عليه بها"[2].

ويضيف الدكتور عبد المنعم خفاجي عن الشيخ الشعراوي أنه كان: " يحمل عزة النفس ونقاء السريرة، وراحة الضمير، ووداعة الطفل، وجلال العالم، وعبقرية المفكر. ذكاء يبلغ حد المعجزة، نهم في العلم يصل إلى مستوى الأسطورة، مع فضائل نفسية وخلقية تكاد تكون ملحمة...والإمام الشعراوي محدث لبق، ومحاور ظريف، وعالم ذكي، لا تفوته شاردة ولا تغيب عنه واردة. مع تواضع جم وخلق رفيع، ولعلي أقول الصدق إذا قلت إن الإمام الشعراوي هو عالم الإسلام في هذا القرن الخامس عشر الهجري"[3].

ويقول الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر عن الشيخ الشعراوي وقيمة تفسيره: "كان علما من أكبر الأعلام، وإماما من أئمة الإسلام، أغنى الفكر الإسلامي بأحاديثه وتفسيره للقرآن الكريم، ونافح عن الدعوة وجلا حقائق الإسلام واستخرج كنوزه، واستطاع بقلبه الموصل بالحق أن يلمس بحديثه شغاف القلوب بأسرها، وأن يعبر الأجواء والمحيطات.

1- جريدة الجمهورية (المصرية)، الخميس 18جوان 1998، ص04.

2- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص16.

3- المصدر نفسه، ص19.

فتفاعلت معه الأحاسيس الصادقة، والعواطف المؤمنة الجياشة، فكان قدوة للدعاة وإماما للهداة، وخلف من ورائه تراثا من التفسير والبيان والمعرفة، واستجابت له القلوب في مشارق الأرض ومغاربها، إنه العالم الولي، والإمام العارف بالله تعالى، صاحب الفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي "[1].

لقد كان الشيخ الشعراوي " مفكرا سلس الفكر، صاحب منهج في الدعوة لم نعرفه منذ مئات السنين، وكان مفسرا يقدم رؤية جديدة مع كثرة المفسرين الذين عرفتهم الدعوة الإسلامية"[2].

ولمكانته وغزارة علمه لقبه البعض بإمام المفسرين [3] حيث امتاز تفسيره رحمه الله " بمنهج خاص في الدعوة إلى الله، عبر استخراج كنوز القرآن، وتقديمها إلى أبناء أمة القرآن ببساطة وسهولة، فكان إمام عصره في التفسير، ورائدا ومفكرا إسلاميا وصل إلى قلوب الناس كافة دون عناء، فهو فيلسوف إسلامي صاغ اجتهاداته وتفسيراته في قالب سهل ممتنع يفهمه البسطاء، ويعلي قدره العلماء"[4].

" لقد كان الشيخ بحق واحدا من أبرز الدعاة إلى الله، خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، وقد وفقه الله سبحانه إلى جذب دائرة واسعة جدا من الناس، ليسمعوا كلام الله ويتأملوا فيه. بحيث يمكن التمييز على هذا الصعيد بين ما قبل بروزه وما بعده، وحين نمعن النظر في هذه الظاهرة باحثين عن تعليل لها، نجد أن مجموعة عوامل تفاعلت فيها، مع عامل ثورة الاتصال التي قدمته وسائلها إلى جمهور واسع من المستمعين، وهذه العوامل هي: منهجه، ومصريته، وأزهريته، وأسلوبه، ولغته، والمرحلة التاريخية التي برز فيها.

كان منهج الشيخ في الدعوة هو النهل من معين كتاب الله، وأن يأخذ بأيدي جمهوره لفهم آيات الذكر الحكيم وتدبر معانيه، وذلك عن طريق شرح بيانه، وقد ساعده على ذلك

1- جريدة الأحرار، بتاريخ:1998/06/18م. ينظر: المصدر السابق ص25.

2- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص34.

3- ينظر جريدة الوفد بتاريخ: 1998/06/18م ص05.

4- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص 41.

علم غزير باللسان العربي المبين الذي أنزل الله به القرآن الكريم، وقد حفظت لنا التسجيلات الإذاعية والتلفزيونية كيف كان الجمهور يعبر عن حبوره بفهم المعنى والوقوف أمام الإعجاز القرآني بترديده "الله..الله"، وبما يرتسم على ملامح الوجه من سعادة وسرور وإشراق"[1].

ولقد استطاع في تفسيره أن يزاوج بين البساطة والدقة، وبين خطاب العقل والقلب، فقد" مثل ظاهرة غير عادية في الدعوة إلى الإسلام المعاصر، بل إنه سحب البساط من تحت أقدام الوعاظ التقليديين، لأنه جمع في الدعوة بين العقل والقلب، فكان يدرك أسرار البيان القرآني، والتركيب القرآني، والإعجاز القرآني، بعقل مؤمن يعيش حالة روحية متسامية. وفي أدائه كان له حضور متميز يشرك معه الجمهور، ثم إنه لم يكن مفكرا للخاصة والنخبة، وإنما كان صاحب صحوة إيمانية لعشرات الملايين من المسلمين، بل إن إنجازه الأعظم انتقل بالملايين الذين لم تكن لهم اهتمامات بالدين والقرآن، إلى دائرة الانتعاش الإيماني، والاهتمام بالقرآن وعلومه، ولذلك فإنه مؤسس كبير للقاعدة الأساسية للصحوة الإسلامية المعاصرة"[2].

كما كان له أسلوبه الخاص الذي تفرد به عن سائر المفسرين، فقد كان رحمه الله " ظاهرة من ظواهر القرن الذي نعيشه، والظواهر دائما ما تكون نادرة، لكننا لا نستطيع أن نحجز على الله سبحانه وتعالى، فهو قادر على أن يعوضنا عنه خيرا. كان الشعراوي مصلحا كبيرا، وداعية من الدعاة الذين اتسموا بالعلم والأفق الواسع، وكان من كبار المفسرين للقرآن. يتمتع بأسلوب شامل، فهو يتكلم عن المعنى الظاهر والمعنى الباطن، ويحدثنا عن فقه اللغة، وحكم التشريع، وكان فوق ذلك يتمتع بأسلوب سهل ممتع يفهمه العالم، والإنسان البسيط الذي لا يعرف القراءة والكتابة، كلاهما يفهمه وينهل من نبع فكره وتفسيره"[3].

1- أحمد صدقي الدجاني، الداعية الفذ..محاولة لفهم ظاهرة، جريدة الأهرام بتاريخ 1998/06/19م ص10.

2- محمد عمارة، الإنجاز الأعظم، جريدة الأخبار 1998/06/18.ص06.ينظر: قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص54.

3- حسن عباس زكي، أسلوبه سهل ممتنع، جريدة الأخبار في: 18 /1998/06م ص06 ينظر: قالوا عن الشعراوي بعد رحيله ص58.

يقول الدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام السعودي الأسبق: " إن فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي داعية كبير، وعلمه غزير، وكان علما في التفسير، وله أتباع ومحبون في كل الدول العربية والإسلامية، وترك أثرا طيبا في كل دولة زارها أو عمل بها"[1].

فقد كان تفسيره المسموع يصل الآفاق، ويستمع إليه القاصي والداني " واستمر الشيخ الشعراوي يقدم العطاء للأمة الإسلامية في كل الأقطار ومختلف البلدان، وكان حديثه الشيق في تفسير آيات القرآن الكريم كل يوم جمعة مثار اهتمام وإعجاب الجميع، لم تخرج منه عبارة نابية، لبق في كلماته وكل تعبيراته، وتجلت مواهبه في كشف كنوز آيات كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه" قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا " هذا الشيخ كان صائب الفكر، إمام الدعاة المستنيرين، علم غزير، ذكاء ينفذ إلى الأفئدة بأقصر الطرق وأسهل عبارة، مما جعل له شعبية دفعت الناس إلى الاستمتاع بأحاديثه في أجهزة التلفزيون وعبر موجات الأثير"[2].

" لقد كانت للإمام الشعراوي نظرات ثاقبة في الدين والحياة، وإشراقات ملهمة في تفسيره للقرآن الكريم، فمنها مؤلفاته الغزيرة، وخواطره المقروءة والمسموعة، والمرئية، وجاهر بها في الندوات، وفي بيوت الله، وعلى شاشات التلفزيون، وفي الصحف والجامعات، على امتداد العالم الإسلامي الذي راج فيه فكره وبرزت شخصيته. وقد أدرك الإمام الشعراوي أن للكلمة الطيبة أثرا واضحا في سعادة الناس أو شقائهم، فهي ترفع الإنسان إذا كانت خيرا، أو تهبط به إذا كانت شرا، ورب كلمة طيبة ترفع صاحبها إلى أعلى عليين، ورب كلمة ضارة تهوي بصاحبها توجب له العذاب الأليم"[3].

ولعل من أهم أسباب هذا القبول الذي كتبه الله لتفسير الشيخ لدى الناس إخلاصه العمل لله تعالى، " فإذا كان الإخلاص أساس النجاح في أي عمل، فقد ظهر أثر ذلك الإخلاص واضحا في حياة الشيخ الشعراوي، الذي وهب وقته وصحته وعلمه وماله في سبيل الله، من غير

1- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص 84.

2- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص 90.

3- علي عياد، جريدة الأهرام المسائي، بتاريخ 1998/06/19م، ص05.

اعتبار بغرض دنيوي، ولا لجاه أو سمعة، مدركا أن العمل الذي يؤدى ابتغاء وجه الله وحده يكون ثوابه مضاعفا وجزاؤه جزيلا. لذلك أثمرت دعوة الإمام الشعراوي، والتفت حوله الجماهير في شتى أرجاء العالم، وأصبح في حياة الناس مثل الماء والهواء... وإذا كنا قد ودعناه بالأمس القريب، فقد ودعنا جسده، أما روحه وعلمه وتراثه، وأثره وتأثيره، فلسوف يظل بارزا أمامنا يضيء لنا الطريق ويأخذ بيدنا حين ينحرف بنا المسار"[1].

" ومع مكانة الإمام الشعراوي الإسلامية والفكرية، والعلمية والاجتماعية في وطنه، بل وفي الوطن الإسلامي عامة، لم يبلغ أحد من حب الجماهير وثقتهم وتعاطفهم معه ما بلغه هذا الشيخ الجليل، الذي كانت الجماهير تتلهف لسماع حلقاته الإسلامية عبر الإذاعة والتلفزيون، وفي الأمسيات الدينية في كل مناسبة"[2].

إن المحبة التي اجتمعت عليها قلوب المسلمين تجاه الشعراوي ما كانت شيئا عاديا، لا شك أنها صورة من صور رضاء الخالق سبحانه وتعالى عن هذا الشيخ الجليل.

يقول الأستاذ مصطفى الشكعة الأستاذ بجامعة الأزهر: " إن الشيخ نظر للمجتمع فوجد شرائح كبيرة لا تقرأ، أو مشغولة عن القراءة في كتب الدين، فلم يعد لديها صبر ولا طاقة للبحث في كتب التفسير، فقدم لهم ما يطلبون. ولا شك أن الشيخ الجليل- رحمة الله عليه- يخلص النية لله في أعماله، فكان هذا سببا كافيا ليصل إلى قلوب الناس، فإن ما خرج من القلب تتلقاه القلوب، فكان أن اهتدى كثير من الناس بفضل الله تعالى إلى القرآن"[3].

كما أن من بين أسرار نجاح الشيخ في تفسيره حسن طريقته، وبساطة أسلوبه، وكذا توظيفه الحسن لمعطيات العصر، فقد قال عنه ابنه الشيخ سامي: " لقد أحسن استخدام معطيات العصر للدعوة، وشعر بالوسيلة الأقرب إلى الناس في الشرح والتفسير والتلقي، كما أنه وضح

1- علي عياد جريدة الأهرام المسائي، الصفحة نفسها.

2- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص142.

3- المصدر نفسه، ص98.

لجمهوره كيف يخدم الدين الحياة، وأنه دين نظم حياة الناس كلها في كل أمر من أمور الحياة، فتحدث في الاقتصاد والسياسة والفن والطب..."[1].

" وكان الشيخ يعيش قضايا عصره، فكانت له فتاواه التي ترتبط بمشكلات الناس، وقد اختلف معه الكثيرون،كما أنه راجع فتاواه في بعض الحالات دون حرج، وهذه صفة من صفات العلماء الكبار، ويكفيه هنا أنه حتى الذين خاصموه فكريا لم يستطيعوا أن يخاصموه شخصيا، لأنه كان تطبيقا عمليا للآية الكريمة: " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" وكان الشيخ الشعراوي قدوة سلوكية، فلم يكن متكالبا على مال، وكانت الأموال التي تتدفق عليه تتجه إلى فعل الخير، وكم من بيوت فتحت وأسر عاشت مستورة وطلبة أتموا دراستهم وعثرات أقيلت عن طريقه سرا وعلنا، وهذه كلها مستقاة من الواقع وكلها شهادات للرجل، وكلها دروس للدعاة"[2].

ويقول الدكتور أحمد عمر هاشم:

"إن للشيخ الشعراوي أثرا مهما في مسيرة الدعوة الإسلامية، فهو داعية وإمام عصره بحق، يقدم القرآن للناس بلغة سهلة وتجد خواطره قبولا لدى سامعيه، وأحاديثه أصبحت أساسية اليوم بعد أن صار معلما حضاريا يهتدي به الباحثون عن الهداية، كما أنه استطاع أن يجذب فئات عديدة من المجتمع لتجلس كلها مستمعة إليه، منصتة إلى شرحه لمعاني آيات القرآن، بلغة تفهمها كل فئات المجتمع فيقرب المثل ليقرب المعنى، ويفيض بشرحه حتى يفيد جمهوره، فليست العبرة بأن يقول الداعية ما عنده ولكن العبرة بمدى تلقي المستمع وقدرة

1- المصدر نفسه، ص 99.

2- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص133.

استيعابه لما يسمع، وهذا ما نجح فيه الشيخ الشعراوي ليضيف إلى حقل الدعوة الإسلامية منهجا آخر جاء به توظيفا لمعطيات العصر"[1]

وإلى جانب كل هذا كان الشيخ الشعراوي –رحمه الله- يردد في لقاءاته مع أصدقائه ومريديه أن سر نجاحه في الحياة يرجع إلى تمسكه طوال حياته بنصيحتين تلقاهما عن والده الذي كان يحفظ عنه و لم يكن عالما. النصيحة الأولى أن العلم لا تتأتى فتوحاته إلا بالتواضع، والثانية تقول: تعلق بالله ولا تخش شيئا بعد ذلك"[2].

"إن تفسير الشعراوي للقرآن الكريم إبداع جليل، سوف تعرف قيمته الأجيال القادمة حينما يصبح الإسلام غريبا كما بدأ غريبا...في تفسير القرآن الكريم اجتمعت صوفية الشعراوي، وقدرته اللغوية الفائقة، وحسه الإيماني العميق، الذي جعله يتسلل في معاني الكلمات ويقدمها للناس في بساطة أقرب للإعجاز، واستطاع أن يقدم القرآن الكريم بصورة بسيطة لم يسبقه إليها مفسر آخر"[3].

إن تلك النفائس التي استنبطها من القرآن، إنما هي فيوضات إلهية ناجمة عن محبته لكتاب الله، ووقوفه على الكثير من أسرار التفسير. " فواضح من تفسيره وتحليله، واستخراجه للكنوز التي لم تستخرج من قبله، فكم هي كثيرة كتب التفسير، ولكننا لا نجد فيها ما سمعناه من هذا الإمام المجدد، الذي غاص في بحار المعرفة فاستخرج الدرر الكامنة والأسرار الروحية فيكتشف ما به علاج القلوب، ورد السحر والحسد والضر، فتنفعه أسرار القرآن بعض الأدعية النافعة التي صاغها واستشفها من القرآن، ومن ذلك الدعاء الذي جرب كثيرا في علاج أحوال السحر والحسد والصرع وسائر الوجوه وهو: " اللهم إنك أقدرت بعض خلقك على السحر والشر،

1- المصدر السابق، ص99.

2- جريدة الأهرام بتاريخ 1998/06/19، ص09. قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص107.

3- قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، ص135.

واحتفظت لنفسك بإذن الضر، فأعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك: "وما هم بضاريين به من أحد إلا بإذن الله"[1].

حقيقة إن الشيخ الشعراوي يعتبر مجتهدا ومجددا في التفسير، كما أن الشيخ ينبذ التقليد ولا يتأثر بالتفسيرات السابقة عليه، ومثله في ذلك مثل العلماء المثقفين المتبحرين في العلم من أمثال الإمام محمد عبده وتلاميذه، وهو عالم مجتهد يسير في طريق الفقهاء السابقين المجددين من أمثال ابن تيمية وابن القيم، وقد يكون تأثره بهم وبغيرهم، إلا أنه يهمل إهمالا كاملا آراء السابقين الأولين ممن سبقوه في التفسير"[2].

1- المصدر السابق، ص156.

2- أضواء على خواطر الشيخ الشعراوي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، محمد أمين إبراهيم التندي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1990م، ص13. والحقيقة أن الشيخ لم يهمل آراء السابقين وإنما استوعبها وأحسن توظيفها في تفسيره، ولذلك فإن للشيخ اختيارات في التفسير، حبذا لو التفت إليها الدارسون كشفا وشرحا وبيانا.

خاتمة

إن هذا البحث في مجمله و في تفاصله يفضي إلى حقيقة خالدة لا ينبغي لأي شخص مهما سطع نوره و علا شأنه في فضاء البحث العلمي أن يثبت عكسها، و التي مفادها أن المعاني و الدلالات القرآنية تفوق سعة الفكر البشري عبر كامل العصور إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

و تفسير القرآن الكريم لا يعني الإحاطة بمعانيه الكاملة و مراميه الشاملة و هو ما قاله الشيخ الشعراوي في بداية تفسيره: " خواطري حول القرآن لا تعني تفسرا للقرآن و إنما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات، و لو أن القرآن من الممكن أن يفسر لا كان رسول الله – صلي الله عليه و سلم – أولى الناس بتفسيره، لأنه عليه نزل و به أنفعل و له بلغ و به علم و عمل".

و إنما مسار هذا البحث لم يأت ليثبت أمرا مثبتا سلفا، بل هو بحث حاولت من خلاله الوقوف على العطاءات الربانية التي تفضل بها على عباده المخلصين.

بحيث من يطلع على تفسير الشعراوي يلمس عطاءات القرآن التي تكاد تنحصر في افعل و لا تفعل، بفعلها يقترن الثواب و بتركها يفترن العقاب، فالقرآن الكريم منهج لحياة البشر في الأرض.

فحاول في تفسيره أن يقرب المعاني القرآنية إلى العامة قبل الخاصة بعبارات سهلة سلسة، بلغة فصيحة و دارجة و حتى محلية. هذه البساطة و السهولة و العمق في الخطاب جعلته يستهوي قلوب الناس قبل أسماعهم، و كانت القاهرة تكاد في أيامه أن تعلن حظر التجول عندما تداع محاضراته و دورسه على أجهزة الإعلام المرئية و السمعية.

فحاول الشعراوي بذلك أن يعيد للقرآن الحقيقة التي من أجلها أنزل، و هي منهج الحياة به يصلح الفرد و المجتمع و به تصفوا قلوب الناس و ضمائر الأمم و المجتمعات في الدنيا و في الآخرة.

و كنتيجة يمكن القول بأن تفسير الشعراوي ركز على أهم ما يركز عليه الإمام الداعية العالم العامل و هو الإتجاه الحساس المتعلق بالجانب الاجتماعي و التربوي و الإصلاح.

فكان بذالك جامعا بين قطبي الأصالة التفسيرية اللغوية باعتبار أن اللغة هي الحامل المادي لمراد المتكلم. و ما تحمله هذه الأسس اللغوية من أبعاد اجتماعية و تربوية في حياة الفرد و المجتمع

يقول د/ أحمد عمر هاشم في حق الشعراوي: " لقد أحدث تفسيره صحوة علمية، فقد كان الشعراوي –رحمه الله- يقوم بشرح معاني الآيات و تيسيرها و تبسيطها بحيث يستوعب المعنى الدقيق كل من العالم و غير العالم و المثقف و الأمي، فلا يخفى على أحـــــــــد أي معنى من تلك المعاني الدقيقة التي كان فهمها لا يتأتى إلا للمثقفين أو المتخصصين تخصصا دقيقـــا في علم التفسير و علوم القرآن.

فأحدث الشعراوي بتفسيره صحوة دينية جديدة، و أصبح الناس في كل الدول يتناقلون تفسيره، و يسجلونه و يستمتعون به ".

فرحم الله الشيخ الشعراوي، و نسأل الله له أن يكون حصاد عمره العلمي و حصيلة جهاده الاجتهادي خالصا لوجهه الكريم و الحمد الله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

﴿ أ ﴾

- ***الإبانة عن معاني القراءات***، مكي بن أبي طالب ،تحقيق وتعليق الدكتور عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، دت.

- ***ابن العربي وتفسيره أحكام القرآن***، مصطفى إبراهيم المشني، دار عمار، الأردن، ط1، 1411هـ/1991م.

- ***ابن جزي ومنهجه في التفسير***، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ/1987م.

- ***إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين***، محمد الحسيني الزبيدي، تصوير بيروت، دط، دت.

- ***اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر***، محمد إبراهيم شريف، دار التراث، ط1، 1402هـ/1982م.

- ***اتجاهات التفسير في العصر الراهن***، عبد المجيد عبد السلام المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، ط3، عمان، الأردن، 1402هـ/1982.

- ***اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري***، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، دت.

- ***الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها***، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة ،ط3، 1406هـ/1986م.

- ***الإتقان في علوم القرآن***، جلال الدين السيوطي، ط١، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- ***أثر الدلالة النحوية في استنباط الأحكام التشريعية***، عبد القادر عبد الرحمن السعدي، ط1، مطبعة الخلود، بغداد، 1986م .

- ***أحكام القرآن***، ابن العربي، دار الفكر، بيروت، 1967م .

- ***آخر لقاء مع 20 عالما ومفكرا إسلاميا***، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم،ط1، 1426هـ/2005م.

- ***إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول***، الشوكاني، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، مصر، 1418هـ/1998م.

- ***أساس البلاغة***، الزمخشري، تحقق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م،

- ***أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره***، محمد مصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان،ط2009،1م.

- ***أسباب النزول، الواحدي*** ،دراسة وتحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي،

بيروت، ط6، 1414هـ/1994م.

- ***الاستيعاب في معرفة الأصحاب***، لابن عبد البر، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دت.

- ***أسرار البلاغة***، الجرجاني، دار الفكر، دمشق، دط، دت.

- ***الإسلام عقيدة وشريعة***، محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، دط، دت.

- ***أصول التفسير وقواعده***، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م.

- ***أصول التفسير***، ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، لبنان، دت.

- ***أصول الفقه الإسلامي***، مصطفى شلبي،لبنان، دار النهضة العربية، 1406هـ/ 1986م.

- ***الإصابة في تمييز أسماء الصحابة***، ابن حجر العسقلاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م.

- ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، محمد الأمين الشنقيطي، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1403هـ/ 1983م.

- ***الأعلام***، خير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.

- ***الإعجاز في نظم القرآن***، محمود السيد شيخون، ط01، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1398هـ/1978م.

- ***الإعجاز في دراسات السابقين***، عبد الكريم الخطيب، ط1، دار الفكر العربي 1974م.

- ***الإمام الشعراوي مفسرا وداعية***، أحمد عمر هاشم، طبعة أخبار اليوم، دت.
- ***أنا من سلالة آل البيت***، سعيد أبو العينين، أخبار اليوم، دط، د ت .

﴿ ب﴾

- ***البحر المحيط***، لأبي حيان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط02، 1413 هـ/1992م.
- ***بحوث في أصول التفسير ومناهجه***، فهد الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
- ***البداية والنهاية***، الحافظ ابن كثير، تحقبق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1998م.
- ***البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع***، الشوكاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
-***البرهان في علوم القرآن***، بدر الدين الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.
- ***بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة***، السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة الحلبي، د ت.
- ***البلاغة تطور وتاريخ***، شوقي ضيف، دار المعارف، 1965م.
- ***البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري***، رابح دوب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1999م.
- ***البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية***، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت .

- ***بينات المعجزة الخالدة***، حسن ضياء الدين عتر، ط1، دار النصر، حلب سوريا، 1359هـ/1975م.
- ***البيان في مباحث علوم القرآن***، عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، مطبعة دار التأليف، القاهرة
- ***البيان والتبيين***، الجاحظ،دار الفكر، بيروت ، لبنان، دت.

﴿ ت ﴾

- ***تأويل مشكل القرآن***، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، طبع الحلبي، 1954م.
- ***تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر***، عبد الرحمن بن خلدون، دط، دت.
- ***تاريخ آداب العرب***، مصطفى صادق الرافعي، ط 5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1420هـ/1999م .
- ***تاريخ بغداد***، الخطيب البغدادي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ***التحبير في علم التفسير***، السيوطي، ط 01، دار الفكر، 1996م.
- ***التحرير والتنوير***، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- ***التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة***، شمس الدين السخاوي، طبعة أسعد طرانوني الحسيني، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- ***تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي***، للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.
- ***تدريب الراوي في شرح تقريب النووي***، للسيوطي، دارالكتب الحديثة، القاهرة، ط2، 1966م.
- ***التطور الدلالي***، مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2003م .
- ***تعريف الدارسين بمناهج المفسرين***، صلاح عبد الفتاح الخالدي ،دار القلم، دمشق، ط1، 1423هـ/2002م.
- ***التفسير والمفسرون في العصر الحديث***، عبد القادر محمد صالح، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م .
- ***التفسير والمفسرون***، محمد حسين الذهبي، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، 1424هـ/2004م.
- ***تفسير الشعراوي***، محمد متولي الشعراوي، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، مصر،١٩٩١م
- ***التفسير القيم***، لابن القيم، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ***تفسير القرآن العظيم***، ابن كثير، دار الأندلس، بيروت لبنان، دت.
- ***تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار***، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/1999م.

- ***التفسير بالرأي قواعده وضوابطه وأعلامه***، محمد حمد زغلول، ، مكتبة الفارابي، ط1، دمشق ،سوريا، 1420هـ/ 1999م.
- ***تفسير الكشاف***، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م.
- ***تمام الدراية لقراء النقاية***، السيوطي، على هامش كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، المطبعة الميمنية، مصر، دط، دت .
- ***التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المهنوي والصوتي)***، أحمد بوزيد، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1992م .

﴿ ج ﴾

- ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط3 ، 1420هـ/1999م
- ***الجامع لأحكام القرآن***، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1995م.

﴿ ح ﴾

- ***حوار الألف إلى الياء***، طارق حبيب، طبعة المركز العربي الحديث، د ت.

﴿ خ ﴾

- ***الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور***، محمد النذير أو سالم، دار ابن حزم، ط1430،1هـ/2009م .

- ***خصائص المعجم العربي***، فهد الحركان، دار القلم، بيروت، د.ط، د. ت، .

﴿ د ﴾

- ***دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره***، محمد المالكي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1417هـ/1996م.

- ***دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر***، فتحي الدريني، دار قتيبة للنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1408هـ/ 1988م.

- ***دلائل الإعجاز، الجرجاني***، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

﴿ ر ﴾

- ***الراوي هو الشعراوي***، محمد زيد، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة .

- ***رحلات الشعراوي في أوروبا وأمريكا***، سعيد أبو العينين، طبعة أخبار اليوم، ط4، دت.

- ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، الآلوسي ، دار الحديث ، مصر، 1426هـ/2005م.

﴿ ز ﴾

- ***الاستشراق والدراسات القرآنية***، محمد دراجي، دار البلاغ، الجزائر، د.ط، د.ت.

- ***الاستشراق والإسلام***، أنور الجندي، مكتبة الرسالة، لبنان، دط، دت.

﴿ س ﴾

- ***السنة ومكانتها في التشريع***، مصطفى السباعي، دار الوراق، بيروت، ط3، 1423هـ/2003م.

- ***سنن ابن ماجه***، الإمام ابن ماجة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م.

- ***سنن أبي داود***، لأبي داود السجستاني، بيت الأفكار الدولية،الأردن، دط، دت.

- ***سنن الترمذي***، الإمام الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، دت.

﴿ ش﴾

- ***الشعراوي من القرية إلى العالمية***، محمد محجوب محمد حسن، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د ت .

- ***الشعراوي الذي لا نعرفه***، سعيد أبو العينين، ط 4، دار أخبار اليوم، 1995م .

- ***الشعراوي إمام الدعاة مجدد هذا القرن***، مجموعة من العلماء، هدية مجلة الأزهر، مطابع روز اليوسف الجديدة، جمادى الأخيرة 1419 هـ.

- ***الشفاعة والمقام المحمود***، محمد متولي الشعراوي، ط 2، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، 1422هـ/2001م.

- ***الشنقيطي ومنهجه في التفسير***، أحمد يوسف سليمان، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، مخطوط، جامعة القاهرة.

- ***الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات***، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د ط، د ت

- ***الشيخ محمد متولي الشعراوي، مشوار حياتي آراء وأفكار***، فاطمة السحراوي، ط1، المختار الإسلامي، د ت.

- ***الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير***، هيا ثامر مفتاح العلي،، دار الثقافة دط، 1994م.

﴿ ص ﴾

-***صحيح البخاري***، الإمام البخاري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1421 هـ/2000م.

-***صحيح مسلم***، الإمام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1421،1هـ/2001م.

﴿ ط ﴾

- ***طبقات المفسرين***، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ***طبقات المفسرين***، محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ***طبقات الصوفية ،*** محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

﴿ ع ﴾

93.عروس الأفراح، تحقيق: الدكتور خليل إبراهيم خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.، 1422هـ/ 2001م.

94. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف ، دار القلم، ط8، ص91.

95. ***علم اللغة***، علي عبد الواحد، نهضة مصر للطباعة، مصر، دت.

96. ***علوم القرآن المنتقى***، فرج توفيق وليد، و فاضل شاكر النعيمي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978م.

﴿ ف ﴾

97. ***فجر الإسلام***، أحمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2006م/1427هـ.

98. ***الفروق، القرافي***، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1998م .

99. ***فصول في أصول التفسير***، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط02، 1997م.

100. ***فقه اللغة***، صبحي الصالح، دار الفكر، بيروت ، لبنان، دت.

101. ***فكرة إعجاز القرآن***، نعيم الحمصي، ط02، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م.

102. ***الفكر الديني في مواجهة العصر***، عفت الشرقاوي، دار الفكر العربي، بيروت، دت.

103. ***فن التدريس***، محمد عبد الرحيم عويس، دط، دت.

﴿ ق ﴾

104. ***قالوا عن الشعراوي بعد رحيله***، بدوي طه بدوي، دار الأمين، ط1، 1419هـ/1999م.

﴿ ك ﴾

105. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل العجلوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1405هـ/1985م.

106. كشف الظنون، حاجي خليفة، وكالة المعارف الجليلة، 1934م.

107. كيف نتعامل مع القرآن، يوسف القرضاوي ،دار البيان، الكويت، دت.

﴿ل﴾

108. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، دت.

109. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1410هـ/ 1990م.

﴿م﴾

110. مباحث الكتاب والسنة، محمد سعيد رمضان البوطي، طبعة جامعة دمشق، دت.

111. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط 16، بيروت، لبنان، 1985م .

112. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط03، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، 1421هـ/2000م.

113. المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ/1990م.

114. المثل السائر، ابن الأثير ضياء الدين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.

115. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م.

116. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط02، دار الوفاء، مصر، 1422هـ/2001م.

117. محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، محمد دراجي، دار غبريني، ط1، الجزائر، 2005.

118. محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح، محمد رجب بيومي، مكتبة التراث الإسلامي، 1420هـ/1999م.

119. المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، مصر ،1411 هـ/1991م .

120. مذاهب التفسير الإسلامي، اجنتس جولد تسيهر، دار اقرأ، لبنان، د.ط، د.ت .

121. مذكرات إمام الدعاة، محمد زايد، دار الشروق، ط4، 1998 م.

122. مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، دار العلوم والحكم، سوريا، ط4، 1425هـ/2004م.

123. المزهر في علوم اللغة، السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م.

124. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1990م.

125. المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

126. المسند، الإمام أحمد ، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ/2005م.

١٢٧. المعجم الكبير، الإمام الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٩٨٣م.

128. معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت. د ط، د ت، 2001م.

129. المعجزة الكبرى، الإمام أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/1998م.

130. المعجزة القرآنية، بغدادي بلقاسم، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، د ت

131. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983م .

١٣٢. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

133. معالم التنزيل، البغوي، ت خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، بيروت لبنان، دار المعرفة، ط1 ،1406هـ/ 1986م،

134. مفهوم النص، د حامد أبو زيد، ط4، المركز الثقافي العربي للطباعة، 1998م.

135. ***مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر***، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار.

136. ***المفردات للراغب الأصفهاني***، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت.

137. ***المفردات***، *الراغب الأصفهاني*، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط2، 1418هـ/1998م.

138. ***مفاتيح التفسير***، أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، الملكة العربية السعودية،ط1.

139. ***مفتاح العلوم للسكاكي***، مطبعة الميمنية الحلبي، مصر، دط، 1306هـ.

140. ***مفتاح العلوم، للسكاكي***، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1420،1هـ/2000م

141. ***مقاييس اللغة***، ابن فارس، ط1، دار الجيل، 1991م

142. ***المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة***، شمس الدين السخاوي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1405هـ/1985م.

143. ***مقدمة في الدراسات القرآنية***، محمد فاروق النبهان، وزارة الأوقاف المغربية، ط، 1995م.

144. ***مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث***، د محمود النقراشي السيد علي، مكتبة النهضة، القصيم، السعودية، ط1، 1407هـ/1986م.

145. ***مناهج المفسرين***، مصطفى مسلم، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415هـ

146. ***مناهج المفسرين في العصر الحديث***، منصور كافي، دار العلوم للنشر والتوزيع، دط،دت.

147. ***مناهج التفسير واتجاهاته، دراسة مقارنة،*** محمد علي الرضائي الأصفهاني، ط1، بيروت لبنان،2008م.

148. ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، عبد العظيم الزرقاني، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/ 2001م.

149. ***منهج البحث الأدبي،*** علي جواد الطاهر، ط4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان 1988م

150. ***منجد المقرئين ومرشد الطالبين***، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1999م،

151. ***الموافقات في أصول الشريعة***، لأبي إسحاق الشاطبي، دار المعرفة، ط4، بيروت لبنان، 1420هـ/1999م.

﴿ ن ﴾

١٥٢. ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،*** لأبي المحاسن يوسف بن تغري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٥٣. ***النشر في القراءات العشر***، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، أشرف على تصحيحه ومراجعته محمد علي الصباغ، مطبعة مصطفى محمد، مصر، دت .

154. ***نظرية اللغة والجمال في النقد العربي***، تامر سلوم، مطبعة الخانجي، مصر، 1980م

155. ***نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم***، أحمد سيد محمد عمار، ط01، دار الفكر، دمشق سوريا، 1418هـ/1998م.

156. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م.

١٥٧. نيل الأوطار، الشوكاني، المكتبة التوفيقية، دط، دت.

﴿و﴾

158. الواضح في أصول الفقه، محمد سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط5، 1417هـ/1998م

159. وعرفت الشعراوي، محمود جامع، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1426هـ/ 2005م.

160. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

الدّوريات

161. آفاق التفسير الموضوعي في القرن الهجري الأخير، إبراهيم سجادي، مقال منشور ضمن: دراسات في تفسير النص القرآني، مجموعة من الباحثين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2007م.

162. النص القرآني ومشكل التأويل، مصطفى تاج الدين، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر.

163. دور التفسير الشفهي في الإصلاح، أحمد رحماني، مجلة الصراط، كلية أصول الدين، الجزائر، السنة الثانية، العدد الرابع، مارس 2001م.

164. **الشعراوي، عبقرية الاتصال وتكوين الاتجاهات،** فهد النفيسي، مقال بجريدة الوطن، 20 جوان 1998م.

165. **الشعراوي في تفسيره نفس صوفي عميق وإلهام من الله كبير،** محمد زكي إبراهيم، جريدة الأخبار، الصادرة بتاريخ: 19 /1998/06م.

166. **ورحل عنا ترجمان القرآن،** أحمد كمال أبو المجد، الأهرام المصرية، تاريخ 1988/8/19.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
الباب الأول: معالم التفسير عند الشعراوي الفصل الأول: دراسة سيرة الشعراوي	
ترجـــمة الشيـــخ محـــمد متـــولي الشعـــراوي.....	01
أولا : مولده ونسبه.....	
ثانيا : بيئته ونشأته.....	02
قريته.....	
أسرته.....	05
من مظاهر تشجيع والده له على التعلم.....	06
ثالثا : حياته العلمية وتدرجه في الوظائف.....	08
رابعا : شيوخه وتلاميذه وأهم مؤلفاته.....	09
أ: شيوخه.....	
ب: تلامذته.....	
ج: مؤلفاته.....	11
خامسا : أخلاقه.....	15
كرمه.....	
تواضعه	16
جرأته وشجاعته.....	19
حلمه وعفوه.....	20
سادسا: رحلاته.....	
سابعا : وفاته.....	23

الفصل الثاني: علم التفسير، مفهومه، أهميته، أقسامه.

المبحث الأول: مفهوم علم التفسير..... 25

أولا: تعريف التفسير..... 25

تعريف التفســـير في اللغة.....

تعريف التفســـير في الاصطلاح..... 27

ثانيا :شرف علم التفسير..... 30

أولا: أقسام التفسير..... 32

أ: التفسير المأثور.....

ب : حكم تفسير المأثور..... 34

ج : التفسير بالرأي..... 35

د: موقف العلماء منه: .....

د : حكم التفسير بالرأي 39

ب/ تسمية خواطر الشعراوي تفسيرا..... 40

علومواللغة العربية 47

علم أصول الدين وعلم أصول الفقه 52

العلم بالسنة .....

أسباب النزول..... 53

علم القراءات 54

علم الموهبة..... 55

الفصل الأول: أسلوب الشعراوي و طريقته في التفسير..... 58

التفســـير الموضوعي عند الشعراوي 67

أ / في المفردة القرآنية .....

ب/ في الموضوع 68

البحث الثالث: مصادر التفسير عند الشعراوي : 72

أولا: أسباب تتعلق بشخص المفسر 73

ثانيا: أسباب تتعلق بتفسيره.....
أ/ العلوم التي وظفها في تفسيره 74
ب/ مصادر تفسيره .....
1- كتب التفسير .....
2- المعاجم و القواميس 80
3- كتب السنة النبوية 81
4- كتب السنن الأخرى 85
5- الفقه .....
الفصل الثاني : التفسير بالمأثور عند الشعراوي .....
تفسير القرآن الكريم 89
مدخل : اتجاه التفسير بالمأثور عند الشعراوي .....
منهج الشعراوي في تفسير القرآن بالقرآن..... 93
أولا: تفسير معنى آية بما ورد في الآية أخرى..... 95
ثانيا: شرح الفردة القرآنية بما وردة في آية أخري.....
تفسير القرآن بالحديث النبوي..... 102
أولأ : عناية الشعراوي بالحديث النبوي في تفسيره 103
ثانيا: مظاهر الاستشهاد بالحديث النبوي 105
نتيجة 117
التفسير بأوقوال الصحابة و التابعين 123
نمادج من النقل عن الصحابة و التابعين في تفسير الشعراوي 124
عنايته في القراءات القرآنية
130
.....
مظاهر عناية الشعراوي بالقراءات
131
.....
عنايته بأسباب الترول
139
.....

الفصل الثالث : عناية الشعراوي بالتفسير بالرأي
الأساس اللغوي في تفسير الشعراوي
147 .....
أهمية التفسير اللغوي..... 148
المفردة القرآنية في تفسير الشعراوي..... 149
من أولويات المفسر دراسة المفردة القرآنية..... 150
طريقة الشعراوي في شرح المفردات..... 151
توظيف النحو والإعراب في تفسيره 158
مباحث نحوية وصرفية في تفسير الشعراوي..... 161
ثانيا: الأساس البلاغي في تفسير الشعراوي..... 164
البلاغة وعلم التفسير.....
أولا : علم البيان..... 165
التشبيه.....
التشبيه التمثيلي..... 168
التشبيه المفرد والمتعدد..... 169
الاستعارة..... 170
الاستعارة التصريحية.....
الكناية..... 171
ثانيا : علم المعاني..... 172
أسلوب القصر.....
الأمر وخروجه عن المعنى الحقيقي.....
الاستفهام ومعانيه..... 173
التقديم والتأخير.....
الإيجاز والإطناب..... 174
حذف الاحتباك..... 175
الإطناب..... 179

ثالثا : علم البديع..... 180
أسلوب الالتفات.....
المدح في سياق الذم..... 182
اللف والنشر.....
المشاكلة..... 183
الطباق.....
قضايا الإعجاز في تفسير الشعراوي..... 185

الفصل الثالث : مكانة تفسير الشعراوي وقيمته العلمية
المبحث الأول: سمات ومميزات تفسير الشعراوي..... 200
أولا : ضرب الأمثال سواء كانت عربية فصيحة أو عامية مصرية 205
ثانيا: اعتماده على الأسلوب القصصي. 208
ثالثا : القصة القرآنية وتوظيفها. .....
رابعا : الأبعاد التربوية والتعليمية في تفسيره. 210
خامسا: البعد الاجتماعي في تفسيره. 212
سادسا: من قضايا الدعوة. 213
سابعا: الجمع بين أسلوب الإمتاع والإقناع. .....
ثامنا: التركيز على بيان إعجاز القرآن. 214
الفصل الثاني: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه..... 216
أولا: مكانة الشيخ الشعراوي ومنزلته العلمية.....
ثانيا : شهادات العلماء فيه..... 218
ثالثا: مما قيل في وداعه و رثائه..... 222
الفصل الثالث : القيمة العلمية لتفسير الشعراوي..... 216
الخاتمة 236
قائمة المصادر والمراجع..... 317

فهرس الآيات القرآنية.....
فهرس الأحاديث النبوية.....
فهرس الأعلام المترجم لهم.....
فهرس الموضوعات..... 335

ملخص:

موضوع الرسالة تفسير الشعراوي – أسسه اللغوية و البلاغية ـــ حاولت من خلال هذه الأطروحة إبراز شخصية الشعراوي المتعددة الجوانب و المواهب. و كذا منهجه في تفسير القرآن الكريم. و ما تميز به عن باقي المفسرين' من حيث الأسس اللغوية و البلاغية ومن حيث المرجعية الفكرية و العقيدية' و ما اعتمد عليه مصادر و مراجع .هذا فضلا عن توضيح الأبعاد التربوية و الاجتماعية التي ركز عليها الشيخ الشعراوي باعتبار أن القرآن الكريم كتاب هداية دينية و توجيه تربوي أخلاقي بدرجة أصلية و أصيلة

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم- التفسير – اللغة – البلاغة – علم البيان – علم المعاني – علم البديع – الشعر – المذاهب – الفقه - المستشرقون.

Sujet de la thèses :

Interprétation du coran du Docteur Chaarawi.
Ses structures linguistiques, métalinguistiques et sa rhétorique.

J' ai essayé dans cette thèse mettre en exergue la personnalité du Cheikh Chaarawi avec ses différentes dimensions et ses différents dons dans l' art de l' interprétation du coran ainsi que sa méthodologie dans cette approche et ce qui le différencie des autres traducteurs aussi bien du point de vu de la linguistique et de la rhétorique que celui de la pensée et du dogme .

En tenant compte dans de sa recherche sur la source de ses références, en tenant de les dimensions socio- éducatives sur lesquelles le Cheikh Chaarawi à apporter les éclairages nécessaires considérant le saint coran, comme étant un document de référence dans tout ce qui est en rapport avec le dogme et les orientations éducatives dans la conception d'une société originale dans son authenticité.

Les mots clés :

Le saint coran, Interprétation du coran, Langue et linguistique, La rhétorique, La synonymie, L'éloquence, La poésie, La théologies, fondements religions, Les orientalistes, Doctrines, Procèdes explicites